مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث

أ.د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

العقيدة

القسم الأول

المجلد الثاني

رتّبه وأعدّه للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

مجموع

مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

العقيدة

القسم الأول

المجلد الثاني

رتبه وأعده للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث
عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
العقيدة القسم الأول

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث

عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

العقيدة

القسم الأول

المجلد الثاني

رتبه وأعده للطباعة

د. محمد بن عبد الله الطيار

فهرس إجمالي للكتب

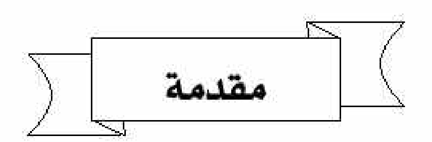
كتاب

مباحث في العقيدة

الجزء الأول

التعريف بالعقيدة ـ التعريف بالتوحيد ـ أنواع التوحيد
نواقض الإسلام العملية ـ شهادة التوحيد ـ العبادة ـ البدعة





مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن توضيح العقيدة الصحيحة وبيانها وتجلية أمرها والدعوة إليها هو أهم المهمات وأعظم الواجبات لأنها الأساس الذي تبنى عليه أعمال الناس فلا تصح ولا تقبل إلا إذا كانت مبنية على معتقد صحيح سليم خال من الشوائب والمكدرات وهذا ما كان عليه رسل الله جميعاً ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وكذلك أتباعهم بإحسان وهذا ما دعا إليه وأكد عليه خاتم الرسل محمد ﷺ وكذا تابعوه إلى يومنا هذا فقد أكدوا على إصلاح العقيدة والبعد عن كل ما يناقضها وهذا هو مسلك القرآن الكريم الذي جاءت معظم سوره تؤكد على هذه العقيدة وتبين معالمها وقد تنزل هذا الكتاب العظيم طيلة العهد المكي على رسولنا ﷺ يدعو إلى التوحيد وإصلاح العقيدة وبيان ما يضادها من جميع الجوانب.

إن العقيدة الإسلامية هي التي بعث الله من أجلها رسله وأنزل بها كتبه ولا يقبل من أحد عملاً إلا بها كما أخبر عن ذلك ربنا ـ جل وعلا ـ بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ومتى تمسك المسلم بهذه العقيدة الصحيحة فقد عصم دمه وماله في الدنيا كما أخبر عن ذلك رسولنا ﷺ بقوله: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا**

لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»[(١)].

ومن تمسك بها فإنها تنجيه يوم القيامة من عذاب الله كما جاء في الحديث «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**»[(٢)].

وهذه العقيدة الصحيحة هي سبب قبول الأعمال ومغفرة الذنوب قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩٧)**﴾ [النحل: ٩٧].

أما أصحاب المعتقد الفاسد فعملهم حابط باطل كما أخبر ربنا ـ جل وعلا بقوله ـ: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٥)**﴾ [الزمر: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ [المائدة: ٧٢].

هذه الأمور وغيرها جعلت أمر العقيدة ذا أهمية قصوى فوجب تعلمها وتعليمها ولذا اهتم بها أهل العلم سلفاً وخلفاً بينوا أصولها ووضحوا مسائلها وركزوا على ما يناقضها.

وإن التعليم في بلادنا الغالية ـ المملكة العربية السعودية ـ يتميز على غيره بالاهتمام بالعقيدة والتركيز عليها في مختلف مراحل الدراسة للبنين والبنات. ولقد شرفتني كلية التربية للبنات في محافظة الزلفي بتدريس مادة العقيدة في سنوات الكلية وأخبروني أن المقرر على الطالبات (شرح الطحاوية) ولما كان هذا الكتاب يصعب فهمه على كثير من الطالبات استخرت الله في تيسير بعض مباحثه وعرضها بأسلوب سهل وألقيت ذلك على الطالبات خلال عامي (١٤٢٣، ١٤٢٤هـ).

وكانت مجموعة منهن يكتبن هذه المحاضرات وقد اطلع عليها بعض

---

(١) رواه البخاري (١/ ٧٠)، مسلم برقم (٢٢).

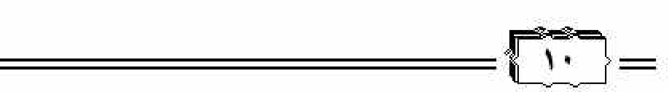
(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٩٣) باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

أعضاء هيئة التدريس من الرجال والنساء الذين يدرسون هذه المادة في كليات مماثلة ورغبوا في طباعتها وألح علي مندوب مكتبة الرشد وذكر لي حاجة الطالبات لذلك وهاتفني أكثر من مرة ملحاً على سرعة إنجازها وهنا استخرت الله وعزمت على إخراجها بعد أن أعدت النظر فيها وأضفت لها بعض الإضافات اليسيرة فما كان فيها من صواب فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله من كل ذنب وخطيئة وأسأل الله أن ينفع بها كاتبها والمطلع عليها كما أسأله أن يبارك في جهود المخلصين الصادقين وإني بهذه المناسبة أزجي خالص شكري وتقديري للمسئولين عن كلية التربية للبنات في محافظة الزلفي عميدة ووكيلة ورئيسات أقسام وكذا مسئولين عن إدارة تعليم البنات بالمحافظة على جهودهم المباركة كما أسأله أن يوفقنا جميعاً لخيري الدنيا والآخرة وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتب

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

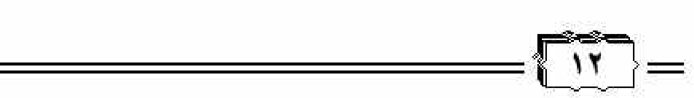
١/ ٨/ ١٤٢٥هـ



المبحث الأول

التعريف بالعقيدة

١ ـ معنى العقيدة.
٢ ـ وجوب معرفة العقيدة والدعوة إليها.
٣ ـ مصادر العقيدة.
٤ ـ خصائص العقيدة.
٥ ـ أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.
٦ ـ وسطية هذه الأمة.
٧ ـ خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة.
٨ ـ الانحرافات في فهم الكتاب والسنة في باب العقيدة.
٩ ـ موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع.
١٠ ـ الفرق بين العقيدة والتوحيد.



١ ـ التعريف بالعقيدة

العقيدة هي مجموعة من القضايا المسلمة بالعقل والسمع والفطرة يعقد عليها الإنسان قلبه ويثني صدره جازماً بصحتها قاطعاً بوجودها وثبوتها لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً. وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه وعلمه به وقدرته عليه ولقائه به وكاعتقاده بوجوب طاعته فيما بلغه من أوامره ونواهيه من طريق كتبه ورسله وكاعتقاده بغنى ربه تعالى عنه وافتقاره إليه وأنه لا حياة ولا سعادة إلا بلزوم أمره وأنه متى ابتعد عنه لحظة خاف على نفسه من الهلاك.

وكاعتقاده أنه الرب المستحق للعبادة ولا معبود سواه واعتقاده أن الرب سمّى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات، هذه الأسماء والصفات ينبغي أن تثبت له على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

قال شيخنا محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العقيدة هي حكم الذهن الجازم يقال اعتقدت كذا يعني: جزمت به في قلبي فهو حكم الذهن الجازم فإن طابق الواقع فصحيح وإن خالف الواقع ففاسد.

فاعتقادنا أن الله إلٰه واحد صحيح، واعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة باطل لأنه مخالف للواقع»[(١)].



(١) شرح الواسطية (١/ ٥٠).

٢ ـ وجوب معرفة العقيدة والدعوة إليها

يجب على كل مسلم أن يتعلم العقيدة الإسلامية ليعرف معناها وما تقوم عليه ثم يعرف ما يضادها ويبطلها أو ينقضها من الشرك الأكبر والأصغر.

قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب العلم قبل القول والعمل» ثم استشهد بهذه الآية.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل»[(١)]. ونظراً لأهمية العلم بالعقيدة اتجهت همم أهل العلم إلى تعلمها وتعليمها واعتبروها من أولويات العلوم وألفوا فيها مؤلفات خاصة فصلوا فيها أحكامها وما يجب فيها وبينوا ما يفسدها أو ينقضها من الشركيات والخرافات والبدع.

ولذلك يجب أن يكون لعلم العقيدة الصدارة بين المقررات الدراسية وتكون هذه الدراسة باختيار الكتب الصحيحة السليمة التي ألفت على مذهب أهل السنة والجماعة المطابق للكتاب والسنة.

ويجب أيضاً على الدعاة إلى الله أن يركزوا على جانب العقيدة أكثر من غيرها ويقبلوا على دراستها وتفهمها أولاً ثم يعلموها لغيرهم ويدعوا إليها من انحرف عنها أو أخل بها قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].



(١) فتح الباري (١/ ١٦٠).

٣ ـ مصادر العقيدة

عقيدة أهل السنة والجماعة توقيفية وهي تقوم على التسليم بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ دون تحريف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولها مصدران أساسيان هما:

أ ـ القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المصدر الأول في الشريعة أصولها وفروعها وكل أصل بعده فهو راجع إليه ومعتمد عليه، وهو أفضل الوحي المنزل على الإطلاق وكل ما تضمنه حق وصدق كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ٢٢] وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] وهذا الذي تعهد الله بحفظه دون غيره من الكتب السماوية الأخرى كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وقد نهج القرآن الكريم في إيضاح العقائد طريقين:

الأول: سياق الآيات القرآنية في مدلولاتها العقدية سياق الأخبار المسلمة التي بلغت من وضوح الدلالة ما لا يتصور معه إنكار أحد لها وذلك كالآيات التي جاءت ببيان ربوبيته وألوهيته على خلقه كقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣] وكآية الكرسي وسورة الإخلاص وغيرها من السور والآيات.

وكذلك الآيات التي جاءت ببيان أسمائه وصفاته فهذه كلها تدل دلالة واضحة لا يتصور معها إنكار أحد لها إلا من انطمست عقولهم وانتكست فطرهم.

الطريق الثاني: سياق الآيات القرآنية جاريةً على موازين العقول

الصحيحة كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] والمعنى أنه لو كان فيهما آلهة لفسدت السماوات والأرض لكنهما لم تفسدا فالنتيجة ليس فيها آلهة إلا الله.

ومن هنا نعلم أن القرآن الكريم في دلالته على العقائد الإلٰهية بين الخبر وموازين العقل الصحيح خلافاً لما يدعيه بعض المتكلمين من أن دلالة القرآن دلالة خبرية محضة خالصة.

وليس أدل على بطلان هذا القول من مجيء نوعي الدلالة العقلية والخبرية في نصوص القرآن الكريم.

ب ـ ما صح عن رسول الله ﷺ:

والإجماع المعتبر في تقرير العقيدة مبني على الكتاب والسنة أو أحدهما، والفطرة والعقل السليم يؤيدان تفصيلات في العقيدة فهما يوافقان الكتاب والسنة ولا يعارضانهما.

وإذا ورد ما يوهم التعارض بين النقل والعقل اتهمنا عقولنا فلا يقدم العقل القاصر على الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا على السنة.

وكل ما اختلف فيه من أمور العقيدة فمرده إلى الكتاب والسنة كما فهمهما سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى من بعدهم.

وأصول الدين كلها توقيفية بيَّنها رسولنا ﷺ بالقرآن والسنة وكل محدثة في الدين فهي بدعة وكل بدعة فهي ضلالة قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].



٤ ـ من خصائص العقيدة

للعقيدة الإسلامية خصائص تميزها عن غيرها من الديانات والمعتقدات والمذاهب والفرق، ومن هذه الخصائص:

١ ـ الاعتماد على الكتاب والسنة وإجماع السلف وأقوالهم دون الأخذ من أحد سواهم، وهذه الخاصية تنفرد بها العقيدة الإسلامية فغيرها يعتمد على العقل والنظر وكذا الحدس والإلهام وكل عقيدة تعتمد على هذه الأمور فهي ضلال وبدعة.

٢ ـ هذه العقيدة تقوم على التسليم المطلق لله تعالى ولرسوله ﷺ لأنها غيب والغيب يقوم على التسليم والتصديق وهذا من صفات المؤمنين فقد مدحهم الله بهذه الصفة قال تعالى: ﴿... هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢، ٣].

٣ ـ هذه العقيدة موافقة للفطرة القويمة والعقل السليم لأنها تقوم على الاتباع والاقتداء والاهتداء بهدي الله وهدي رسوله ﷺ وما عليه سلف الأمة فهي تستقي من مشرب الفطرة والعقل السليم.

٤ ـ اتصال سند هذه العقيدة بالرسول ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة الهدى قولاً وعملاً وعلماً واعتقاداً.

فجميع أصول هذه العقيدة له سند وقدوة من الصحابة والتابعين بخلاف عقائد من خالفوا أهل السنة فكلها مبتدعة وليس لها سند من كتاب الله وسنة رسوله ولا سلف من الصحابة والتابعين.

٥ ـ الوضوح والبيان.

تمتاز العقيدة الإسلامية بالوضوح والبيان وخلوها من التعارض والتناقض والغموض والتعقيد وذلك لأنها مستمدة من كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكلام رسوله ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم ولا ينطق عن الهوى.

٦ ـ البقاء والثبات والاستقرار.

هذه من أهم خصائصها فهي ثابتة طيلة هذه القرون وإلى أن تقوم الساعة محفوظة في ألفاظها ومعانيها تتناقلها الأجيال جيل بعد جيل لم يتطرق إليها التبديل ولا التحريف ولا التلبيس ولا الزيادة أو النقص لأنها مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.



٥ ـ أصول عقيدة أهل السنة والجماعة

هناك أصول واضحة تجمع عقيدة أهل السنة والجماعة أذكر بعضها بإيجاز:

١ ـ الأصل في أسماء الله وصفاته إثبات ما أثبته تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل بل يؤمنون بأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٢ ـ الإيمان بالملائكة الكرام إجمالاً وعلى التفصيل فيما صح به الدليل من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم.

٣ ـ الإيمان بالكتب المنزلة وأن القرآن ناسخ لها وأن كل ما قبله طرأ عليه التحريف وأما القرآن فهو محفوظ بحفظ الله له ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

٤ ـ الإيمان بالأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأنهم أفضل ممن سواهم من البشر وأن أفضلهم نبينا محمد ﷺ.

٥ ـ الإيمان بانقطاع الوحي بعد محمد ﷺ وأنه خاتم النبيين والمرسلين.

٦ ـ الإيمان باليوم الآخر وما يتقدمه من العلامات والأشراط.

٧ ـ الإيمان بالقدر خيره وشره وأن الله علم كل شيء وكتبه وشاءه وقدره وخلقه فهو خالق كل شيء وفعال لما يريد.

٨ ـ التصديق والإيمان بما صح به الدليل من المغيبات كالعرش والكرسي والجنة والنار ونعيم القبر وعذابه والصراط والحوض والميزان وغيرها

دون تأويل أو خوض فيما لا يُعلم والوقوف عند النصوص الواردة وفهمها على ضوء فهم سلف الأمة وخيارها.

٩ ـ الإيمان بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين وغيرهم يوم القيامة لمن رضي الله عنهم وأذن في الشفاعة لهم حسب ما ورد في الأدلة.

١٠ ـ رؤية المؤمنين لربهم في الجنة حق ومن أنكرها أو أولها فهو ضال مبتدع.

١١ ـ كرامات الأولياء حق وليس كل أمر خارق للعادة كرامة بل قد يكون ذلك استدراجاً وقد يكون من تأثير الجن والشياطين والضابط والمرجع هو الكتاب والسنة وموافقتهما.

١٢ ـ لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله فهو وحده المستحق للعبادة فلا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة والاستغاثة والاستعانة والنذر والذبح والتوكل والخوف والرجاء لغير الله فقد أشرك.

١٣ ـ لا يعلم الغيب إلا الله وحده ويطلع الله بعض رسله على شيء من الغيب ومن ادعى علم الغيب فقد كفر.

١٤ ـ لا يقطع لأحد بالجنة أو النار إلا من ثبت النص بحقه.

١٥ ـ القرآن الكريم هو كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وهو معجز ومحفوظ.

١٦ ـ الهداية والضلال بيد الله فمن هداه فبفضله ومن أضله فبعدله ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠].

١٧ ـ الله خالق العباد وأفعالهم فالله خالق كل شيء والعباد فاعلون لها على الحقيقة.

١٨ ـ الصحابة كلهم عدول وهم أفضل هذه الأمة وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم.

٦ ـ وسطية هذه الأمة

هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس خصها الله بخصائص كثيرة ومنها الوسطية والمراد بها هنا العدل وقبول الحق قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ووسطية هذه الأمة تتجلى في عدلها واعتدالها بين الإفراط والتفريط فهناك أمم قبل أمة الإسلام غلت في أنبيائها ورسلها حتى عبدوهم من دون الله وهناك أمم فرَّطت وكذبت الرسل وقتلت الأنبياء.

وأمة الإسلام آمنت بجميع الأنبياء وأنزلتهم منزلتهم التي لهم دون إفراط أو تفريط وعلمت أن دينهم واحد وأن أولهم يبشر بآخرهم وأن آخرهم مصدق لأولهم.

ومن وسطية هذه الأمة أنها قامت بالأمر بالمعروف على عكس من قبلها من الأمم التي كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه. ومن ثمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اضمحلال الشرك والكفر والنفاق والبدع.

ومن وسطية هذه الأمة أنهم توسطوا في مسائل الإيمان فهم وسط وعدل في توحيد الربوبية بين من أهملوا فأشركوا ومن غلوا حتى جعلوه هو الإيمان وحده.

وهكذا في توحيد الألوهية هم وسط بين من عبد الله بالشرك والوثنية ومن عبده بالضلالات والبدع والخرافة.

وهكذا في مسائل القدر والقضاء هم وسط بين الجبرية الذين قالوا العبد مجبور على أفعاله وبين القدرية الذين نفوا القدر وأهل السنة أثبتوا للعبد مشيئة لكنها تابعة لمشيئة الله وأن الله على كل شيء قدير.

وهم وسط في مسألة الصحابة فأعطوهم قدرهم وعرفوا لهم فضلهم وهم وسط بين من ألَّه بعض الصحابة ومن طعن فيهم واستحل دماءهم.

وهكذا تظهر وسطية هذه الأمة في توسط سلفها الصالح في مسائل الإيمان والأخلاق والشريعة نسأل الله أن يحشرنا مع هؤلاء وأن يجمعنا مع محمد ﷺ وحزبه الطيبين الطاهرين آمين.



٧ ـ خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة

تميز أهل السنة بخصائص وسمات يعرفون بها دون غيرهم ومنها:

١ ـ الاهتمام بالكتاب والسنة فهماً وحفظاً وتدبراً وعلماً وعملاً.

٢ ـ الدخول في الدين كله والأخذ بالكتاب كله وعدم اتباع الهوى وأخذ المناسب فقط.

٣ ـ الاتباع ونبذ الابتداع والاجتماع ونبذ الاختلاف والفرقة.

٤ ـ التوسط في الاعتقاد بين المفرِّطين والمُفْرطين.

٥ ـ القيام بالدعوة الشاملة والعمل بالدين عقيدة وعبادة وشريعة وسلوكاً وأخلاقاً.

٦ ـ الإنصاف والعدل مع النفس ومع الغير وإعطاء كلٍ ما يستحقه دون غلو أو إجحاف.

٧ ـ التوافق في الأفهام والتشابه في المواقف رغم تباعد الأمصار والأعصار وذلك لأن مصدر التلقي لهم واحد.



٨ ـ الانحرافات في فهم الكتاب والسنة في باب العقيدة

ترجع أصول الانحرافات في فهم الكتاب والسنة في باب العقيدة إلى الأمور التالية:

أولاً: الإلحاد:

١ ـ تعريفه: في اللغة: الميل ومنه اللحد وسمي اللحد لحداً لميله إلى يمنة القبر.

وفي الشرع: هو الميل بنصوص الكتاب والسنة عن الحق الثابت لها.

٢ ـ أقسامه: ينقسم الإلحاد إلى قسمين:

أ ـ إلحاد في الآيات الشرعية كتأويل آي الصفات.

ب ـ إلحاد في الآيات الكونية وذلك بأن تنسب إلى غير خالقها سبحانه كأن ينسب نزول المطر إلى النجم الفلاني فيقال: مطرنا بنجم كذا أو تنسب الكوارث التي تحدث من زلازل وبراكين وفيضانات إلى الطبيعة وغير ذلك فكل هذا إلحاد في الآيات الكونية.

٣ ـ أنواع الإلحاد:

أ ـ تسميته تعالى بما لا يليق بجلاله كتسميته أباً كما سماه النصارى أو موجباً بالذات أو علة فاعلة كما سماه الفلاسفة بذلك.

ب ـ وصفه بما يتنزه عنه من أوصاف كقول اليهود: الله فقير، وقولهم: يد الله مغلولة أو أنه استراح يوم السبت.

ج ـ تسمية بعض المخلوقين بأسمائه تعالى كتسمية اللات من الإلٰه والعزى من العزيز ومناة من المنان.

د ـ تعطيل أسمائه وصفاته عن معانيها وجحد حقائقها كمن يجعل أسماءه أعلاماً محضة لا تدل على الكمال.

هـ ـ تشبيه الخالق بالمخلوق ذاتاً وصفة.

ثانياً: التعطيل:

وهو من الأصول التي أدت إلى الانحراف في فهم الكتاب والسنة.

١ ـ تعريفه: في اللغة الخلو والفراغ:

قال تعالى: ﴿وَبِئۡرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصۡرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥] فالبئر المعطلة هي التي هجرها أهلها.

وفي الشرع: هو نفي دلالة نصوص الكتاب والسنة على المراد بهما.

٢ ـ أنواعه: للتعطيل ثلاثة أنواع:

أ ـ تعطيل الباري سبحانه عن كماله المقدس وذلك بنفي صفاته أو أسمائه أو كليهما.

ب ـ تعطيل معاملته بترك عبادته أو عبادة غيره معه.

ج ـ تعطيل المصنوع عن صانعه وذلك بنسبة بعض خلقه أو كله لغيره أو دعوى قدمها وعدم كونها مخلوقة له.

ثالثاً: التمثيل:

١ ـ تعريفه في اللغة: التمثيل تفعيل وهو الند والنظير.

وشرعاً: هو مساواة غير الله بالله ذاتاً وصفات أو العكس.

٢ ـ أنواعه.

أ ـ قياس تمثيل وهو أن يجعل الخالق أو المخلوق أصلاً ويجعل أحدهما فرعاً ويقاس على الآخر بصفة جامعة بينهما وهو على ضربين:

١ ـ قياس كلي: وهو قياس الذات على الذات كأن يقال: ذات الله كذات المخلوق أو العكس.

٢ ـ قياس جزئي: كقياس بعض صفات الخالق على المخلوق أو العكس.

ب ـ قياس شمولي:

وهو أن يدخل الخالق والمخلوق تحت قاعدة كلية يستوي أفرادها فيها كقوله: كل موجود فهو جسم أو كل من له صفة فهو مخلوق.

رابعاً: التحريف:

١ ـ تعريفه: في اللغة: تفعيل من الحرف بمعنى الطرف ومنه قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحج: ١١] أي: طرف من الدين.

وفي الشرع: تغيير معاني الكتاب والسنة إلى معان أخرى لا يدلان عليها.

٢ ـ أقسامه: التحريف ينقسم إلى قسمين:

أ ـ تحريف لفظي: وهو تبديل اللفظ بلفظ آخر كقول بني إسرائيل حنطة بدل حطة.

ب ـ تحريف معنوي: كالقول بأن معنى الاستواء الاستيلاء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] أي: استولى.

٣ ـ أنواعه:

أ ـ تحريف لآيات الله الشرعية كالمثال المتقدم.

ب ـ تحريف لآيات الله الكونية وذلك كتأويل قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ [الفيل: ٣] أي: جراثيم الطاعون ونحو ذلك، وأن الملائكة هي القوى الروحية، وأن الشيطان ما هو إلا القوى الشريرة في الإنسان ونحو ذلك مما يتعلق بالخلق والإيجاد.

الفرق بين التعطيل والتحريف:

ينحصر الفرق بينهما في ثلاثة أمور:

الأول: أن التعطيل نفي للمعنى الحق والتحريف تفسير للنصوص بالمعنى الباطل.

الثاني: أن التعطيل أعم مطلقاً من التحريف، والتحريف أخص مطلقاً

من التعطيل فكل محرف معطل دون العكس؛ أي: كلما وجد التحريف وجد التعطيل دون العكس.

الثالث: أنهما يوصف بهما من نفى المعنى الحق وفسر النص بالمعنى الباطل، وينفرد التعطيل بمن نفى المعنى الحق ولم يبين للنص معنى باطلاً بل فوض معنى النص إلى الله.

خامساً: التكييف:

تعريفه: في اللغة: تفعيل من كيّف يكيّف تكييفاً إذا حكى الكيفية وهي كنه الشيء وحقيقته.

وشرعاً: هو حكاية كنه ما لا يعلمه إلا الله من المعاني وذلك كأن يحكي حقيقة الذات الإلٰهية أو حقيقة صفاتها أو حقيقة ما هي.

مثاله: تكييف بعض صفات الأفعال الخاصة به ﷻ كما في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فيقول: استوى هكذا ثم يكيف الاستواء، كذلك صفة الإتيان والمجيء وغيرها من صفات الأفعال.

سادساً: التأويل:

تعريفه: في اللغة: الرجوع والعود.

وفي الشرع: يطلق على معنيين:

أولاً: التفسير.

فالتفسير تأويل لأن المفسر يراجع نفسه عند الشرح والبيان ويدبر الكلام ويقدره ففيه معنى العود والرجوع وهذا معنى التأويل عند علماء التفسير. فإذا قال ابن جرير الطبري وتأويل الآية كذا يعني تفسيرها.

مثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤] أي: بتفسير الكلام.

الثاني: حقيقة الكلام الخارجية وذلك بظهور مراد الكلام من اللسان إلى ما يصدقه الواقع.

فحقيقة ما في اليوم الآخر ما يقع فيه من أحداث مثاله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي: تقع حقيقة ما فيه من الأحداث.

التأويل في اصطلاح المتأخرين:

هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى المرجوح لدليل يقترن به وهو بهذا الاعتبار على ثلاثة أنواع:

الأول: تأويل صحيح:

وهو ما قام عليه الدليل من الكتاب والسنة مثاله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] بمعية العلم والإحاطة.

الثاني: تأويل فاسد:

وهو ما لم يقم عليه دليل صحيح، مثاله قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وذلك بتأويل الاستواء بالاستيلاء.

وتأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] تأويل اليد بالقوة.

الثالث: تأويل من قبيل اللعب:

وهو ما لم يقم دليل ولو احتمالاً، مثاله قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] تفسيرهم الآية أي: جرحه بأظافر الحكمة تجريحاً.

وقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] أي: حليتهم وزينتهم لا على معناه الحق وهو آخرهم.

خطورة التأويل وآثاره المدمرة:

تتمثل خطورة التأويل وآثاره المدمرة فيما يأتي:

١ ـ أنه أصل خراب الدين والدنيا:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فما اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل والفتن كبيرها وصغيرها إنما وقعت بالتأويل، وأعداء الإسلام سلطوا علينا بالتأويل ودماء المسلمين إنما أريقت بالتأويل.. إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: وما جرد

الإمام أحمد بين العاقبين وضربه بالسياط غير التأويل وما سلط سيوف التتار على دار الإسلام إلا بالتأويل»[١].

٢ ـ التأويل فتح الباب لأهل الشرك والبدع لإفساد دين الله:

قال شارح الطحاوية مخاطباً أهل التأويل: «لقد فتحتم عليكم الباب لأنواع المشركين والمبتدعين لا تقدرون على سده، فإنكم إذا سوغتم صرف آيات القرآن عن دلالته المفهومة بغير دليل شرعي فما الضابط فيما يسوغ تأويله وما لا يسوغ تأويله؟

فإن قلتم: ما دل القاطع العقلي على استحالته تأولناه، وإلا أقررناه.

قيل لكم: وبأي عقل نزن القاطع العقلي؟ فإن الباطني يزعم قيام القواطع على بطلان ظواهر الشرع. ويزعم المعتزلي قيام القواطع على رؤية الله تعالى وعلى امتناع قيام علم أو كلام أو رحمة به تعالى»[٢].

٣ ـ إن من خطورة التأويل أنه يوشوش القلوب:

فإن القلوب تطمئن إلى معبودها إذا عرفته بصفاته وأسمائه ووثقت بالنصوص التي تحدثنا عنه، فإذا أصبحت النصوص مجالاً للتأويل والأخذ والرد فقدت هيبتها وضعفت الثقة بها وأدى ذلك إلى الجهل بالباري.

الشروط التي يجب توافرها في التأويل عند الأصوليين:

ذكرنا فيما سبق أن التأويل منه ما هو صحيح ومنه ما هو فاسد ومنه ما هو لعب بآيات الكتاب المنزل لكن هناك شروط لا بد من توافرها في التأويل الصحيح فما هي هذه الشروط:

الشرط الأول: أن يكون المعنى المجازي مما يراد به اللفظ.

وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له، وإن لم يكن له أصل في اللغة فتأويل الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

---

(١) إعلام الموقعين (٤/٣١٧ ـ ٣١٩).

(٢) شرح الطحاوية (١/٢٥٧).

ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] بالاستيلاء هذا ليس له معنى في اللغة ولا تقبله لغة العرب.

الشرط الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه.

الشرط الثالث: لا بد أن يسلم هذا الدليل الصارف عن العارض وإلا فإذا قام دليل قرآني وإيماني يبين أن الحقيقة مراده امتنع تركها.

ثم إن كان هذا الدليل قاطعاً لم يلتفت إلى نقيضه وإن كان ظاهراً فلا بد من الترجيح.



٩ ـ موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع

من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يبغضون أهل الأهواء والبدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم بل حتى ولا يناظرونهم لأنهم يرون صون آذانهم عن سماع ترهاتهم ويجتهدون في بيان حالهم وشرهم وتحذير الأمة منهم وتنفير الناس عنهم.

وأهل السنة يفرقون بين الجاهل والعالم من أهل البدع وبين المستتر والمعلن فيعاملون كلّاً حسب فعله واعتقاده وشره وأثره على الناس.

ومن علامات أهل الأهواء والبدع الجهل بمقاصد الشريعة، والفرقة والتفرق ومفارقة الجماعة، والجدل والخصومة، واتباع الهوى، وتقديم العقل على النقل، والجهل بالسنة، والخوض في المتشابه، والغلو في العبادة، والغلو في تعظيم الأشخاص، والتشبه بالكفار وبغض أهل السنة.

أصول البدع أربع فرق:

الروافض، والخوارج، والقدرية والمرجئة ثم تشعب من كل فرقة فرق كثيرة حتى بلغت اثنتين وسبعين فرقة كما أخبر بذلك نبينا محمد ﷺ.

جهود أهل السنة في محاربة أهل البدع.

أهل السنة دائماً بالمرصاد لأهل البدع يردون عليهم ويكشفون عوارهم ويوضحون للناس خطورتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلب».

وقال الفضيل بن عياض: «صاحب بدعة لا تأمنه على دينك ولا تشاوره في أمرك ولا تجلس إليه ومن جلس إلى صاحب بدعة أورثه العمى» أي: عمى القلب.

وقال عبد الله بن المبارك: «اللهم لا تجعل لصاحب بدعة عندي يداً فيحبه قلبي».

وقال سفيان الثوري: «من أصغى سمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم أنه صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه».

وقال الإمام أحمد: «احذر البدع كلها ولا تشاور أحداً من أهل البدع في دينك».



١٠ ـ الفرق بين العقيدة والتوحيد

ذكر العلماء فروقاً بين العقيدة والتوحيد ومن هذه الفروق:

١ ـ أنهما يجتمعان في أن كلّاً منهما يثبت الحق بدليله.

٢ ـ أن العقيدة أعم من التوحيد وذلك من جهة موضوعها فالعقيدة تقرر الحق بدليله وترد الشبهات وتبين ما يقدح في الأدلة الخلافية وتناقش الديانات والفرق أما التوحيد فإنه يقرر الحق بدليله فقط.

٣ ـ أن الإيمان بالكتب والرسل والملائكة واليوم الآخر والإيمان بالقدر تدخل في إطار العقيدة بالمطابقة وفي التوحيد بالاستلزام.



المبحث الثاني

التعريف بالتوحيد
مع بيان فضله وأهميته وثمراته

١ ـ تعريف التوحيد.
٢ ـ نصوص القرآن في تعظيم التوحيد.
٣ ـ نصوص السنة في تعظيم التوحيد.
٤ ـ آثار السلف في تعظيم التوحيد.
٥ ـ فضل التوحيد.
٦ ـ أهمية التوحيد وكلام بعض المحققين من العلماء في ذلك.
٧ ـ ثمرات التوحيد.
٨ ـ أسباب نمو التوحيد في القلب.

١ ـ تعريف التوحيد

التوحيد لغة: مصدر وحّد يوحّد أي: جعل الشيء واحداً وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحَّد وإثباته له.

والتوحيد شرعاً: هو إفراد الله بالعبادة وإثبات اتصافه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومشابهة المخلوق[(١)].

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في تعريف التوحيد: «توحيد الله هو إفراده بالعبادة عن إيمان وصدق وعن عمل لا مجرد كلام ومع اعتقاده بأن عبادة غيره باطلة وأن عباد غيره مشركون ومع البراءة منهم»[(٢)].



---

(١) أصول الدين الإسلامي للشيخ محمد بن سليمان التميمي (ص٧).

(٢) مجموع فتاوى سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٢٠).

٢ ـ نصوص القرآن في تعظيم التوحيد

غالب سور القرآن بل كل سورة منه فهي متضمنة للتوحيد وشاهدة به وداعية إليه بل التوحيد هو فاتحة القرآن العظيم وخاتمته.

فهو فاتحة القرآن كما في أول سورة الفاتحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وهو في خاتمة القرآن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وجميع آيات سورة الفاتحة تدل على التوحيد. وكثير من آيات الكتاب جاءت صريحة بالدعوة إليه.

بل إن جميع الرسل بعثوا بالتوحيد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وسورة الكافرون دعوة إلى التوحيد ومنابذة المشركين ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ وسورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾.

قال ابن القيم رحمه الله:

«وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة نوعي التوحيد. الأول: توحيد الإثبات والمعرفة؛ أي: توحيد الربوبية والأسماء والصفات، والثاني: توحيد الطلب والقصد وهو توحيد الألوهية ـ بل نقول قولاً كلياً: إن كل آية من القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن:

• إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، أي توحيد الربوبية.

• وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي؛ أي: توحيد الألوهية.

• وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهو حقوق التوحيد ومكملاته.

• وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده.

• وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم من العقبى من عذاب الله فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائه»[1].

قال شارح الطحاوية: «فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائه فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ توحيد ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ توحيد ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ توحيد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ توحيد ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ توحيد المتضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد الذين أنعم الله عليهم ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد.

وكذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد وشهدت به ملائكته وأنبيائه ورسله قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩] فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد والرد على جميع الطوائف الضلال فتضمنت أجلَّ شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود به»[2].

---

(١) انظر: شرح قصيدة ابن القيم (٢/ ٢٦٠).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ٤٣ ـ ٤٤).

٣ ـ نصوص السنة في تعظيم التوحيد

لقد اهتم رسولنا ﷺ بالتوحيد وأعلى مكانته ورفع أعلامه ودعا إليه عشر سنوات وهو في مكة وكان يخاطب الكفار قائلاً: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحون**»(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك إذ هذا تحقيق قولنا: لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف»(٢).

ومن الأحاديث التي تدل على أهمية التوحيد:

أ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له...**»(٣).

ب ـ وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق. أدخله الله الجنة**»(٤).

ج ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٦٣)، (٥/ ٣٧١).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٣٦).

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ٥٠ ـ ٩٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٥٠)، وصححه الألباني في الإرواء (٥/ ١٠٩) وفي صحيح الجامع رقم (٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٤٧٤ ـ الفتح)، ومسلم (١/ ٣١٠ ـ النووي).

«إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات...»[١].

د ـ وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، يا معاذ أتدري ما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم...»**[٢].

هـ ـ حديث جبريل حيث سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام قال رسول الله ﷺ: **«الإسلام أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة...»**[٣].

وغير هذه النصوص كثير يظهر منها تعظيم التوحيد وأنه أعظم ما أمر الله جل وعلا به عباده وأمر به رسوله ﷺ وأن جزاءه الجنة.



(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٦٧ ـ الفتح)، ومسلم (١/ ٢٧٢ ـ النووي).
(٢) أخرجه البخاري (١٢/ ٣٤٧ ـ الفتح)، مسلم (١/ ٣١٩٠ ـ النووي).
(٣) أخرجه البخاري (١/ ١١٤ ـ الفتح).

٤ ـ آثار السلف في تعظيم التوحيد

سار السلف الصالح على ما كان عليه نبيهم من الحرص على التوحيد ونشره وبيان معالمه ودلالة الناس عليه وإقامة الحجة وقد رفعوا راية التوحيد خفاقة في أرجاء المعمورة.

لقد انتشر صحابة رسول الله في كل البلاد التي فتحوها ينشرون التوحيد فيها مجتهدين غاية الاجتهاد في إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ظلمات الدنيا إلى سعة الآخرة.

أ ـ قال ابن مسعود ﷺ: «من سره أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

ب ـ وقال أبو العالية: «تعلموا الإسلام وعليكم بالصراط المستقيم وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء»[١].

ج ـ وكان ابن عباس يوصي فيقول: «عليكم بالاستقامة اتبعوا ولا تبتدعوا»[٢].

د ـ وقال ابن مسعود: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»[٣].

هـ ـ وقال الزهري: «الاعتصام بالسنة نجاة»[٤].

---

(١) الإبانة لابن بطة (١/ ٢٩٩).
(٢) المرجع السابق (١/ ٣١٤).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٥٥).
(٤) المرجع السابق (١/ ٥٦).

و ـ وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما يسعهم»[(١)].

وقد سار على هذا المنهج الصحابة والتابعون ومن بعدهم من الأئمة من أهل العلم والفضل ممن تحملوا أمانة تبليغ شرع الله ونشر التوحيد بين الخلائق في سائر الأمصار والأعصار وجهودهم في هذا الباب ظاهرة للعيان لا سيما في مجالين هامين:

أحدهما: مناظرة أصحاب الفرق الضالة والبدع المنحرفة وكشف زيغهم وفضح طرائقهم.

وثانيهما: تأليف الكتب في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة وذكر ما كان عليه السلف الصالح في هذا الباب فرحم الله الجميع رحمة واسعة وجمعنا بهم في جنات النعيم.



(١) المرجع السابق (١/ ١٥٤).

٥ ـ فضائل التوحيد

للتوحيد فضائل عظيمة وكثيرة منها:

أ ـ أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوباتهما.

ب ـ أنه يمنع دخول النار «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**»[1].

ج ـ ومنها أن صاحبه يحصل له الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة.

د ـ ومنها أنه السبب الوحيد لنيل رضا الرحمٰن وحصول ثوابه.

هـ ـ ومنها أن الموحد من أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ.

و ـ ومنها أن جميع الأعمال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها على التوحيد.

ز ـ ومنها أنه يسهل فعل الخير وترك الشر.

ح ـ ومنها أنه يحبب الإيمان ويزينه في قلب العبد ويكره إليه الكفر والفسوق والعصيان.

ط ـ ومنها أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم والخوف منهم ورجائهم ويجعله متصلاً بالخالق العظيم.

ي ـ ومنها أن العمل القليل معه يكون كثيراً ولذا رجحت كلمة الإخلاص بجميع الأعمال بل إن السماوات والأرض وما فيهن لا تعادلها.

ك ـ ومنها أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر والتأييد والعز في الدنيا والآخرة وأن الله يدافع عن الموحدين ويمن عليهم بالحياة الطيبة في الدنيا[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار برقم (٩٣).

(٢) انظر: بيان فضائل التوحيد في القول السديد لشرح كتاب التوحيد لابن سعدي رحمه الله ـ باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

٦ ـ أهمية التوحيد وكلام بعض المحققين من العلماء في ذلك

من أجل التوحيد أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وقام سوق الجنة والنار وانقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار وأبرار وفجار، ومن أجله وقعت الواقعة وحقت الحاقة وأسست الملة وجردت السيوف للجهاد وهو حق الله على جميع العباد وبه تقسم الأنوار ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قال ابن القيم رحمه الله: «اعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيأً أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به فإن حقيقة العبد روحه وقلبه ولا صلاح لها إلا بإلٰهها الذي لا إلٰه إلا هو فلا تطمئن الدنيا إلا بذكره...»[١].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «فالله الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره وأسّه ورأسه شهادة أن لا إلٰه إلا الله واعرفوا معناها وأحبوها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوا من أحبهم...»[٢].

وقال ابن سعدي: «أعظم الأصول التي يقررها القرآن ويبرهن عليها توحيد الألوهية والعبادة وهذا الأصل العظيم أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وأوجبها وألزمها لصلاح الإنسانية وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه وبوجوده يكون الصلاح وبفقده يكون الشر والفساد.

---

(١) طريق الهجرتين (٥٧، ٥٨).

(٢) تفسير كلمة التوحيد (ضمن مجموعة التوحيد) (ص٢٥٢).

وجميع الآيات القرآنية إما أمر به أو بحق من حقوقه أو نهي عن ضده أو إقامة حجة عليه أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة أو بيان الفرق بينهم وبين المشركين. . . »[(١)].

قال شارح الطحاوية: «اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ﷻ قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وهكذا كل الأنبياء هود وصالح وشعيب وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

إلى أن قال: «فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[(٢)] فهو أول واجب وآخر واجب» انتهى كلامه[(٣)].

ويمكن تلخيص أهمية التوحيد في النقاط التالية:

١ ـ أن العلم به من أشرف العلوم وتعليمها للناس على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة لأنه يدل على أشرف معلوم وهو الرب ﷻ فكلما كان المعلوم أعظم منزلة وأشرف مكانة كان العلم به أعلى وأكمل.

٢ ـ أن التوحيد هو أول دعوة الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فلم يكن الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ يبدأون أقوامهم بغير توحيد الله مع وجود انحرافات اجتماعية وأخلاقية واقتصادية وذلك لأن التوحيد هو القاعدة الأساسية لكل شيء قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

---

(١) القواعد الحسان (١٩٢).
(٢) رواه أبو داود (٣/٤٨٦) برقم (٣٦١٦).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢١ ـ ٢٣).

٣ ـ أن التوحيد هو أول واجب على المكلف من حيث تعلمه وفهمه ودراسته والعمل به والدعوة إليه لا كما يقول المبتدعة إن أول واجب النظر أو الشك دليل ذلك حديث معاذ المتقدم وقول النبي ﷺ له: «**وليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»(١).

٤ ـ أن النطق بكلمة التوحيد لا إله إلا الله هو أول ما يدخل به الإنسان في الإسلام، فلا دخول في الإسلام إلا بالتوحيد، فلو صام الإنسان أو حج ولم ينطق بكلمة التوحيد لا يحكم بإسلامه وإيمانه قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»(٢).

٥ ـ أن التوحيد هو الأساس لقبول أعمال العبد كلها فلو صلى العبد أو قام بالعبادات ولم يكن موحداً لله تعالى فإن أعماله كلها تكون هباءً منثوراً غير متقبلة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

٦ ـ ومن أهمية التوحيد أن حاجة العباد إليه فوق كل حاجة وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة لها إلا بمعرفة ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله.

٧ ـ ومن أهميته أيضاً أنه من العبادات التي لا يستغني عنها العبد طرفة عين فهو محتاج إليه في ليله ونهاره ومحياه ومماته بل هو ملازم له في أحواله كلها بخلاف العبادات الأخرى كالصلاة والصيام وغيرها حيث تؤدى في أوقات محددة.

٨ ـ ومن أهميته أنه ما شرع الجهاد في سبيل الله تعالى إلا من أجله وذلك لتبليغ الناس العقيدة الحقة والتوحيد الخالص فمن وقف في وجه الدعوة إليه أو عارضها وجب قتاله واستئصاله حتى يبلغ هذا التوحيد أرجاء المعمورة.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٢) برقم (١٣٣٩)، ومسلم (١/ ٧١ ـ ٥٢) برقم (٢٠).

قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلٰه إلا الله فإن فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»[(١)].

٩ ـ ومن أهمية التوحيد أنه آخر ما يخرج به المسلم من هذه الدنيا، فمتى ختم للعبد به سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً قال ﷺ: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إلٰه إلا الله دخل الجنة**»[(٢)].



(١) تقدم تخريجه (ص٤٦).

(٢) رواه أبو داود (٣/٤٨٦) برقم (٣٦١٦).

٧ ـ ثمرات التوحيد

جعل الله تعالى لكل عبادة شرعها لعباده آثاراً وثماراً، ولما كان التوحيد أعظم العبادات التي أوجبها الله على خلقه كانت ثماره من أعظم الثمار، وهذه جملة من آثار التوحيد وثماره:

١ ـ من أعظم ثمرات التوحيد انشراح الصدر فليس هناك أعظم من هذه الثمرة العظيمة قال تعالى في شأنها: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فالهداية للتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر فكلما قوي التوحيد وكمل في القلب كان انشراح صدر صاحبه أكمل وأقوى.

٢ ـ ومن ثمرات التوحيد أنه من أعظم الأسباب لتكفير الذنوب والسيئات دليل ذلك حديث أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال تعالى: «**يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»[1] فقوله ﷺ: «**لَا تُشْرِكْ بِي شيئاً**» أي: موحداً.

٣ ـ ومن ثمراته أنه يمنع صاحبه من الخلود في النار إذا كان في قلبه مثقال ذرة منه كما في حديث الشفاعة وقوله ﷺ فيه: «**أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**»[2]. أما إذا كان العبد قد كمل توحيده فإنه يمنعه من دخول النار بالكلية كما جاء في حديث عتبان بن

(١) رواه الترمذي (٥/٥٤٨) برقم (٣٥٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ٧٦).

(٢) رواه البخاري (١/ ٧٢) برقم (٢٢)، ومسلم (١/ ١٧٢) برقم (١٧٤).

مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**(١).

٤ ـ ومن ثمرات التوحيد أن الموحد من أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه قوله ﷺ: **«أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ونفسه»**(٢).

٥ ـ ومن ثمراته أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم فقلب الموحد معلق بربه خالق السماوات والأرض الذي بيده ملكوت كل شيء.

٦ ـ تحصيل ولاية الله وهي أعظم ما يتنافس فيه المتنافسون ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]. .

٧ ـ الفوز برضا الله ودار كرامته.

٨ ـ الدفاع عن المؤمنين الصادقين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

٩ ـ الهداية إلى الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: ٩] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

١٠ ـ ومن ثمرات الإيمان والتوحيد أنه يورث المحبة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦]. ؛ أي: بسبب إيمانهم يحبهم الله ويجعل لهم المحبة في قلوب المؤمنين.

١١ ـ ومن ثمراته رفعة أهله في الدنيا والآخرة ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

١٢ ـ ومن ثمراته حصول البشارة بكرامة الله والأمن التام من جميع

(١) رواه البخاري (١/٥١٩) برقم (٤٢٥)، ومسلم (١/٤٥٥) برقم (٤٥٦).
(٢) رواه البخاري (١/١٩٣) برقم (٩٩).

الوجوه قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣] قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

١٣ ـ ومن ثمراته الانتفاع بالمواعظ قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥].

١٤ ـ الإيمان يقطع الشكوك ويقضي على الوساوس والخطرات التي تؤثر على العبد وصدق الله ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥] أي: أن إيمانهم دفع الريب والشك وقاوم شبهات الشياطين والنفس الأمارة بالسوء فكل ذلك دواؤه الإيمان بإذن الله.



٨ ـ أسباب نمو التوحيد في القلب

من الأسباب التي تنمي التوحيد في القلب:

١ ـ فعل الطاعات رغبة بما عند الله تعالى.

٢ ـ ترك المعاصي خوفاً من عقاب الله تعالى.

٣ ـ التفكر في ملكوت السماوات والأرض.

٤ ـ معرفة أسماء الله تعالى وصفاته ومقتضياتها وآثارها وما تدل عليه من الجلال والكمال.

٥ ـ التزود بالعلم النافع والعمل به.

٦ ـ التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض.

٧ ـ دوام ذكر الله تعالى على كل حال باللسان والقلب.

٨ ـ إيثار ما يحبه الله عند تزاحم المحاب.

٩ ـ مجالسة أهل الخير والصلاح والاستفادة من كلامهم.

١٠ ـ أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه مع سلامة القلب من الغل للمؤمنين.

١١ ـ الرضا بتدبير الله وشكر نعمه والصبر عند النقم.



المبحث الثالث

كلمات في أنواع التوحيد

١ ـ أنواع التوحيد.
٢ ـ التوحيد المطلوب اعتقاده.
٣ ـ التوحيد الذي دعت إليه الرسل جميعاً.
٤ ـ توحيد الربوبية.
٥ ـ توحيد الألوهية.
٦ ـ توحيد الأسماء والصفات.

١ ـ أنواع التوحيد

لا بد من علم العبد واعتقاده واعترافه وإيمانه بتفرد الله بكل صفة كمال وتوحده في ذلك، واعتقاده أنه لا شريك له ولا مثيل له في كماله وأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ثم إفراده بأنواع العبادة، فدخل في هذا التعريف أقسام التوحيد الثلاثة وهي:

- توحيد الربوبية وهو الاعتراف بانفراد الرب بالخلق والرزق والتدبير والتربية.
- وتوحيد الأسماء والصفات وهو إثبات جميع ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله محمد ﷺ من الأسماء الحسنى وما دلت عليه من الصفات من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.
- وتوحيد العبادة وهو إفراد الله وحده بأجناس العبادات وأنواعها وإفرادها وإخلاصها لله من غير إشراك في شيء منها.

فهذه أقسام التوحيد التي لا يكون العبد موحداً حتى يلتزم بها كلها ويقوم بها. قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «توحيد الأنبياء ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: التوحيد الفعلي وهو إفراد الله بالمحبة والذل وسائر العبادات والتقربات وهو المسمَّى توحيد العبادة وتوحيد الإلٰهية وسمي توحيداً فعلياً لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح فهو توحيد الله بأفعال العبيد ولأنه لا يُتخذ له شريك ولا نديد.

والثاني: التوحيد القولي الاعتقادي وهو المشتمل على أقوال القلوب وهو اعترافها واعتقادها وعلى أقوال اللسان والثناء على الله بتوحيده، وهذا

النوع هو توحيد الأسماء والصفات الذي يدخل فيه توحيد الربوبية»[١].

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن سورتي الإخلاص هما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾ تضمنتا نوعي التوحيد فقال: فأما ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾ فهي متضمنة للتوحيد العملي الإرادي وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة، وأما سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فمتضمنة للتوحيد القولي والعملي.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي والثاني: التوحيد العقدي الإرادي لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة والثاني بالقصد والإرادة، وهذا الثاني أيضاً نوعان: توحيد في الربوبية وتوحيد في الألوهية فهذه ثلاثة أنواع»[٢].

وقال شارح الطحاوية: «فالتوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلٰهية وهو استحقاقه ﷻ أن يعبد وحده لا شريك له»[٣].

قال ابن سعدي في بيان معنى التوحيد: «حد التوحيد الجامع لكل أنواعه هو علم العبد واعتقاده واعترافه وإيمانه بتفرد الرب بكل صفة كمال وتوحده في ذلك واعتقاد أنه لا شريك له ولا مثيل له في كماله وأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ثم إفراده بأنواع العبادة، فدخل في هذا تعريف أقسام التوحيد الثلاثة:

---

(١) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية (مجموع مؤلفات ابن سعدي) (٣/ ٢١٢ ـ ٢١٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٣).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٤ ـ ٢٥).

أحدها: توحيد الربوبية وهو الاعتراف بانفراد الرب بالخلق والرزق والتدبير والتربية.

الثاني: توحيد الأسماء والصفات وهو إثبات جميع ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى وما دلت عليه من الصفات من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

الثالث: توحيد العبادة وهو إفراد الله وحده بأجناس العبادات وأنواعها وأجزاءها وإخلاصها من غير إشراك به في شيء منها فهذه أقسام التوحيد التي لا يكون العبد موحداً حتى يلتزم بها كلها ويقوم بها»[1].

ومن هنا يتبين لنا أن أنواع التوحيد التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: توحيد الربوبية.

النوع الثاني: توحيد الألوهية.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

ونظراً لأن هذه الأنواع الثلاثة مقام توحيد العبد عليها كان ولا بد من ذكر شيء من التفصيل لبيان هذه الأنواع الثلاثة.



(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ (٣ العقيدة/ ٦١).

٢ ـ التوحيد المطلوب اعتقاده

التوحيد المطلوب اعتقاده هو توحيد العبادة وذلك بأن تصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا التوحيد هو أصل الدين ومن أجله أرسلت الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأنزلت الكتب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما التوحيد الذي ذكر الله في كتابه وأنزل به كتبه وبعث به رسله واتفق عليه المسلمون من كل ملة فهو كما قال الأئمة: شهادة ألا إلٰه إلا الله وهو عبادة الله وحده لا شريك له...».

وقال «...وهذا هو الإسلام الذي لا يقبل الله لا من الأولين ولا من الآخرين ديناً غيره»[1].

قال شارح الطحاوية[2]: «فعُلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلٰهية الذي يتضمن توحيد الربوبية قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]».

وقال: «القرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد وبيانه وضرب الأمثال له وإلزامهم بعبادة الله وحده لأنهم يقرون أنه لا خالق إلا الله ومن أقرّ بذلك لزمه أن يعبد هذا الخالق...».

وقال: «وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره من أدل دليل أن مديره إلٰه واحد لا إلٰه للخلق غيره ولا رب لهم سواه».

---

(١) التسعينية ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٠٨ ـ ٢٠٩).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٣٢ ـ ٤١).

وقال: «وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١] وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧].



٣ ـ التوحيد الذي دعت إليه الرسل جميعاً

الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك ووسائله هي القضية الأولى التي جاء ذكرها في القرآن الكريم بين الرسل وأممهم قال تعالى مخبراً عما أرسل به جميع الرسل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فجميع الرسل كان أول وأهم ما دعوا إليه هو التوحيد توحيد الله بالعبادة وتقواه وطاعته وطاعة رسله.

فعقيدة التوحيد والخير والصلاح هي الأصل الذي كان عليه آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ والأجيال الأولى من ذريته كانوا على التوحيد الخالص، أما الشرك والضلال فهي أمور طارئة لم تحدث إلا بعد آدم بأزمان وأجيال وعلى التدريج.

قال شارح الطحاوية: «ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ليس كمثله شيء في ذلك كله كما أخبر به عن نفسه وكما أخبر رسوله ﷺ وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح.

والثاني: توحيد الطلب والقصد مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾.

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد بل كل سورة في القرآن فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم...»[١].



(١) شرح الطحاوية (١/ ٤١ ـ ٤٢).

٤ ـ الكلام على أنواع التوحيد الثلاثة

النوع الأول

توحيد الربوبية

أولاً: تعريفه:

ذكرنا فيما سبق أن توحيد الربوبية هو الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ رب كل شيء ومليكه وخالق كل شيء والمتصرف في هذا الكون وحده لا شريك له وأنه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير وتصريف جميع الأمور لجميع المخلوقات.

وهذا النوع من التوحيد هو الأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى لأن الخالق الرازق المدبر هو الجدير وحده بالتوجه إليه بالعبادة كما هو الجدير وحده بأن يوصف بصفات الجلال والكمال وأن ينزه عن كل عيب ونقص.

وقد جاءت الآيات الكثيرة تقرر هذا النوع من التوحيد بل إن الذي يستدل لإثبات هذا التوحيد هو نفسه دليل عليه لأنه مخلوق ولا بد له من خالق هو الله كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] فالفطر السليمة مجبولة على الإقرار بوجود الله وربوبيته سبحانه فكل العوالم عند الملمات والضوائق تلجأ إلى الله لما رُكِّب فيها من فطرة ألا ترى أن البهائم ترفع رؤوسها عند الشدائد تلجأ إلى خالقها سبحانه.

قال ابن القيم رحمه الله: «لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه، فإذا تفكر الإنسان في نفسه امتازت له آيات الربوبية وسطعت له أنوار اليقين واضمحلت عنه غمرات الشك والريب»(١).

وخلاصة التعريف لتوحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والرزق والملك والتدبير والإحياء والإماتة وغير ذلك مما يختص به الباري سبحانه وتعالى.

ثانياً: هل يكفي الإقرار بتوحيد الربوبية في دخول الإسلام؟

من أقر بتوحيد الربوبية فقط لم يكن مسلماً ولم يحرم دمه ولا ماله حتى يقر بتوحيد الإلهية فلا يعبد إلا الله وبهذا يتبين بطلان ما يزعمه علماء الكلام والصوفية أن التوحيد المطلوب من العباد هو الإقرار بأن الله هو الخالق المدبر ومن أقر بذلك فقد صار مسلماً وهذا من أبطل الباطل لأن هذا التوحيد ـ أعني توحيد الربوبية ـ أقر به جمهور الأمم حتى من أنكره في الظاهر هو مقر به في الباطن بل إبليس ـ لعنه الله ـ كان مقراً بتوحيد الربوبية فقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩] وقال تعالى في حق المشركين: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧] فكان المشركون مقرين بأن لهم رباً خلقهم ورزقهم ومع ذلك لم يدخلهم ذلك في الإسلام.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كشف الشبهات: «فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو ولا يحيي ولا يميت إلا هو ولا يدبر الأمر إلا هو وأن جميع السماوات ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره فإذا أردت الدليل أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ

(١) مدارج السالكين (٣/ ٥١٠).

وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١] وقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩] إلى غير ذلك من الآيات.

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ وعرفت التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد»[1].

وخلاصة القول هنا أن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما ينزه عنه وأقر بأنه وحده خالق كل شيء وأقر بجميع الربوبية لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له؛ أي: لا بد من الإتيان بتوحيد الإلٰهية؛ أي: توحيد العبادة فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى.

ثالثاً: الطوائف التي أشركت في توحيد الربوبية:

إن مما ينبغي أن يعلم أن الشرك الذي وقع فيه غالب الأمم السابقة إنما هو الشرك في ألوهية الله تعالى؛ أي: الشرك في عبادته سبحانه وقد ذكرنا شيئاً من ذلك لكن هل هناك أحد أشرك في ربوبيته سبحانه؟ نعم هناك بعض الطوائف التي أشركت في ربوبية الله تعالى، من هذه الطوائف:

١ ـ النصارى حيث يعتقدون أن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يحيي الموتى وأن له تأثيراً في الكون والرزق.

٢ ـ والمجوس يعتقدون أن ثمة إلٰهين اثنين: إلٰه النور وإله الظلمة وشابهتهم المعتزلة في ذلك إذ اعتقدوا أن العبد هو الخالق لفعله بمعزل عن الله ولهذا سموا مجوس هذه الأمة.

---

(١) رسالة كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

٣ ـ ومن ذلك الشيوعيون الذين يقولون أنه لا إله والحياة مادة وهم يشابهون الدهرية الذين قالوا: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

٤ ـ ومن ذلك ما فيه عبّاد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت فيقضون الحاجات ويفرجون الكربات وينصرون من دعاهم ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم فإن هذا من خصائص الربوبية.



النوع الثاني

توحيد الألوهية

أولاً: تعريفه:

وهو توحيد العبادة أو توحيد القصد والطلب وحقيقته إفراد الله سبحانه بأفعال العباد التي تعبَّدهم بها من صلاة وزكاة وصيام وحج وذبح ونذر ودعاء وخوف ورجاء وتوكل ورغبة ورهبة وغير ذلك من أنواع العبادة التي عرفها أهل العلم بأنها «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».

وقد اشتد اهتمام علماء أهل السنة بتوحيد العبادة وضرورة الإخلاص لله ـ جل وعلا ـ وعدم الوقوع في الشرك الذي لا يغفره الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

وهذا التوحيد هو الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين موحدين لهم السعادة والفوز والتمكين في الدنيا ولهم الجنة والنعيم المقيم في الآخرة وإلى كافرين لهم الخزي والهوان والذلة والخسران في الدنيا ولهم النار والجحيم والعذاب الدائم في الآخرة.

وكثير من آيات الكتاب جاءت تقرر هذا النوع من التوحيد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وجاء في حديث معاذ «**أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت: لا، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله**

إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم»[١].

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية لأن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً لا بد أن يكون قد اعتقد في قرارة نفسه أنه إنما يعبد إلٰهه الذي خلقه وأوجده من العدم ورباه بالنعم وأنه هو الذي يملك ضره ونفعه وحياته وموته ورزقه.

وهو متضمن لتوحيد الأسماء والصفات لأن من أخلص لله في عبادته لا بد أن يثبت لله جميع الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف أو تعطيل ومن غير تكييف أو تمثيل كما قال تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

ثانياً: أهمية توحيد الألوهية:

يُعد توحيد الألوهية أهم أنواع التوحيد لأن الله تعالى ما أرسل الرسل وأنزل الكتب إلا من أجله بل ما سلت السيوف ونادى منادي الجهاد وانقسم الناس إلى مؤمنين وكافرين إلا من أجل هذا النوع من أنواع التوحيد.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله: «وهذا النوع زبدة رسالة الله لرسله فكل نبي يبعثه الله يدعو قومه بقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهو الذي خلق الخلق لأجله وشرع الجهاد لإقامته وجعل الثواب الدنيوي والأخروي لمن قام به حقيقة والعقاب لمن تركه وبه يحصل الفرق بين أهل السعادة القائمين به وأهل الشقاوة التاركين له فعلى العبد أن يبذل جهده

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد برقم (٧٣٧٣) (١٢/٣٤٧)، ومسلم في كتاب الإيمان برقم (٥٠) (١/٣١٩).

في معرفته وتحقيقه والتحقق به ويعرف حده وتفسيره ويعرف حكمه ومرتبته. . . »[(١)].

ثالثاً: أسس توحيد الألوهية وقوامه:

أسس هذا التوحيد وقوامه ثلاثة أشياء:

أولاً: توحيد الإخلاص لله وحده.

فلا يكون للعبد مراد غير مراد واحد وهو العمل لله وحده دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

ثانياً: توحيد الصدق.

وهو توحد إرادة العبد في إرادته وقوة إنابته لربه وكمال عبوديته، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

ثالثاً: توحيد الطريق.

وهو متابعة النبي ﷺ فلا يعبد الله إلا من طريقه ﷺ دليل ذلك: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

رابعاً: أدلة توحيد الألوهية:

جاءت نصوص الكتاب والسنة المستفيضة لوجوب إفراد الله تعالى بالعبادة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

وقوله تعالى لنبيه: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ [قريش: ٣] وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ (٣ العقيدة الإسلامية/ ٢٦٨).

ومن السنة حديث معاذ رضي الله عنه المتقدم وقوله ﷺ فيه: «**حق العباد على الله أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»(١).

خامساً: أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الإلٰهية:

ذكرنا سابقاً أن توحيد الربوبية كان يقر به المشركون وذلك بموجب ما أودعه الله في فطرهم ونظرهم في الكون وكان الإقرار بهذا التوحيد غير كاف في الإيمان بالله ولا ينجي صاحبه من العذاب.

من أجل ذلك جاءت دعوة الرسل مركزة على توحيد الإلٰهية لأن الخصومة فيه ومن هنا ركز رب العزة جل جلاله في القرآن الكريم على هذا النوع من التوحيد وتعددت أساليب القرآن في الدعوة إليه وهذه جملة من ذلك:

١ ـ أمره جل جلاله بعبادته وترك عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ ـ ٢٢].

٢ ـ إخباره جل جلاله أنه خلق الخلق لعبادته كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

٣ ـ إخباره أنه أرسل جميع الرسل بالدعوة إلى عبادته والنهي عن عبادة ما سواه كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٤ ـ الاستدلال على توحيد الإلٰهية بانفراده بالربوبية كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] وقوله: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧] وقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٦).

سادساً: علاقة توحيد الإلٰهية بتوحيد الربوبية والعكس:

وعلاقة أحد النوعين بالآخر أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلٰهية بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الإلٰهية والقيام به، فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له.

وتوحيد الإلٰهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الإلٰهية، فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً فلا بد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه وخالقه.

والربوبية والألوهية تارة يذكران معاً فيفترقان في المعنى ويكون أحدهما قسيماً للآخر كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [الناس: ١ ـ ٢] فيكون معنى الرب هو المالك المتصرف في الخلق ويكون معنى الإلٰه أنه المعبود بحق المستحق للعبادة وحده.

وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر فيجتمعان في المعنى كما في قول الملكين للميت في القبر: «من ربك» ومعناه: من إلٰهك وخالقك؟ وكما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] فالربوبية في هذه الآيات هي الإلٰهية(١).

سابعاً: الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية:

ذكر أهل العلم أن هناك فروقاً بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، من هذه الفروق:

١ ـ الاختلاف في الاشتقاق.

فالربوبية مشتقة من اسم الله «الربّ» والألوهية مشتقة من لفظ الجلالة «الإلٰه».

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان (ص٢٣ ـ ٢٤).

٢ ـ أن متعلق الربوبية الأمور الكونية كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحوها.

ومتعلق الألوهية: الأوامر والنواهي من الواجب والمحرم والمكروه.

٣ ـ أن توحيد الربوبية قد أقر به المشركون أما توحيد الألوهية فقد رفضوه كما قال تعالى في كتابه عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

٤ ـ أن توحيد الربوبية مدلوله علمي أما توحيد الألوهية فمدلوله عملي.

٥ ـ أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية أما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية على ما ذكرنا سابقاً.

٦ ـ أن توحيد الربوبية لا يدخل من آمن به في الإسلام بعكس توحيد الألوهية فإن الإيمان به يدخل في الإسلام.

٧ ـ أن توحيد الربوبية توحيد الله بأفعاله هو كالخلق ونحوه، أما توحيد الألوهية توحيد الله بأفعال عباده من الصلاة والزكاة والصوم والخشية والرغبة والرهبة وغير ذلك من أنواع العبادة.

ثامناً: ما يضاد توحيد الألوهية:

يضاد توحيد الألوهية ثلاثة أشياء:

١ ـ الشرك وهو يذهب توحيد الألوهية كلية وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

٢ ـ البدع التي تذهب بكماله وسوف نتحدث عنها إن شاء الله.

٣ ـ المعاصي التي تقدح فيه وتعكر صفوه وتنقص ثوابه.

تاسعاً: الفرق التي أشركت في توحيد الألوهية:

الفرق التي أشركت في توحيد الألوهية كثيرة منها:

١ ـ اليهود، الذين عبدوا العجل ولا يزالون يعبدون الدرهم والدينار.

٢ ـ النصارى، وذلك بادعائهم ألوهية المسيح عليه السلام وعبادتهم له.

٣ ـ الرافضة، الذين يؤلهون علياً ويدعونه من دون الله ويتوجهون إليه بالسؤال في كشف الكربات وغير ذلك مما هو من خصائص الرب تبارك وتعالى.

٤ ـ الصوفية وعباد القبور، الذين غلوا في الأولياء فصرفوا لهم أنواع العبادة كدعائهم من دون الله وكذا بصرف أنواع العبادة لهم من ذبح ونذر وطواف حول قبورهم وغير ذلك مما لا يجوز صرفه إلا لله تعالى.



النوع الثالث

١ ـ توحيد الأسماء والصفات

١ ـ تعريفه.

٢ ـ نشأته.

٣ ـ الأسس التي قام عليها.

٤ ـ أدلته.

٥ ـ طريقة القرآن في عرضه.

٦ ـ كيفية تحقيقه.

٧ ـ أهمية العلم بأسماء الله وصفاته.

* * *

أولاً: تعريفه:

هو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من صفات الكمال ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ثانياً: نشأته:

هذا النوع من التوحيد لم يكن معروفاً عند السلف بهذا الاسم بل كانوا لا يرونه منفصلاً عن توحيد الربوبية إنما هو نوع منه إذ يرون أن التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الألوهية والعبادة.

لكن لما كثر الكلام وظهرت الفرق وكثر التأويل والتعطيل وقيل بالتشبيه

والتمثيل اضطر علماء السنة والجماعة إلى إفراد الأسماء والصفات وجعلها نوعاً مستقلاً من أنواع التوحيد.

قال الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ: «وهذا القسم ـ توحيد الأسماء والصفات ـ قد جحده الجهمية وتلاميذهم من المعتزلة والأشاعرة وهو في الحقيقة داخل في توحيد الربوبية لكن لما كثر منكروه وروجوا الشبه حوله أفرد بالبحث وجعل قسماً مستقلاً وألفت فيه المؤلفات...»[(١)].

ثالثاً: الأسس التي قام عليها توحيد الأسماء والصفات:

قد أقام أهل السنة والجماعة هذا النوع من التوحيد على مرتكزات ثلاثة:

الأول: الإثبات لجميع الأسماء والصفات التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على ما يليق به سبحانه مع اعتقادهم أنها دالة على معان ثابتة كاملة في نفس الأمر.

الثاني: التنزيه:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله وأن إثبات ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يقتضي تشبيهاً ولا تمثيلاً.

الثالث: قطع النظر عن إدراك الكيفية.

لما كانت الإحاطة بذات الباري سبحانه مستحيلة كما أخبر بذلك ﷻ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠] كانت معرفة صفاته ﷻ مستحيلة أيضاً ولا سبيل إلى إدراكها لأن معرفة كيفية الصفة تتوقف على معرفة كيفية الذات وما دمنا لا نقدر على معرفة كيفية الذات الإلٰهية فكذلك نحن عاجزون عن إدراك كيفية الصفات ولذا لما سئل الإمام مالك عن الاستواء قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[(٢)].

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص١١٩).

(٢) شرح أصول عقيدة أهل السنة والجماعة للالكائي برقم (٦٦٤).

رابعاً: أدلة إثبات توحيد الأسماء والصفات:

جاءت نصوص الكتاب السنة تدل دلالة واضحة على إثبات توحيد الأسماء والصفات والنصوص في ذلك كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله تعالى: **﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾** [الحشر: ٢٣ ـ ٢٤].

أما دلالة السنة فمنها قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**»[١].

خامساً: طريقة القرآن الكريم في عرض توحيد الأسماء والصفات:

جاءت نصوص القرآن الكريم في إثبات أسماء الله وصفاته بطريقتين:

الطريقة الأولى: وهي الطريقة العامة وذلك باستغراق أفراد الكمال كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ أي: السيد الذي انتهى سؤدده لما له من صفات الكمال، وقوله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠] فنزه نفسه عما لا يليق بكماله المقدس.

الطريقة الثانية: الطريقة الخاصة وذلك بأن تأتي الآيات لتنص على أفراد الكمال واحداً واحداً كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥] وقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وغير ذلك من الآيات وهي كثيرة جداً في كتاب الله.

(١) رواه البخاري (٥/ ٣٥٤) برقم (٢٧٣٦)، ومسلم (٢/ ٢٠٦٢) برقم (٢٦٧٧).

سادساً: كيفية تحقيق توحيد الأسماء والصفات:

يتحقق هذا التوحيد بإثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

سابعاً: أهمية العلم بأسماء الله وصفاته:

ذكرنا فيما سبق أهمية التوحيد إجمالاً؛ أي: بأنواعه الثلاثة لكن لما كان توحيد الأسماء والصفات كان له النصيب الأعظم والأوفر في كتاب الله تعالى حيث معظم آيات الكتاب الكريم نراها إما أن تبدأ بالتنويه عليه كقوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ وهكذا في غالب سور القرآن وإما أن تختم الآيات به كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وغير ذلك من الآيات التي تختم به، ولهذا كان ولا بد من بيان أهمية هذا النوع من التوحيد فنقول ـ وبالله التوفيق ـ:

من أهمية العلم بتوحيد الأسماء والصفات:

١ ـ أن العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله، فلا طريق للعباد في التعرف على خالقهم إلا من خلال المعرفة بأسماء الله وصفاته عبر النصوص الموضحة له والمعرفة بأفعاله وصفاته وذلك لأن الرب ﷻ غيب لا يرى في الحياة الدنيا.

ولا يستطيع العباد إدراك حقيقة العبودية وتحقيقها قولاً وعملاً إذا لم يعرفوا صفات الباري ـ جل وعلا ـ.

٢ ـ تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية لله تعالى.

إن العلم بأسماء الله وصفاته هو العاصم من الزلل والمقيل من العثرة والفاتح لباب الأمل والمعين على الصبر والواقي من الخمول والكسل.

إن النفوس قد تهفوا إلى مقارنة الفواحش والذنوب فتتذكر أن الله يراها

ويبصرها وتذكر وقوفها بين يديه.. فتجانب المعصية وتخاف من سخطه وعقابه وحينما يقع الإنسان في الذنوب والمعصية يتذكر سعة رحمة الله التي هي صفة من صفاته فلا يتمادى في الخطيئة ولا يوغل في طريق الهاوية بل يعود إلى الله ربه التواب الرحيم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضرر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً.

وعلمنا بسمعه وبصره وعلمه يقضي بأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السمٰوات ولا في الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يثمر للعبد حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يُرضي الله ويجعل تعليق هذه الأعضاء بما يحبه ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطناً ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح... إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات»[1].

٣ ـ ومن أهمية العلم بأسماء الله وصفاته أنه أشرف العلوم.

إذا كانت علوم الدين أفضل العلوم والعالم بها أفضل الناس، فإن العلم الذي يعرفنا بالله أفضل من غيره من العلوم وأعرف الناس بربهم هم أهل المعرفة بأسماء الله وصفاته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] فأهل الخشية هم أهل المعرفة به وبأسمائه وصفاته.

٤ ـ ومن أهمية العلم بأسمائه وصفاته ـ جل وعلا ـ أنها تزيد الإيمان.

فمتى كان العبد عالماً بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه وكلما كان غير عالم بها نقص إيمانه.

إن العلم بأسماء الله وصفاته والفقه لمعناها والعمل بمقتضاها وسؤال الله بها يوجد في قلوب العابدين تعظيم الباري وتقديسه ومحبته ورجاءه وخوفه والتوكل عليه والإنابة إليه.

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٩٠).

ثامناً: عظم ثواب من أحصى أسماء الله تعالى:

ينال الحافظ لأسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ العارف بمعناها العامل بمقتضاها من الأجر ما لا يعلمه إلا الله روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**»(١).

تاسعاً: معنى الإحصاء لأسماء الله تعالى كما جاء في حديث أبي هريرة:

اختلف أهل العلم في المراد بالإحصاء الوارد في حديث أبي هريرة قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**».

فقيل المراد به: الإحاطة بمعانيها.

وقيل المراد به: العمل بمقتضاها مع فقه معناها.

وقيل المراد بالإحصاء: هو عدّها حتى يستوفيها حفظاً وهذا هو الصواب.

يدل على صحة ذلك أنه جاءت رواية أخرى في صحيح البخاري بلفظ «**لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر**»(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: «قال النووي: قال البخاري وغيره من المحققين: معنى أحصاها: حفظها وهذا هو الأظهر لثبوته نصاً في الخبر».

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «لما ثبت في بعض طرق الحديث «**من حفظها**» بدل «**من أحصاها**» اخترنا أن المراد العدّ؛ أي: من عدّها ليستوفيها حفظاً»(٣).



---

(١) رواه البخاري برقم (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).
(٢) انظر كلام ابن حجر في: الفتح (١١/٢٢٦).
(٣) فتح الباري (١١/٢٢٦).

٢ ـ الصفات الواجبة لله إجمالاً

١ ـ مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات.

٢ ـ الطوائف التي ضلت في الصفات والتعريف بهم.

أ ـ الجهمية.

ب ـ المعتزلة.

ج ـ الأشعرية.

٣ ـ الرد على المخالفين لأهل السنة.

٤ ـ ذكر بعض الشبهات التي اعتمد عليها المخالفون مع الرد عليهم.

* * *

١ ـ مذهب أهل السنة والجماعة في الصفات

يرى أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبته الخالق لنفسه مما نطق به وحيه أو شهد له به رسوله ﷺ على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقلته العدول الثقات ويثبتون لله ما أثبته لنفسه دون تشبيه لصفاته بصفات خلقه ودون تحريف بها عن معانيها الحقيقية كما فعل المعتزلة والجهمية والقاعدة عندهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهم يعتمدون في الإثبات على قاعدتين هامتين ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المحققين:

الأولى: أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر فإن من أثبت بعض الصفات كالحياة والقدرة والإرادة والكلام ويجعل ذلك كله حقيقة ثم ينكر المحبة والرضا والغضب ويجعل ذلك مجازاً يقال له: ما الفرق بين ما أثبته وما نفيته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر.

الثانية: القول في الصفات كالقول في الذات فالله له ذات لا تشبه ذوات المخلوقين وكذلك صفاته وأفعاله لا تشبه صفات المخلوقين وأفعالهم(١).

وبهاتين القاعدتين نرد على من قال: إن مذهب السلف هو التفويض وليس الإثبات.

فمنهج أهل السنة والجماعة في كل ذلك الإيمان الكامل بما أخبر به الله وأخبر به رسوله ﷺ والتسليم به كما قال الإمام الزهري: «من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم».

وكما قال الشافعي: «آمنت بالله وبما جاء عن الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله».

وما قال الإمام مالك: «أهل البدع هم الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»(٢).

وينبغي لكل مسلم أن يسلك مسلك السلف في عدم الخوض في الكيفية والاقتصار على ما جاءت به النصوص فهذا أسلم وأحكم وأعلم وأبرأ للذمة.

٢ ـ مخالفو أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته

أ ـ الجهمية:

أولاً: التعريف بهم:

هم أتباع الجهم بن صفوان المعروف الذي جاء ببدعة النفي في الإسلام، هذه البدعة الشنعاء الجامعة لشرور كثيرة أعظمها نفي صفات الله تعالى التي تواترت في الكتاب والسنة واتفق عليها جميع الأمة ولكن هؤلاء أعني الجهم بن صفوان وشيعته أتوا بأمور عظيمة في باب أسماء الله وصفاته. مجمل هذه الأمور ما يلي:

---

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ١٧، ٢٧).

(٢) انظر في ذلك: الرسالة المدنية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢١) مع الفتوى الحموية.

ثانياً: مذهب الجهمية في أسماء الله وصفاته:

١ ـ زعموا أن الله معطل عن صفات الكمال.

٢ ـ وأنه ليس على العرش رب يعبد وأن حظ العرش منه كحظ الأرض السابعة السفلى.

٣ ـ وقالوا أيضاً أن الله ليس له سمع ولا بصر ولا قدرة ولا علم ولا إرادة ولا رحمة ولا وجه ولا يدان وليس له صفة تقوم به فهو ذات مجردة عن الأوصاف خالية من المعاني والنعوت.

٤ ـ وزعموا أيضاً أنه تعالى ليس له خليل من خلقه فنفوا محبة الله وخلته عمن اصطفاه من عباده.

٥ ـ وزعموا أنه سبحانه لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً فأنكروا صريح الكتاب والسنة وفسروا معنى الخليل الفقير إلى الله.

٦ ـ وقالوا بأن القرآن مخلوق ولم يتكلم الله به.

ولا شك أن أصحاب هذه المقالات المذكورة آنفاً؛ أي: المقالات المنحرفة في أسماء الله وصفاته قد فتحوا باب شرٍ على هذه الأمة وأفسدوا بمقالاتهم هذه كثيراً من النفوس والقلوب.

ومن هنا شكك كثير من أهل العلم في ولاء أصحاب هذه المقالات للإسلام وأهله وأشاروا إشارة واضحة إلى أن مقصد هؤلاء كان إفساد هذا الدين ولذلك نرى أن الكثير من أهل العلم يرمون الجهم بالزندقة وأنه ضال مبتدع.

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمن صغار التابعين»[1].

ثالثاً: أثر الجهمية على من جاء بعدهم:

قد يظن بعض أهل العلم أن مقالة الجهمية في نفي الصفات قد غاضت

(١) ميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦).

وزالت بزوال قائلها ودعاتها ولكن العالم بالفرق ومقالاتهم يعلم أن كثيراً من الأصول التي أصلها الجهمية والتأويلات التي ابتدعوها لم يزل لها وجود على مر التاريخ الإسلامي وقد تبناها وذهب إليها من يدعي أنه من أهل الحق وحسبنا أن نعلم أن المعتزلة كانت امتداداً للجهمية وفرعاً من فروعها[١].

فقد يظن أن الجهمية أمست أثراً بعد عين مع أن المعتزلة فرع منها وهي في الكثرة تعد بالملايين، على أن المتكلمين المتأخرين المنسوبين للأشعري يرجع كثير من مسائلهم إلى مذهب الجهمية كما يدريه المتبحر في فن الكلام[٢].

وبناء على ما ذكرناه يتضح لنا أن كل من انحرف عن مذهب السلف فنفى صفة من صفاته أو أوّلها بغرض نفيها وعدم وصف الله بها ولم يكن لتأويله دليل يعرف فإنه يكون قد سلك مسلك الجهمية في نفيه لأسماء الله وصفاته.

وخلاصة القول في الجهمية أنهم مبتدعة شبهوا الله بخلقه والله منزه عن ذلك كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فصفات الله كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا.

قال نعيم بن حماد: «من شبَّه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه»[٣].

---

(١) الأسماء والصفات لعمر سليمان الأشقر (ص١٦٧).
(٢) تاريخ الجهمية والمعتزلة (ص٩).
(٣) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ للالكائي (٣/ ٤٠٦)، ومختصر العلو للذهبي (ص١٨٤).

وعلامة الجهمية كما قال أهل العلم: دعواهم على أهل السنة والجماعة ما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة بل هم المعطلة، قال كثير من أئمة السلف: علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة فإنه ما من أحد من نفاة شيء من الأسماء والصفات إلا يسمي المثبت لها مشبهاً.

والجهمية هم أهل التعطيل الذين عطلوا مدلولات الأشياء فجردوا الخالق عن صفات الكمال.

ب ـ المعتزلة:

اعتمدت هذه الفرقة في فهم العقيدة على العقل المجرد وسبب التسمية اعتزال واصل ابن عطاء رأسهم لحلقة شيخه الحسن البصري حينما قال واصل: إن صاحب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً بل هو في منزلة بين المنزلتين. فقال الحسن: اعتزلنا واصل.

وهم الذين قالوا بخلق القرآن وأحدثوا في المسلمين فتنة عظيمة رفعها المتوكل رَحِمَهُ اللَّهُ. وأصولهم خمسة:

١ ـ التوحيد ومعناه عندهم نفي الصفات واستحالة رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ.

٢ ـ العدل ويعني في نظرهم أن الله لا يخلق أفعال العباد بل هم الذين يخلقونها.

٣ ـ الوعد والوعيد؛ أي: أن الله يجزي المحسن إحساناً والمسيء إساءة ولا يغفر لمرتكب الكبيرة بل هو مخلد في النار.

٤ ـ المنزلة بين المنزلتين بمعنى أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر بل هو بمنزلة بين المنزلتين.

٥ ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعناه عندهم وجوب الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحق دون تفصيل وضوابط لذا طعنوا في الأئمة وخلفاء الصحابة وأحدثوا فتناً عظيمة جرت الويلات على المسلمين.

خلاصة مذهب المعتزلة في صفات الله:

تقول المعتزلة: «إن الله عليم بذاته بصير بذاته سميع بذاته لا بعلم وسمع وبصر وهكذا يقولون في بقية صفات الله تعالى فهو عندهم سميع بلا سمع بصير بلا بصر قدير بلا قدرة عليم بلا علم فقد أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات التي تدل عليها هذه الأسماء وتشتق منها.

والذي دعاهم إلى ذلك أنهم زعموا أن إثبات الصفات يؤدي إلى تعدد القدماء وهذا ينافي التوحيد.

وقالوا: هذه الصفات أعراض، والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز وكل متحيز فجسم مركب أو جوهر فرد ومن قال بذلك فهو مشبه لأن الأجسام متماثلة هذا هو قولهم في صفات الله تعالى.

ج ـ الأشاعرة:

نسبتهم: تنسب إلى أبي الحسن الأشعري الذي استقر به الحال على مذهب أهل السنة والجماعة.

وأهم أفكار الأشاعرة:

أ ـ مصدر التلقي عندهم الكتاب والسنة لكن لا على منهج السلف وفهمهم ولكن حسب قواعد علم الكلام ولذا يقدمون العقل على النقل عند التعارض.

ب ـ عدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة لأنها حسب زعمهم لا تفيد العلم اليقيني وهذا مخالف لمنهج السلف ويترتب عليه ضياع أحكام وإهمال عقائد الإسلام وقد ثبت عنه ﷺ أنه يرسل الرسل فرادى لتبليغ دين الله كإرساله لمعاذ رضي الله عنه إلى اليمن.

ج ـ يؤلون الصفات الذاتية كالوجه واليدين والعين والقدم والأصابع وهذا باطل والحق إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات من غير تأويل ولا تعطيل أو تشبيه أو تمثيل مع قطع النظر عن إدراك الكيفية.

٣ ـ الرد على المخالفين في باب الصفات

سمّى الله ـ جل وعلا ـ صفاته علماً وقدرة وقوة وكذلك رسوله سمّى هذه الصفات كذلك والمخلوق موصوف بهذه الصفات ولكن ليس العلم كالعلم والقوة كالقوة فمن نفى صفة من صفاته التي وصف بها نفسه كالرضى والغضب والمحبة والبغض ونحو ذلك وزعم أن ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم قيل له: فأنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر مع أن ما تثبته له ليس مثل صفات المخلوقين فقل فيما نفيته وأثبته الله ورسوله مثل قولك فيما أثبتَّه إذ لا فرق بينهما.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً من الصفات، قيل له: فأنت تثبت له الأسماء الحسنى مثل حي عليم قدير والعبد يسمَّى بهذه الأسماء وليس ما يثبت للرب من هذه الأسماء مماثلاً لما يثبت للعبد فقل في صفاته نظير قولك في مسمَّى أسمائه.

فإن قال: وأنا لا أثبت له الأسماء الحسنى بل أقول هي مجاز وهي أسماء لبعض مبتدعاته كقول بعض الغلاة من الباطنية والمتفلسفة.

قيل له: فلا بد أن تعتقد أنه موجود حق قائم بنفسه والجسم موجود قائم بنفسه وليس هو مماثلاً له.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً بل أُنكر وجود الواجب.

قيل له: معلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه وإما غير واجب بنفسه وإما قديم أزلي وإما حادث كائن بعد أن لم يكن، وإما مخلوق مفتقر إلى خالق وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق وإما فقير إلى ما سواه وإما غني عما سواه.

وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه والحادث لا يكون إلا بقديم والمخلوق لا يكون إلا بخالق والفقير لا يكون إلا بغني عنه فقد لزم على تقدير النقيضين وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي خالق غني عما سواه وما سواه بخلاف ذلك.

ولذا فمنهج السلف الإثبات المفصل للصفات والنفي المجمل وهذه طريقة القرآن. ولذا أهل السنة يجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده.

٤ ـ ذكر بعض الشبه التي اعتمد عليها نفاة الصفات والرد عليها

الشبهة الأولى:

زعم نفاة الصفات أن نفيهم للصفات إنما يراد به تنزيه الباري لأن إثبات الصفات بمعنى تشبيه الباري بخلقه ومن هنا رموا أهل السنة والجماعة الذين يثبتون ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ رموهم بأنهم المشبهة كما ذكرنا ذلك من قبل.

الشبهة الثانية:

زعم هؤلاء أيضاً أن إثبات الصفات يؤدي إلى خلع الصفات البشرية على الذات الإلهية فهو يؤدي عندهم إلى التجسيم والتركيب والتحيز وغير ذلك من الألفاظ التي أطلقوها.

الشبهة الثالثة:

يقولون: إن الجسم محدود متناهي، فلو كان لله صفات لكان محدوداً متناهياً وذلك لا بد أن يكون له مخصص خصصه بقدر دون قدر وما افتقر إلى مخصص لم يكن غنياً قديماً واجب الوجوب بنفسه.

الشبهة الرابعة:

قالوا: لو أثبتنا له الصفات لكان جسماً ولو كان جسماً لكان مماثلاً لسائر الأجسام فيجوز عليه ما يجوز عليها ويمتنع عليه ما يمتنع عليها وذلك ممتنع على الله تعالى.

الشبهة الخامسة:

أن إثبات الصفات القديمة للباري يعني أننا جعلنا لله نداً ومثلاً والله تعالى نهانا عن ذلك وعدَّ هذا شركاً.

الرد على شبه نفاة الصفات

أولاً: ليس لنفاة الصفات دليل من الكتاب والسنة ولا من كلام سلف الأمة:

فلو كان قولهم صواباً لأتت به نصوص الكتاب والسنة مؤيدة له آمرة به فإن القضية الكبرى التي جاء بها الوحي الإلٰهي هي تعريف العباد بربهم فكيف يكون طريق معرفة الله وتوحيده هو نفي الصفات ثم لا يأمرنا الله به لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب.

ثانياً: إثبات الصفات ليس تشبيهاً:

ما زعمه نفاة الصفات من أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه زعم باطل لأن إثبات الصفة يقتضي تشبيه الخالق بالمخلوق فإن أسماء الله تعالى وصفاته خاصة به دون خلقه ولا يقتضي الاتفاق في الاسم العام عند الإطلاق تماثل صفات الخالق والمخلوق في مسمى ذلك الاسم عند إضافته إلى الباري أو تخصيصه أو تقييده به.

فقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فيه نفي المثلية والتشبيه مع إثبات صفة السمع والبصر له فلو كان إثبات الصفات تشبيهاً لما ختم الله تعالى هذا النص بذكر هاتين الصفتين له ﷻ، فخاتمة الآية تدل دلالة واضحة في الرد عليهم.

ومن هنا كان المذهب الحق هو إثبات صفات الباري ﷻ على الوجه اللائق به فله سمع وبصر ليس كسمعنا وبصرنا وله يد وقدم ووجه وغير ذلك وليست يده كيدنا ولا قدمه كقدمنا.

ثالثاً: دعواهم أن نفي الصفات تمجيد للرب سبحانه وتقديس له:

نقول: إن هذه الدعوى من الذين ينفون صفات الله تعالى من أبطل الباطل بل فيها من السفه ما فيها لأن تجريد الرب عما وصف به نفسه تكذيب له أولاً ثم في الحقيقة إغلاق باب المعرفة به ﷻ ووصفه بالعدم. فبالصفات يتعرف العباد على ربهم ونفيها هو قطع للخلق عن ربهم.

رابعاً: دعواهم أن الله لا يدرك بالحواس:

نفى هؤلاء رؤية الله وكلامه بدعوى أن الله لا يدرك بالحواس لأن المخلوقات هي التي تدرك بالحواس، وقد كذبوا بدعواهم تلك لأنهم بذلك كذبوا النصوص القرآنية ونصوص السنة المصرحة بسماع العباد لكلام الله، والمقررة لرؤية العباد لربهم يوم القيامة كما ذكرناه في بحث الرؤية[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ الله: «حَمِدَ الرب نفسه بأنه لا تدركه الأبصار لكمال عظمته، يُرى ولا يدرك، كما أنه يعلم ولا يحاط به علماً، وإلا فمجرد الرؤية ليس بكمال البتة وإنما الكمال في كونه لا يحاط به رؤية ولا إدراكاً لعظمته في نفسه، وتعاليه عن إدراك المخلوقين، وكذلك حَمِدَ نفسه بعدم الغفلة والنسيان لكمال علمه»[٢].

٥ ـ أسباب الاختلاف في أسماء الله وصفاته

١ ـ الإعراض عن كتاب الله والسنة وتحكيم العقل في مسائل الشرك:

هذا من أعظم أسباب الاختلاف في أسماء الله وصفاته وهو استعمال الأقيسة الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن شابههم حيث استعملوا أقيستهم الفاسدة وآراءهم الباطلة وشبههم الداحضة في رد النصوص الصريحة من الكتاب والسنة التي جاءت بإثبات أسماء الله وصفاته بتأويلها أو تحريفها أو تعطيلها وغير ذلك متبعين في ذلك العقل الفاسد الذي كان سبباً في فساد العالم وخرابه.

قال ابن القيم: «وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي والهوى على العقل»[٣].

٢ ـ رد المحكم واتباع المتشابه:

المنحرفون عن الصراط السوي يعارضون السنن بظاهر القرآن

---

(١) فصلت ذلك في ـ القسم الثاني من هذه المباحث ـ في مبحث رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

(٢) التفسير القيم لابن القيم (ص٢٧).

(٣) إعلام الموقعين (١/ ٧١).

ويستمسكون بالمتشابه في رد المحكم فإن لم يجدوا لفظاً متشابهاً غير المحكم يردونه به استخرجوا من المحكم وضعاً متشابهاً وردوه به.

٣ ـ تأثير الفلسفات والعقائد الضالة الوافدة:

حينما فتح المسلمون الكثير من البلاد وأصبحت لهم دولة عظمى وخالط المسلمون أهل الديار التي فتحوها وبعض من دخل في الإسلام لم تخلص نفوسهم للإسلام وعقيدة الإسلام فجاؤوا ومعهم معتقداتهم الفاسدة أو بعضاً منها واطلع المسلمون على الكتب المدونة في عقائد اليهود والنصارى والفلاسفة على اختلاف طرقهم.

هذه الأشياء وغيرها اختلطت بعقائد المسلمين فعكرت صفوها واندس بين المسلمين من يريد فساد عقائدهم.

هذه الفلسفات والعقائد الضالة كان لها سبب في الاختلاف بين المسلمين في أسماء الله وصفاته ونشأ بينهم المنازعات بسبب هذه الأشياء الدخيلة عليهم.

٤ ـ الأحاديث الضعيفة والموضوعة:

لقد عملت هذه الأحاديث الباطلة عملها في إفساد عقيدة المسلمين وبخاصة في باب العقيدة سواء في الدعوة إلى الشرك بجميع صوره أو دعوى إثبات أشياء للرب سبحانه هو منزه عنها.

مثال ذلك من الأحاديث المكذوبة قوله ﷺ: «اسألوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم».

فهو حديث منكر لا يصح بل فيه الدعوة إلى الشرك بالله تعالى وحاشا لله أن يدعوا نبيه ﷺ بذلك.

ومن هذه الأحاديث أيضاً المنسوبة إلى الرسول ﷺ: «رأيت ربي يوم عرفات بعرفات على جمل أحمر عليه إزاران وهو يقول قد سمعت قد غفرت إلا الظالم».

وغير ذلك من الأحاديث التي لا تقرها شريعتنا بل كلها مكذوبة موضوعة كان لها تأثير على الخلافات في باب الأسماء والصفات.

٣ ـ قواعد في الأسماء والصفات

أولاً: **أسماء الله توقيفية** لا مجال للعقل فيها ولذا يجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص والعقل هنا لا مجال له فيما يستحقه الله من الأسماء وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثانياً: للإيمان بالأسماء الحسنى لله أركان هي:

أ ـ الإيمان بالاسم.

ب ـ الإيمان بما دل عليه الاسم من المعنى.

ج ـ الإيمان بما يتعلق به من الآثار فنؤمن بأن الله رحيم ذو رحمة وسعت كل شيء ويرحم عباده. قدير ذو قدرة ويقدر على كل شيء، غفور ذو مغفرة ويغفر لعباده.

ثالثاً: ما يوصف به الله تعالى أقسام أشار إليها العلامة ابن القيم:

أ ـ أحدها ما يرجع إلى نفس الذات كقولك ذات وموجود.

ب ـ الثاني ما يرجع إلى صفات معنوية كالعليم والقدير والسميع.

ج ـ الثالث ما يرجع إلى أفعاله نحو الخالق والرازق.

د ـ الرابع ما يرجع إلى التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتاً فلا كمال في العدم المحض كالقدوس السلام.

هـ ـ الخامس الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة مثل المجيد، العظيم، الصمد.

و ـ السادس صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني، الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد.

رابعاً: دلالة الأسماء الحسنى ثلاثة أنواع.

أسماء الله كلها حسنى وكلها تدل على الكمال المطلق ودلالتها ثلاثة أنواع:

ـ دلالة مطابقة: إذا فسرنا الاسم بجميع مدلوله.

ـ ودلالة تضمن: إذا فسرناه ببعض مدلوله.

ـ ودلالة التزام: إذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها.

فمثلاً الرحمٰن دلالته على الرحمة والذات دلالة مطابقة وعلى أحدهما دلالة تضمن لأنها داخلة في الضمن.

ودلالته على الأسماء التي لا توجد الرحمة إلا بثبوتها كالحياة والعلم والإرادة والقدرة ونحوها دلالة التزام.

خامساً: حقيقة الإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عن الاستقامة إما بإثبات المشاركة فيها لأحد من الخلق كإلحاد المشركين الذين اشتقوا لآلهتهم من صفات الله ما لا يصلح إلا لله كتسميتهم اللات من الإلٰه والعزّى من العزيز ومناة من المنان.

وأعظم الخلق إلحاداً طائفة الاتحادية الذين من قولهم: إن الرب عين المربوب. وقد يكون الإلحاد بنفي صفات الله كما فعل الجهمية.

وإما بإنكارها وجحدها لأنهم ينكرون وجود الله كما فعل بعض الملحدين والفلاسفة.

قال ابن القيم(١) رحمه الله تعالى تعليقاً على قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]: والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها وهو مأخوذ من الميل.

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٩٠ ـ ١٩٢).

والإلحاد في أسمائه أنواع:

أحدها: أن تسمي الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلٰه والعزى من العزيز.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً.

الثالث: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود: إنه فقير. وقولهم: يد الله مغلولة.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول بعض الجهمية: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيقول: الحي بلا حياة، السميع بلا سمع، القدير بلا قدرة، المتكلم بلا كلام وهكذا.

الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه وهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة فأولئك نفوا صفات كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه وبرَّأ الله أتباع نبيه الثابتين على السنة من هذا الزيغ فثبتوا على المنهج الحق إذ وصفوا الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ.

سادساً: إحصاء الأسماء الحسنى أصل للعلم، فالعلم بأسماء الله وإحصاؤها أصل لسائر العلوم فمن أحصى أسماءه كما ينبغي أحصى جميع العلوم لأن جميع المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها.

سابعاً: أسماء الله كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك وأفعاله كلها خيرات لا شرّ فيها فالشرّ ليس إليه لا يضاف إلى الله فعلاً ولا وصفاً وإنما يدخل في مفعولاته وفرق بين الفعل والمفعول.

ثامناً: الأسماء الحسنى التي ترجع إليها جميع الأسماء والصفات جمعتها سورة الفاتحة وهي الله والرب والرحمٰن. قال ابن القيم رحمه الله: «اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها ومدارها عليها وهي: الله،

والرب، والرحمٰن»[١].

تاسعاً: مراتب إحصاء أسماء الله الحسنى التي جاء الحديث بأن من أحصاها دخل الجنة ثلاث:

الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

عاشراً: الأسماء الحسنى لا تحد بعدد ولا تدخل تحت حصر فللّه أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل كما جاء في الحديث «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[٢].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «جمهور العلماء وسلف الأمة وأئمتها متفقون على أن أسماء الله ﷻ غير محصورة في تسعة وتسعين اسماً. ثم قال: وهو الصواب لثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن التسعة والتسعين اسماً لم يرو في تعيينها حديث صحيح.

الوجه الثاني: أنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله وتر يحب الوتر**»[٣] وليس هذا الاسم في هذه التسعة والتسعين وثبت في الصحيح أنه قال: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[٤] وليس هذا منها وفي الصحيح أيضاً أنه قال: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا**»[٥] وليس هذا منها.

---

(١) انظر: التفسير القيم ـ لابن القيم ـ تفسير سورة الفاتحة.

(٢) أخرجه أحمد (١/٣٩١)، وصححه الألباني ـ السلسلة الصحيحة (١/٣٣٦) برقم (١٩٩).

(٣) رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٤) رواه مسلم (٩١).

(٥) رواه مسلم (٤/١٠).

الوجه الثالث: ما احتج به الخطابي وغيره وهو حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاءك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك**، إلى قوله: **أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[١] إلى أن قال رحمه الله: «والله في القرآن قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فأمر أن يدعو بأسمائه الحسنى مطلقاً ولم يقل: ليست أسماؤه الحسنى إلا تسعة وتسعين اسماً والحديث عند مسلم معناه»[٢].

أحد عشر: صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والقدرة والسمع والبصر والرحمة والعزة والعلو والعظمة وغيرها.

وقد نزه نفسه سبحانه عما يصفه به بعض الخلق من النقائص فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

اثنا عشر: باب الصفات أوسع من باب الأسماء وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى وأفعاله لا منتهى لها كما أن أقواله لا منتهى لها.

ثلاثة عشر: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية، فالثبوتية ما أثبته الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات كمال يجب إثباتها لله على الوجه اللائق به.

والسلبية ما نفاه الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسانه رسوله ﷺ وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان والعجز والتعب، فيجب نفيها عن الله وإثبات ضدها من صفات الكمال لله جل وعلا.

أربعة عشر: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر، ولهذا كانت الصفات الثبوتية

---

(١) سبق تخريجه في (ص٩٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٢).

التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية التي لم تذكر إلا في أحوال معينة منها:

أ ـ بيان عموم كماله كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤].

ب ـ نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون كما في قوله تعالى: ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: ٩١، ٩٢].

ج ـ دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٦] وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨].

خمسة عشر: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية، فالذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا وسيأتي بيان جملة من الصفات الذاتية والفعلية مع بيان عقيدة أهل السنة فيها.

ستة عشر: يلزم في الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

أحدهما: التمثيل

والثاني: التكييف.

فالتمثيل هو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين وهذا اعتقاد باطل.

والتكييف هو اعتقاد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل وهذا أيضاً اعتقاد باطل.

سبعة عشر: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله

تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته. قال الإمام أحمد: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث»[١].

قال الإمام الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا يسمى ـ أي: الله تعالى ـ إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو سماه به رسوله ﷺ وأجمعت عليه الأمة أو أجمعت الأمة على تسميته به ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ أو أجمع عليه المسلمون فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال»[٢].



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/٢٦).

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/٣٨٣).

٤ ـ دراسة لبعض الأسماء والصفات الثابتة لله تعالى جل وعلا

أهل السنة والجماعة يثبتون الصفات إثباتاً مفصلاً وينفون بعض الصفات عن الله نفياً مجملاً عكس طريقة أهل الكلام المذموم فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل يقولون ليس بجسم ولا لحم ولا صورة ولا يتحرك ولا يسكن وليس بذي جوارح وليس بذي جهة وهذا ليس بمدح بل فيه إساءة أدب مع الله جل وعلا .

وأهل السنة والجماعة يجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده والذي لا يحيد عنه المسلم في اعتقاده.

وسنبين في هذه الصفحات بعض الأسماء والصفات ومعانيها :

أولاً: الأسماء

١ ـ الحميد:

حميد من وجهين: أحدهما : أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده فكل حمد وقع وكل حمد لم يقع فهو سبحانه مستحق له. وثانيها : أنه يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا فله الحمد لذاته وله الحمد لصفاته وله الحمد لأفعاله وله الحمد على خلقه وعلى شرعه وعلى كل شيء صادر منه سبحانه.

٢ ـ الغني:

الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه فإن غناه من لوازم ذاته والمخلوقات لا

تستغني عنه بل هي مفتقرة إليه في كل شيء فهو الغني الذي كمل بنعوته وأوصافه المغني لجميع مخلوقاته.

٣ ـ الحكيم:

الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات فهو الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره.

وحكمته نوعان: أحدهما: الحكمة في خلقه حيث خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام ورتبها أكمل ترتيب وأعطى كلاً ما يناسبه.

وثانيها: الحكمة في شرعه وأمره، أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعرفه العباد ويعبدوه وهذه العبادة هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية والنعيم الدائم.

٤ ـ الحليم:

الذي له الحلم الكامل وسع حلمه أهل الكفر والفسوق والعصيان ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلاً فهو يمهلهم ليتوبوا ولا يهملهم إذا أصروا واستمروا في طغيانهم ولم ينيبوا.

٥ ـ العفوّ:

الذي له العفو الشامل فهو يعفو عن أهل الذنوب إذا ندموا وتابوا وأتوا بأسباب المغفرة فهو عفو يحب العفو عن عباده ومن تمام عفوه أنه جعل الإسلام يجبّ ما قبله من الكفر فما دونه من الذنوب.

٦ ـ الصبور:

على ما يقول عباده وما يفعلون يتتابعون في الشرور وهو يتابع عليهم النعم وصبره أكمل صبر لأنه عن كمال قدرة وكمال غنى عن الخلق وكمال رحمة وإحسان، الصبور الذي يحب الصابرين ويعينهم في كل أمورهم وقد ادخر لهم أعظم الجزاء قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٧ ـ الرقيب:

٨ ـ الشهيد:

هذان مترادفان وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات وبصره بالمبصرات وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية. وهو الرقيب على ما دار في الخواطر وما تحركت به اللواحظ ومن باب الأولى الأفعال الظاهرة بالأركان.

ومتى علم العبد أن الله رقيب عليه وشاهد عليه أوجب ذلك له حراسة باطنة عن كل فكر وهاجس لا يرضى به الله وحجزه ذلك عن كل معصية صغيرة وكبيرة.

٩ ـ الحفيظ:

الذي حفظ على عباده ما عملوه من خير وشر وطاعة ومعصية وهو الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون.

وهذا الحفظ نوعان: خاص وعام.

فالعام: حفظه لجميع المخلوقات بهدايتها لما يصلحها وينفعها كالسعي في الرزق وتوقي المضار والمكاره وحفظ السماوات والأرض وما فيه عمارة الكون.

والخاص: حفظه لأوليائه عما يضر إيمانهم من الشبه والفتن والشهوات وحفظهم من أعدائهم من شياطين الإنس والجن.

١٠ ـ اللطيف:

الذي يلطف بعبده في أموره الداخلية والمتعلقة بنفسه ويلطف بعبده في الأمور الخارجية عنه فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر.

١١ ـ الخبير:

الذي أحاط علمه بالأسرار والبواطن والخبايا والخفايا ومكنونات الصدور ومغيبات الأمور وما لطف ودق من كل شيء في هذا الوجود.

١٢ ـ الرفيق:

في أفعاله خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة.

وهو سبحانه رفيق بعباده لم يكلفهم ما لا يطيقون بل رفق بهم في كل شئونهم عباداتهم وتعاملهم وعلاقاتهم وسائر متطلباتهم.

١٣ ـ القريب:

وقربه نوعان: قرب عام وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

وقرب خاص بالداعين والعابدين المحبين وهو قرب يقتضي النصرة والمحبة والتأييد في الحركات والسكنات وإجابة دعائهم وقبول أعمالهم وإثابتهم على ذلك.

١٤ ـ المجيب:

لدعوة الداعين وسؤال السائلين وعبادة المستجيبين.

وإجابته نوعان:

أ ـ إجابة عامة لكل من دعاه دعاء عبادة أو دعاء مسألة قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فدعاء المسألة أن يقول العبد: اللهم أعطني كذا أو اللهم ادفع عني كذا وهذا يقع من البر والفاجر وإجابة الله حسب حكمته لكل أحد.

ب ـ إجابة خاصة ولها أسباب منها دعوة المضطر ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] ومن أسباب الإجابة اختيار الوقت والوسيلة وحال الداعي كالمريض والمسافر وفي الأوقات الفاضلة قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

١٥ ـ الودود:

قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾

[هود: ٩٠] والودود المحب المحبوب فهو الواد لأنبيائه وأوليائه؛ أي: المحب لهم وهم الوادون له؛ أي: المحبون له.

ومن أعظم أسباب محبة الله لعبده الإكثار من ذكره والثناء عليه والتقرب إليه بالفرائض والنوافل وتحقيق الإخلاص له في الأقوال والأفعال قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ثانياً: الصفات الذاتية والفعلية

أولاً: الصفات الذاتية:

الصفات الذاتية هي المتعلقة بذات الباري سبحانه ولا تتعلق بالمشيئة والاختيار بل لا تنفك عن الباري ﷻ بحال من الأحوال بل هي من لوازم الذات ومنها:

١ ـ اليدان:

فأهل السنة والجماعة يثبتون اليدين لله جل وعلا بناء على منهجهم الثابت وهو وجوب إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الصفات إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل وتنزيهاً بلا تحريف ولا تعطيل، أما غير أهل السنة فقد أولوا اليدين بالنعمة أو القدرة.

قال الإمام أحمد: «من زعم أن يديه نعمتاه كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] مشددة»[١].

قال ابن القيم: «إن لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع مفرداً أو مثنى أو مجموعاً، فالمفرد كقوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] والمثنى كقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] والمجموع ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس: ٧١].

(١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات لأبي يعلى (١/ ١٩٥).

ففي التثنية أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدَّى الفعل بالباء فهذا دليل على مباشرة اليد للخلق ولهذا قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثاً خلق آدم بيده وغرس جنة الفردوس بيده وكتب التوراة بيده»[١] فلو كانت اليد هي القدرة كما يؤولها نفاة الصفات لم يكن لها اختصاص بذلك ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على كل شيء بالقدرة»[٢].

٢ ـ صفة القدم:

من الصفات الذاتية التي وردت بها الأدلة الصحيحة صفة القدم لله وهذه الصفة ثابتة على ما يليق به سبحانه، ومن الأدلة على ذلك:

أ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول: قط قط وعزتك ويزوي بعضها إلى بعض**»[٣].

ب ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحاجت النار والجنة فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة ملؤها فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول: قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض**»[٤].

وقد تلقى علماء أهل السنة والجماعة هذه الأحاديث بالقبول وأمرُّوها كما جاءت ولم يخوضوا في الكيفية.

فقد سئل الإمام أحمد عن هذه الأحاديث التي تثبت القدم فقال: «نمرها كما جاءت»[٥]. وهذا هو المنهج السليم الذي ارتضاه أهل السنة والجماعة

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات مرفوعاً إلى النبي ﷺ (٣١٨).
(٢) مختصر الصواعق المرسلة للموصلي (٢٧ ـ ٢٨).
(٣) رواه البخاري (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨).
(٤) رواه البخاري (٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).
(٥) انظر: إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (١/ ١٩٥).

يمرون هذه الصفات كما جاءت دون تكييف لها فلا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف بل تمر كما رويت على حسب القاعدة: نثبت ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ.

٣ ـ صفة الأصابع:

هذه الصفة ثابتة لله وقد جاء النص الصحيح الصريح بها فقد روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمٰن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال: اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»[١] وعلى هذا المنهج وهو إثبات مثل هذه الصفة مشى علماء أهل السنة والجماعة حسب قاعدتهم في إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل.

يقول الإمام الدارمي في رده على بشر المريسي: «ورويت أيها المريسي عن رسول الله أنه قال: «**القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمٰن يقلبها كيف يشاء**» فأقررت أن النبي ﷺ قاله ثم رددته بأقبح محال وأوحش ضلال ولو دفعت الحديث أصلاً كان أعذر لك من أن تقرَّ به ثم ترده بمحال من الحجج وبالتي هي أعوج فزعمت أن أصبعي الله قدرتاه وكذلك قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] أي: في ملكه فيقال لك أيها المعجب بجهالته في أي لغات العرب وجدت أن أصبعيه قدرتيه فأنبئنا بها فإنا قد وجدناها خارجة من جميع اللغات إنما هي قدرة واحدة قد كفت الأشياء كلها وملأتها . . . إلخ»[٢].

٤ ـ صفة العلو:

من صفات الكمال للذات الإلٰهية صفة العلو وهي فرع من توحيد الأسماء والصفات والله متصف بصفات العلو المطلق من جميع الوجوه علو

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).
(٢) الرد على بشر المريسي للدارمي (٥٩).

الذات وعلو القدر وعلو القهر وهذا هو الحق الذي مشى عليه سلف الأمة ومن بعدهم إلى يومنا هذا، فإنهم يثبتون لله علوه بذاته على جميع خلقه على ما يليق بجلاله بلا تشبيه ولا تكييف.

وقد جاءت النصوص صريحة بالدلالة على هذه الصفة ورغم ذلك خالف فيها طوائف من المبتدعة ولكن هذه النصوص ترد ضلالهم وباطلهم، وقد تنوعت هذه الأدلة في دلالتها على علو الله وفوقيته على خلقه، ومن هذه الدلالات:

١ ـ التصريح بالعلو المطلق ذاتاً وقدراً وقهراً قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤٣﴾ [الإسراء: ٤٣].

٢ ـ التصريح بأنه في السماء لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦﴾ [الملك: ١٦] فقوله: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: العلو فهو سبحانه العلي الأعلى.

٣ ـ إخباره ﷻ بعروج الأشياء وصعودها إليه كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥].

٤ ـ التصريح بالفوقية قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾ [النحل: ٥٠].

٥ ـ التصريح بنزوله سبحانه كل ليلة إلى السماء الدنيا ففي الحديث «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ويقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**»[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

٦ ـ الإشارة إليه سبحانه في جهة العلو فقد أشار النبي ﷺ لما كان يخطب في عرفة في حجة الوداع فقال: «**وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت. ثم قال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد**»[١].

فهذه أدلة صريحة على علو الله على خلقه واستوائه على عرشه وهذا ما فهمه سلف الأمة ونطقوا به صراحة.

فهذا أبو بكر لما دخل على رسول الله بعد أن قبضه الله قبَّله وقال: «بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً ثم قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت»[٢].

وها هو عمر عندما لقي خولة بنت ثعلبة قال: «هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات»[٣].

ولما دخل ابن عباس على عائشة رضي الله عنها وهي تحتضر قال لها: «لقد أنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات»[٤].

وقال الأوزاعي: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله جل ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته»[٥].

وقال ابن عبد البر: «لم يزل المسلمون في كل مكان إذا دهمهم أمر وكربهم غم يرفعون وجوههم وأيديهم إلى السماء رغبة إلى الله عز وجل في الكف عنهم»[٦].

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨).
(٢) كتاب العلو للذهبي (٦٢).
(٣) المرجع السابق (٦٣).
(٤) المرجع السابق (٩٦).
(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (٤٨٠).
(٦) التمهيد لابن عبد البر (٢٢/ ٨١).

٥ ـ الساق:

وهي صفة من صفات الذات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم: ٤٢].

ومن السنة حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه «فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون: الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة...»[1] الحديث.

وأهل السنة يثبتون هذه الصفة لله على ما يليق بجلاله سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لم يتنازع الصحابة والتابعون فيما يذكر من آيات الصفات إلا في هذه الآية: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ ولم يقل عن ساق الله ولا قال يكشف الرب عن ساقه وإنما ذكر ساقاً نكرة غير معرفة ولا مضافة، وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في الصحيحين الذي قال فيه: «فيكشف عن ساقه»»[2].

٦ ـ العين:

وهي من الصفات الذاتية الخبرية التي ثبتت بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧] وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩] وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

ومن السنة ما رواه أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا**

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) نقض أساس التقديس لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٦١).

يخفى عليكم إن الله ليس بأعور وأشار إلى عينيه وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية»[١].

فأهل السنة والجماعة يثبتون لله عينين تليقان بجلاله. قال اللالكائي: باب (سياق ما دل من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ على أن من صفات الله ﷻ الوجه والعينين واليدين)[٢].

٧ ـ الوجه:

من الصفات الذاتية الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٧].

ومن السنة حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه «إنك إن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة»[٣].

وهكذا يثبت أهل السنة والجماعة لله وجهاً يليق بجلاله حسب ما دلت عليه النصوص، قال ابن خزيمة: «مذهبنا أنا نثبت لله وجهاً من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين»[٤].

ثانياً: الصفات الفعلية:

وهي التي تتعلق بمشيئة الله وإرادته سبحانه بحيث إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها ومن أمثلة ذلك:

١ ـ الاستواء:

وهو من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٧).
(٢) أصول اعتقاد أهل السنة الجماعة (٣/ ٤١٢).
(٣) رواه البخاري برقم (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).
(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٥).

الذين كانوا يعتقدون بأن الله مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله سبحانه.

سئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق برأسه حتى علاه الرحضاء ـ العرق ـ ثم قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً ثم أمر به فأخرج»[١].

وهكذا أئمة الهدى يرون رأي الإمام مالك ولذا بعد أن ذكر شيخ الإسلام عدداً منهم قال: «إن العلم بكيفية الصفات ليس بحاصل لنا لأن العلم بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف فإذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته امتنع أن تعلم كيفية الصفة ومتى جنب المؤمن طريق التحريف والتعطيل وطريق التمثيل سلك سواء السبيل»[٢].

وقد أوَّل المبتدعة الاستواء بمعنى الاستيلاء وهذا تأويل باطل وتحريف للنصوص عن ظاهرها. وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الاستواء بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ومن السنة ما جاء عنه ﷺ من قوله: «**لما فرغ من خلقه استوى على عرشه**»[٣].

٢ ـ صفة النزول:

وهي من الصفات الثابتة لله ﷻ من غير تكييف ولا تمثيل بل على وجه يليق بجلاله لا يعلمه إلا هو قال تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٤٤١).

(٢) فتاوى شيخ الإسلام (٦/ ٣٩٨).

(٣) رواه الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري وقال الذهبي: رواته ثقات (العلو للذهبي ص٥٢).

أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١].

فأهل السنة يثبتون هذه الصفة قال الإمام أحمد: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء ثم استدل بالآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

قال ابن عبد البر: «والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: ينزل ربنا كما قال رسول الله ﷺ ويصدقونه بهذا الحديث ولا يكيفون والقول في الكيفية كالقول في كيفية الاستواء والمجيء والحجة في ذلك واحدة»[2].

وقد استدل علماء السنة بأحاديث منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**»[3].

٣ ـ صفة الإتيان والمجيء:

وهما صفتان فعليتان يثبتهما أهل السنة والجماعة على ما يليق بجلال الله وعظمته.

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: «اختُلف في صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] فقال بعضهم: لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه عز وجل من المجيء والإتيان والنزول وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله عز وجل أو من رسول مرسل فأما القول في صفات الله وأسمائه فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا...»[4].

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ٢٩).
(٢) التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٤٣).
(٣) رواه البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم برقم (٧٥٨).
(٤) جامع البيان لابن جرير (٢/ ٣٢٩).

وقال أبو الحسن الأشعري[(١)]: «وأجمعوا على أن الله ﷻ يجيء يوم القيامة ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ذلك بما يأتي:

من الكتاب قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه «**وإن تقرب إلي عبدي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[(٢)].

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الرؤية وفيه «**فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم**»[(٣)].

٤ ـ صفة الكلام:

صفة الكلام صفة ذات باعتبار نوع الكلام وصفة فعل باعتبار تعلقها بإرادة الله ﷻ ومشيئته فهو سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء يتكلم بصوت يُسمع يُسمعه من شاء من خلقه، سمعه موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من غير واسطة وسمعه من أذن الله له من ملائكته ورسله وسيسمعه المؤمنون في الآخرة ممن سبقت لهم من الله الحسنى.

وأهل السنة يثبتون الكلام لله ـ جل وعلا ـ ويرون أنه يتكلم متى شاء وكيف شاء قال الإمام أحمد: «الله ـ جل وعلا ـ يقضي بين العباد ويكلم عبده ويسأله، الله متكلم لم يزل الله متكلماً يأمر بما شاء ويحكم بما يشاء وليس له عدل ولا مثل كيف شاء وأين يشاء»[(٤)].

وقد استدل أهل السنة على ذلك بما يأتي:

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (٢٢٧).
(٢) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).
(٣) رواه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).
(٤) المسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ٢٨٨).

من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

ومن السنة حديث احتجاج آدم وموسى وفيه «**قال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه**»[١].

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه يقول الله تعالى: «**يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار**»[٢].



(١) رواه البخاري برقم (٦٦١٤)، ومسلم برقم (٢٦٥٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٨٣).

المبحث الرابع

ذكر بعض نواقض التوحيد

١ ـ الشرك.
٢ ـ الطيرة.
٣ ـ الرقى.
٤ ـ التمائم.
٥ ـ التبرك.
٦ ـ التوسل.
٧ ـ السحر.

ما يناقض التوحيد

أولاً: الشرك

تعريفه:

الحديث عن التوحيد يتطلب الحديث عن الشرك لأنه ضده وقد قيل: وبضدها تتميز الأشياء.

وقد عرف العلماء الشرك فقالوا: هو أن يجعل المرء لله نداً أو شريكاً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته وهو المبطل للأعمال والمانع من قبولها قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

قال ابن سعدي: «وحدُّه أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص وصرفه لغير الله شرك وكفر»[١].

أقسام الشرك

ينقسم الشرك إلى قسمين أكبر وأصغر

الأول: الشرك الأكبر

أولاً: تعريفه:

باعتبار أقسام التوحيد السابقة أعني توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات يمكن تعريف الشرك بما يأتي:

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدي (ص٣١).

١ ـ الشرك في ربوبية الله:

ومعناه: تسوية غير الله بما يختص به في الربوبية أو نسبتها إلى غيره كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير وحق الملك والتشريع.

فمتى اعتقد العبد أن غير الله تعالى يملك الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتشريع وغير ذلك مما يختص به الباري من الأفعال أو ساوى بين الله والخلق في ذلك صار مشركاً شركاً أكبر.

٢ ـ الشرك في الألوهية:

وهو أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى كالصلاة والصيام والذبح والنذر ونحو ذلك مما لا يجوز صرفه لغير الله تعالى.

٣ ـ الشرك في الأسماء والصفات:

وهو أن يجعل الإنسان نداً لله تعالى إما في أسمائه وصفاته فيسميه بأسماء الله ويصفه بصفاته قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] ومن الإلحاد في أسمائه تسمية غيره باسمه المختص به أو وصفه بصفته كذلك.

وخلاصة القول في تعريف الشرك الأكبر:

«هو أن تجعل لله نداً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه أو صفاته».

ثانياً: خطر الشرك الأكبر على صاحبه:

الشرك الأكبر يخرج صاحبه من ملة الإسلام ويوجب له الخلود في النار ويحرم عليه الجنة هذا إذا مات على الشرك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ١١٦] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

وغالب من يقع في هذا الشرك سببه إعراضهم عن تعلم أصل الدين

وتساهلهم في جانب التوحيد وعدم الوقوف على حقيقته وما يرشد إليه ويدل عليه وإعراضهم عن تعلم نواقض الإسلام ومفسداته التي متى دخلت عليه أفسدته وأحبطت عمل صاحبه.

ثالثاً: أنواع الشرك الأكبر:

الشرك الأكبر أنواع منها:

١ ـ شرك الدعاء:

وهو اللجوء إلى غير الله بدعائه وقصده قال تعالى عن المشركين: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥] فهم يوحدون الله في حال الضيق والشدة فإذا نجاهم أشركوا ودعوا غيره.

٢ ـ شرك النية والإرادة والقصد:

وهو أن يعمل العبد مما يراد به وجه الله ﷻ بعمله لغير الله ويقصد به مراداً آخر فهذا شرك أكبر قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وهكذا جاء تفسير هذه الآية عن سلف الأمة فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كما نقله عنه ابن كثير في تفسيره: «من عمل صالحاً التماس الدنيا صوماً أو صلاة أو تهجداً بالليل لا يعمله إلا التماس الدنيا يقول تعالى أو فيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعمله وهو في الآخرة من الخاسرين».

وكذا قال قتادة كما نقله عنه ابن كثير في تفسيره: «من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة»[١].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٣٩).

٣ ـ شرك الطاعة:

وهو طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم في تحريم ما أحل الله أو إباحة ما حرمه الله ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد جاء ذلك واضحاً في قصة إسلام عدي بن حاتم حينما قدم على المدينة وتلى رسول الله ﷺ هذه الآية فقال عدي: إنهم لم يعبدوهم فقال الرسول: «**بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**».

ومن شرك الطاعة أيضاً طاعة الحكام والرؤساء في تحكيم القوانين الوضعية المخالفة للأحكام الشرعية في تحليل الحرام كإباحة الربا والزنا وشرب الخمر ومساواة المرأة بالرجل في الميراث وإباحة السفور والاختلاط أو تحريم الحلال كمنع تعدد الزوجات وما أشبه ذلك من تغيير أحكام الله واستبدالها بالقوانين الشيطانية، فمن وافقهم على ذلك ورضي به واستحسنه فهو مشرك كافر والعياذ بالله.

ومن ذلك ـ أي: ومن الشرك الأكبر ـ تقليد الفقهاء باتباع أقوالهم المخالفة للأدلة إذا كانت توافق أهواء بعض الناس وما يشتهونه كما يفعل بعض أنصاف المتعلمين من تلمس الرخص.

والواجب أن يؤخذ من قول المجتهد ما وافق الدليل ونطرح ما خالفه، قال الأئمة ـ رحمهم الله ـ: «كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ»[1].

٤ ـ شرك المحبة:

وهو محبة غير الله ﷻ وتقديم ذلك على محبة الله وأمره ونهيه قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان (ص٦٩).

ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥].

والمحبة هي أصل الدين الذي تدور عليه رحاه فبكمال محبة الله يكمل دين الإسلام وبنقصها ينقص توحيد الإنسان.

والمحبة هنا المراد بها محبة العبودية فمتى ذل العبد وخضع لغير مولاه سبحانه وآثر محبوبه على محبة خالقه سبحانه فإنه يصير مشركاً، والمحبة منها ما يكون شركاً ومنها ما لا يكون شركاً.

فمحبة العبودية التي تستلزم كمال الذل والطاعة للمحبوب هذه خاصة لله ﷻ لا يجوز صرفها لغيره.

أما محبة الأنس والألفة كمحبة الشريك لشريكه والصديق لصديقه وكذا محبة الإشفاق كمحبة الوالد لولده. وكذا المحبة الطبيعية كمحبة الجائع للطعام فهذه لا تستلزم التعظيم والذل ولا يؤاخذ أحد بها.

٥ ـ شرك التوكل:

التوكل في اللغة الاعتماد والتفويض.

وهو من عمل القلب، يقال: توكل في الأمر إذا ضمن القيام به ووكلت أمري لفلان إذا اعتمدت عليه.

حكمه:

التوكل من أعظم أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

فالتوكل على الله تعالى في دفع المضار وتحصيل الأرزاق وما لا يقدر عليه إلا هو من أعظم أنواع العبادة والتوكل على غيره في ذلك شرك أكبر قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أي: على الله وحده توكلوا ولا تتوكلوا على غيره لأن تقديم المعمول يفيد الحصر وجعل الله تعالى التوكل شرطاً في صحة الإيمان كما جعله شرطاً في صحة الإسلام فقال: ﴿فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

أقسام التوكل:

١ ـ توكل عبادة وهو التوكل الواجب الذي يكون باعتماد القلب على الله وتفويض الأمور لله جل شأنه.

٢ ـ التوكل الشركي وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما يكون فيه التوكل شركاً أكبر، وهذا يكون باعتماد القلب على غير الله في جلب المنافع ودفع المضار كالتوكل على الأموات والغائبين ونحوهم في تحقيق المطالب من النصر والحفظ والرزق والشفاعة.

النوع الثاني: ما يكون فيه التوكل شركاً أصغر.

كما يتوكل على الأسباب الظاهرة كمن يتوكل على سلطان أو أمير أو أي شخص حتى قادر فيما أقدره الله عليه من عطاء أو دفع أذى ونحوه فذلك شرك أصغر لأنه اعتماد على أشخاص أو أسباب.

النوع الثالث: التوكل الذي هو تصريف بعض الأمور الدنيوية كأن ينيب الإنسان من يقوم بعمل عنه فيما يقدر عليه كبيع وشراء فهذا جائز.

لكن بشرط: أن لا يعتمد عليه في حصول ما وكل به بل يتوكل على الله في تيسير أموره التي يطلبها بنفسه أو نائبه؛ لأن توكيل الشخص في تحصيل الأمور الجائزة من جملة الأسباب لا يعتمد عليها وإنما يعتمد على الله الذي هو مسبب الأسباب وموجد السبب والمسبب.

٦ ـ شرك الخوف:

تعريفه: الخوف هو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة.

والخوف من أعظم العبادات التي يجب إخلاصها لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فنهى الله المؤمنين من أن يخافوا غيره وأمرهم أن يقصروا خوفهم عليه، فإذا أخلصوا الخوف في جميع أنواع العبادة أعطاهم ما يريدون وأمنهم مما يخافون.

أقسام الخوف:

القسم الأول: خوف تأله وعبادة.

وهو الخوف من الله تعالى من أن يغضب عليه أو يدخله في ناره أو أن يحول بينه وبين التوبة أو ينقلب من حال الإيمان إلى حال الكفر ـ نعوذ بالله من ذلك ـ أو أن يخاف أن لا يدخله الجنة وهكذا، فهذه أنواع من خوف التأله.

القسم الثاني: خوف السر.

وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أو ميت أو غائب من جن أو إنس أن يصيبه بمكروه.

وهذا النوع من الخوف هو الذي وقع فيه عباد القبور حيث أنهم يخافون من أصحاب القبور ممن يسمونهم أولياء أو أقطاب يخافون منهم أشد من خوفهم من الله تعالى بل يخوفون بهم أهل التوحيد إذا أنكروا عليهم عبادة هذه الأوثان. فهذا شرك أكبر يخرج صاحبه عن الإسلام.

القسم الثالث: الخوف الطبيعي:

وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك فهذا ليس بشرك ولا مذموم كما قال تعالى عن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١] لكن هذا النوع من الخوف يذهبه التوكل فمتى توكل العبد على الله كفاه شر عدوه قال تعالى لموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: ٦٨].

القسم الرابع: الخوف الذي هو شرك أصغر:

وهو أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس كأن يحلق لحيته خوفاً من حاكم ظالم أو يسبل ثوبه مخافة من كلام الناس عليه أو أن يفعل محرماً ونحو ذلك فهذا شرك أصغر.

الثاني: الشرك الأصغر:

١ ـ حكمه:

هذا القسم لا يخرج صاحبه من الملة ولكنه أعظم من الكبائر وهو من أخطر الذنوب وأشدها ضرراً على المرء.

٢ ـ أنواعه:

الشرك الأصغر نوعان: ظاهر وخفي.

أ ـ فالظاهر يشمل أقوالاً وأفعالاً، فمن الألفاظ القولية: الحلف بغير الله وقول المرء: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت وهذا مساواة للمخلوق بالخالق وهو غير صحيح لكن الصواب ألا يحلف إلا بالله وأن يقول: لولا الله ثم أنت، ما شاء الله ثم شئت وهكذا.

ومن الأفعال العملية لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم خشية العين أو الجن فمن فعل معتقداً أنها سبب يستدفع به البلاء فقد أشرك شركاً أصغر فإن اعتقد أنها تدفع البلاء قبل نزوله أو ترفعه بعد حلوله فقد أشرك شركاً أكبر والعياذ بالله.

لأن هذا اعتقد شريكاً مع الله في خلقه وتدبيره أما الأول فقد جعلها سبباً بنفسها مع الله تعالى.

ب ـ والخفي هو شرك الإرادات والمقاصد والنيات وهو من أخطر الأشياء على الناس ويتعلق بالرياء والسمعة وإظهار العبادة رغبة في مدح الناس وثنائهم كما أنه يتعلق بإرادة الدنيا ومطامعها وهو ينافي كمال التوحيد.

فالشرك الأكبر ينافي التوحيد بالكلية والشرك الأصغر ينافي كمال التوحيد.

٣ ـ خطر الشرك الأصغر على فاعله:

صاحب الشرك الأصغر لا يخلد في النار لكنه معرض للوعيد وصاحبه على خطر عظيم فلا يستهان به فما أكثر الواقعين فيه ممن يدعي العلم فضلاً

عن غيرهم من العامة وأشبهاهم وقد يترقى بصاحبه إلى الشرك الأكبر فيجب التحرز منه.

٤ ـ الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

فرق العلماء بينهما بفروق كثيرة منها:

١ ـ الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام بخلاف الشرك الأصغر.

٢ ـ الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال أما الشرك الأصغر فهو يحبط العمل الذي خالطه فقط.

٣ ـ الشرك الأكبر يبيح الدم والمال بخلاف الشرك الأصغر.

٤ ـ الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار أما الشرك الأصغر فقد يدخل صاحبه في النار ولا يخلد فيها.

٥ ـ الشرك الأكبر يوجب المعاداة وقطع الموالاة فلا تجوز موالاة المشرك مهما كانت قرابته، أما الشرك الأصغر فلا يقطع الموالاة لكن يوالى بقدر ما عنده من التوحيد ويعادى بحسب ما فيه من الشرك الأصغر.

الوسائل القولية والفعلية
التي نهى عنها ﷺ لأنها تفضي إلى الشرك

١ ـ نهى رسول الله ﷺ عن التلفظ بالألفاظ التي فيها التسوية بين الله تعالى وبين خلقه مثل: ما شاء الله وشئت، لولا الله وأنت، وأمر بأن يقال بدل منها: ما شاء الله ثم شئت، لولا الله ثم أنت لأن الواو تقتضي التسوية وثم تقتضي الترتيب وهذه التسوية في اللفظ شرك أصغر وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر.

٢ ـ نهى رسول الله ﷺ عن الغلو في تعظيم القبور بالبناء عليها وإسراجها وتخصيصها بالكتابة عليها.

٣ ـ نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد بالصلاة عندها ولو لم يبن مسجد لأن ذلك وسيلة إلى عبادتها.

٤ ـ نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لما في ذلك من التشبه بالذين يسجدون لها عند هذه الأوقات.

٥ ـ نهى عن السفر إلى أي مكان من الأمكنة بقصد التقرب إلى الله فيه بالعبادة إلا في المساجد الثلاثة: المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى.

٦ ـ نهى عن الغلو في مدحه فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**» والإطراء هو المبالغة في المدح.

٧ ـ نهى عن الوفاء بالنذر إذا كان في مكان يعبد فيه صنم أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية.

٨ ـ نهى ﷺ عن الغلو في حقه وكذا الغلو في الصالحين لما في ذلك من حصول الشرك برفع منزلة المخلوق التي أنزله الله إياها وذلك بالاستغاثة به وسؤاله من دون الله وتعظيمه كتعظيم الله أو أشد وكذا بحصول العبادة عند قبورهم والتبرك بتربته وذبح القرابين لأضرحتهم كل هذا من الغلو نهى عنه ﷺ لما فيه من حصول الشرك.



ثانياً: الطيرة

الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء لغة: التشاؤم بالشيء ومصدره تطير.

أصل الطيرة أن العرب كانت تتشاءم من السوانح والبوارح فما أخذ ذات اليمين من الطير سموه سانحاً وتبركوا به وما أخذ ذات الشمال سموه بارحاً وتشاءموا به لكن الشرع أبطل ذلك وأخبر أنه لا يؤثر في جلب نفع أو دفع ضر.

فالتطير مناقض للتوحيد لما فيه من نسبة أفعال الله إلى شيء من خلقه وقد سماه الرسول ﷺ شركاً فقال: «**الطيرة شرك**»[١] وفي الحديث الآخر «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله ما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إلٰه غيرك**»[٢].

وعلى هذا فالطيرة منتفية وليس لها أي تأثير والله هو وحده المتفرد بالتقدير والتدبير ولهذا نفاها النبي ﷺ بقوله: «**لا عدوى ولا طيرة**»[٣].

قال ابن القيم رحمه الله حول هذا الحديث: «يحتمل أن يكون نفياً وأن يكون نهياً؛ أي: لا تتطيروا والنفي يدل على إبطالها والنفي أبلغ من النهي لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي يدل على المنع»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٩١٠)، الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان برقم (٤٣)، وابن حبان في صحيحه برقم (٦١٢٢).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢/ ٧٠٤٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٣٨٠) (٥٤٢١) (٥٤٣٨)، ومسلم برقم (٢٢٢٠).

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٣/ ٢٨٠).

حكم الطيرة:

الطيرة محرمة شرعاً وهي من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد إن كانت بالأقوال والأفعال، أما إن اعتقد أن هذه الأشياء فاعلة أو سبب مؤثر في جلب نفع أو دفع ضر فهي شرك أكبر مناف للتوحيد.

لماذا حرمت الطيرة؟

حرم الشرع الحكيم الطيرة لعدة أمور منها:

١ ـ أن فيها نسبة النفع والضر والقدرة عليها لغير الله.

٢ ـ أن فيها الاعتماد والتوكل على غير الله.

٣ ـ أن فيها تعلق القلب بغير الله.

٤ ـ أنها طريق لنشر الخرافات في المجتمعات.



ثالثاً: الرقى

تعريف الرقية:

الرقية هي التي يُرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات، وتنقسم إلى قسمين:

الأول: الرقى الممنوعة.

وهي التي تكون بالاستعاذة بغير الله والاستغاثة بالجن والاستعانة بالروحانيات مما يضاد العقيدة وينافيها وهي التي عناها النبي ﷺ في قوله: «**إن الرقى والتمائم والتولة من الشرك**»[1].

الثاني: الرقى المشروعة.

وهي التي توفرت فيها الشروط التالية:

أ ـ ألا تكون الرقية شركية كما قال ﷺ: «**اعرضوا عليَّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[2].

ب ـ ألا تكون رقية سحرية فلا يحل للمسلم أن يذهب إلى السحرة ليطلب منهم الرقية للوعيد الشديد والنهي الأكيد عن إتيان العرافين والسحرة فقد قال النبي ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً**، وفي رواية، **أو ساحراً فقد كفر بما أنزل على محمد**»[3].

ج ـ أن يكون بعبارات واضحة ومفهومة المعنى فإن ما لم يفهم معناه

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٨٣)، وأحمد (١/ ٣٨١) والحديث صحيح.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٢٠٠).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٨)، والبيهقي (٨/ ١٣٥).

لا يؤمن أن يكون فيه شرك، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع أهل العلم على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١ ـ أن تكون بكلام الله أو بأسمائه أو بصفاته.

٢ ـ أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

٣ ـ أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى».

هل تنافي الرقية المشروعة التوكل على الله؟

الصواب من كلام أهل العلم أن الرقية بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ لا تنافي التوكل بل هي من صميم الإيمان والاعتماد على الله واللجوء إليه في كشف الضرر ودفع البلاء لفعل النبي ﷺ لها بنفسه وبغيره وإقراره لأصحابه على ذلك كما جاء في قصة اللديغ ولكن بالشروط السابقة.

وأما حديث السبعين ألف فمعنى نفي الكي والاسترقاء أنه يتوكل على الله في دفع الداء والرضا بالقضاء لثبوت ذلك بالنصوص الشرعية

واقع الرقية في وقتنا الحاضر:

توسع الناس في هذا الباب وفتحوا على أنفسهم أبواباً من الشر وتساهلوا فيها وقد تصدر للرقية غير المؤهلين ووقعوا في محاذير شرعية كثيرة منها المبالغة في أخذ المال من الناس وبيع الرقية وكذا لمس النساء أثناء الرقية، وأيضاً ظلم الآخرين باتهامهم بالسحر وهم يزعمون أنهم يخاطبون الجن ويسمعون منهم وفي غالب الأحيان أن ذلك من مداخل الشيطان وأن المريض هو الذي يتكلم ليتخلص من واقعه الذي يعيشه.

وقد بالغ بعض المتصدرين للرقية ففتحوا محلات لها ووضعوا إعلانات بل أصبح البعض يرقي عبر الهاتف والمكرفون وكل ذلك مخالفات شرعية ينبغي الحذر منها.

ووصيتي لمن يبتلى بالمرض أن يقرأ على نفسه أو يبحث عن أحد من أقاربه ومحارمه ممن يقرأ عليه فهم أصدق وأقرب إلى نفعه ممن يتكسب بالرقية حمانا الله وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

رابعاً: التمائم

تعريف التمائم:

هي خرزات كان العرب يعلقونها على أولادهم ينفون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام.

حكمها:

لا خلاف بين أهل العلم في تحريم اتخاذ التمائم وتعليقها إذا كانت بألفاظ شركية أو بسبب اعتقادات فاسدة وإنما وقع الخلاف بينهم فيما إذا كانت هذه التمائم من القرآن أو من أسماء الله وصفاته، فهل يجوز تعليقها أو لا؟ في المسألة **قولان**:

أحدهما: قالوا: يجوز ذلك وهي لا تعدو أن تكون رقية.

الثاني: قالت طائفة: لا يجوز ذلك لأنها داخلة في التمائم ولا علاقة لها بالرقية وهذا هو الراجح سداً لذريعة الاعتقاد المحظور ولا سيما في زماننا الذي كثرت فيه الفتن وأصبحوا يكتبون آية وتحتها طلاسم وتعاويذ ما أنزل الله بها من سلطان ولذا تعلقوا بها وأصبحوا يركنون إليها فتحريمها سداً للذريعة أحوط وأبرأ للذمة ولئلا يمتهن القرآن ولا سيما أن في ذلك صرفاً لقلوب العامة عن التوكل على الله بل يتوكلون على ما كتبوه لهم وهنا يدخل هؤلاء الدجالون عليهم من أبواب شيطانية كثيرة ويوسوسون لهم أنهم يعرفون من أحوالهم ويشفقون عليهم وهم في الحقيقة يريدون سرقة أموالهم ونهبها عن طريق هذه التمائم الشركية فليحذر المسلم من حيل شياطين الإنس والجن وليتكل على الله الذي بيده النفع والضر من قبل ومن بعد.

الأدلة على تحريم التمائم:

جاءت نصوص الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على تحريم التمائم:

أولاً: الأدلة من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

وقوله سبحانه: ﴿... ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣، ٥٤].

وجه الدلالة من الآيات:

أن الآيات جاءت لبيان أن الكاشف للضر هو الله سبحانه وأنه لا يقدر على ذلك إلا هو.

وربنا ـ جل وعلا ـ جعل أسباباً لجلب النفع أو لدفع الضر وهذه الأسباب إما شرعية وهي التي جاءت نصوص الشريعة ببيانها بنص آية أو حديث كالدعاء والرقية الشرعية وشرب العسل والحجامة وغير ذلك مما جاءت به نصوص السنة، فهذه أسباب لجلب النفع ودفع الضر.

وإما أسباب طبيعية يدركها الناس في الواقع المحسوس أو المعقول مثل الأدوية الطبية أو الشعبية وغير ذلك.

فهذه الأسباب وغيرها المباشر لها إنما لجأ إلى الله الذي أمر بها وبيَّن أنها أسباب وهو القادر على تعطيل تأثيرها فيكون الاعتماد عليه سبحانه.

فأما التمائم فليس بينها وبين تأثيرها على متعاطيها مناسبة ولا فائدة تذكر فيها بل فيها من الشر ما سنذكره في أدلة السنة فما علاقة الخرزة بدفع الشر أو إزالته وهي جماد لا تأثير لها ولم يجعلها الله سبباً شرعياً ولا يدرك الناس أنها سبب طبيعي لدفع الشرور والأخطار.

ومن هنا جاءت الآيات لبيان أن الذي بيده كشف الضر أو جلب النفع هو الله وحده.

ثانياً: أدلة السنة:

١ ـ عن عمران بن حصين رضي الله عنه «أن النبي رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: **ما هذه؟** قال: من الواهنة، قال: **انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً فإنك لو مت عليه ما أفلحت أبداً**»[(١)].

٢ ـ عن أبي بشر الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ـ فأرسل رسولاً ـ: «**أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت**»[(٢)].

٣ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[(٣)].

٤ ـ وعن عقبة بن عامر مرفوعاً «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**»[(٤)].

فهذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على تحريم تعليق التمائم وأنها من الشرك.

تعليق التمائم من أي أنواع الشرك؟

التمائم منها ما هو شرك أكبر ومنها ما يكون شركاً أصغر. فإذا اشتملت هذه التمائم على استغاثة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين أو اعتقد واضعها أنها تكشف عنه بلواه وتدفع عنه الضرر دون إذن الله ومشيئته فهنا يكون قد تأله لها لأنه توكل عليها ورجا النفع من قبلها.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٤٥)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، وصححه ووافقه الذهبي والحديث مختلف في صحته.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٣٨٨٣)، وأحمد (١/ ٣٨١).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٣٢٥).

وتكون شركاً أصغر إذا جعلها سبباً فقط ولم يعتقد فيها نفعاً ولا ضرراً بل يعتقد أن الله هو النافع وحده وأنه هو الدافع الرافع وحده فهنا نوع من الشرك الأصغر لأنه جعل ما ليس سبباً شرعياً ولا قدرياً سبباً فهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن التمائم: «إذا كانت من أسماء الشياطين أو العظام أو الخرز أو المسامير أو الطلاسم وهي الحروف المقطعة وأشباه ذلك فهي من الشرك الأصغر وقد تكون شركاً أكبر إذا اعتقد متعلق التميمة أنها تحفظه أو تكشف عنه المرض أو تدفع عنه الضرر دون إذن الله ومشيئته»[1].



(١) مجموع فتاوى الشيخ رحمه الله (٢/ ٣٨٤).

خامساً: التبرك

تعريف التبرك:

هو طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر وكل ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه بسبب ذات مباركة أو زمان مبارك.

وينقسم التبرك إلى قسمين:

الأول: التبرك المشروع وهو أنواع:

١ ـ التبرك بذات النبي ﷺ وآثاره وقد جاءت النصوص بذلك لما جعل الله فيه من بركة خاصة.

عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عنه بهن وأمسح بيده نفسه لبركتها»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه فربما جاءه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها، قال أنس: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل»[(٢)].

فهذا يدل على أن ذات النبي ﷺ مباركة وكذلك ما انفصل من شعره أو عرقه وآنيته وملابسه مما جعل الله فيه بركة وخيراً كثيراً.

٢ ـ التبرك بذكر الله ومجالسة الصالحين جاء في الحديث الصحيح «**إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون تنادوا**

(١) رواه البخاري (٥٧٣٥).

(٢) رواه مسلم (١٥/ ٨٢).

هلموا إلى حاجتكم قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فسألهم ربهم ﷻ وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون لا والله ما رأوك، قال: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً، إلى أن قال: فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال فيقول ملك من الملائكة: فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»[١].

فدل هذا الحديث على بركة مجالس الذكر وأنها من أسباب نيل المغفرة بل إن بركتها تتعدى إلى من جلس فيها وإن لم يكن من أهلها.

٣ ـ التبرك بالصلاة والتعبد في المساجد كلها وخصوصاً المساجد الثلاثة: المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى وذلك لما جاء في فضلها والصلاة فيها ثبت في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: **«صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»**[٢].

وجاء في الحديث: **«أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وأن الصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة»**[٣].

ومع ذلك نقول لا يجوز التمسح بشيء من هذه المساجد على وجه التبرك بل ولا الكعبة المشرفة لعدم ورود دليل على ذلك فالتمسح بالجدران والأبواب والأعمدة كل ذلك لا يجوز لعدم فعل الرسول ﷺ له وكذلك صحابته من بعده وسلف الأمة رضوان الله عليهم.

٤ ـ التبرك بتناول بعض الأطعمة والأشربة والأدوية التي وردت الأدلة بثبوت البركة فيها ومن ذلك:

١ ـ زيت الزيتون، قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٨).

(٢) رواه البخاري (١١٩٠)، مسلم (١٣٩٤).

(٣) رواه أحمد (١٤٧٣٥)، والطبراني في الأوسط.

غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ﴾ [النور: ٣٥] وجاء في الحديث: «**كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة**»[(١)].

٢ ـ اللبن وشربه والاستزادة منه جاء في الحديث: «**ومن سقاه الله لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإني لا أعلم ما يجزي من الطعام والشراب إلا اللبن**»[(٢)].

٣ ـ العسل وشربه والاستشفاء به فقد ورد الدليل بذلك قال تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ﴾ [النحل: ٦٩] وجاء في الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه فقال: «**اسقه عسلاً فسقاه ثم جاء الرجل ثانية وثالثة فأمره بذلك وقال: صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً فسقاه ثم برأ**»[(٣)].

٤ ـ ماء زمزم وقد ثبت النص فيها قال ﷺ: «**إنها مباركة طعام طعم وشفاء سقم**»[(٤)].

الثاني: التبرك الممنوع وهو أنواع:

١ ـ التبرك بزيارة الآثار وبعض المواقع كدار الأرقم وغار ثور وغار حراء وتقبيل جدران وأبواب المسجد النبوي والمسجد الحرام وغير ذلك وهذا أمر محرم لأن التبرك عبادة والعبادة تحتاج إلى دليل وقد توسع المسلمون في هذا الباب وحصل من البدع ما الله به عليم.

وقد أفاض العلماء في بيان ذلك والتحذير منه، ومنهم شيخ الإسلام فقد ذكر بعض المواقع كغار جبل ثور وموضع المولد ومحل بيعة العقبة ثم قال: «ومعلوم أنه لو كان هذا معلوماً مستحباً يثيب الله عليه لكان النبي أعلم الناس

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٩٧)، وصححه الحاكم وقال: صحيح الإسناد (٢/ ٣٩٨) ووافقه الذهبي.
(٢) رواه ابن ماجه برقم (٣٣٢٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٢٣٣).
(٣) رواه البخاري برقم (٥٦٨٤).
(٤) رواه مسلم (٢٤٧٣).

بذلك وأسرعهم إليه ولكان علَّم أصحابه ذلك وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك عُلم أنه من البدع المحدثة التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم وشرع من الدين ما لم يأذن له الله»[١].

٢ ـ التبرك ببعض الأزمنة التي لم يرد بشأنها دليل يقتضي ذلك كالاحتفال بالمولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج ويوم الهجرة ويوم بدر وغيرهما مما لم يكن معروفاً ومشهوراً عند خيار الأمة من السلف الصالح فمن بعدهم وإنما أحدثه أهل البدع والأهواء.

٣ ـ التبرك بذوات بعض الصالحين وآثارهم وهذا أمر عم وطم في معظم البلاد الإسلامية وأصبح مصدر ارتزاق لبعض ضعاف النفوس. والتبرك بالذات البشرية مما اختص الله الرسول ﷺ به ولذا لم يثبت عن سلف الأمة أنهم يتبركون بأفضل هذه الأمة أبي بكر وعمر ولا عثمان ولا علي فدل ذلك على أنه ممنوع لأن التبرك عبادة تحتاج إلى دليل ومن فعله فقد وقع في البدعة التي قد تجره إلى الشرك.



(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٤٩).

سادساً: التوسل

تعريفه:

هو اتخاذ وسيلة إلى الله تعالى لإجابة الدعاء وتحقيق المطلوب، وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوسل المشروع.

وهو ما كان بوسيلة ثبتت بها الأدلة ومنه:

١ ـ التوسل إلى الله بأسمائه سبحانه على وجه العموم قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] ومنه ما جاء في الحديث: «**اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك...**»[(١)].

أو على وجه الخصوص كدعائه ـ جل وعلا ـ باسم من أسمائه خاص مثل الرحمٰن الرحيم العزيز اللهم يا رحيم ارحمني ويا غفور اغفر لي ويا تواب تب علي وهكذا.

٢ ـ التوسل إلى الله تعالى بصفاته على وجه العموم مثل: اللهم إني أسألك بصفاتك العلى أن تغفر لي، أو على سبيل الخصوص مثل: أعوذ بعزة الله من شر ما أجد.

٣ ـ التوسل إلى الله بأفعاله سبحانه مثل: «اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم» صلاة الله على إبراهيم فعل من أفعاله فالعبد يتوسل بها للصلاة على النبي ﷺ.

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٩١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٩٩).

٤ ـ التوسل إلى الله بالإيمان به وبرسوله مثل: اللهم إني أسألك بإيماني بك وبرسولك أن تغفر لي.

٥ ـ التوسل إلى الله بالعمل الصالح مثل حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار حيث توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة ففرج الله عنهم.

القسم الثاني: التوسل الممنوع:

وهو التوسل إلى الله بما ليس عليه دليل شرعي من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وهو أنواع:

١ ـ التوسل إلى الله بجاه شخص له مكانة ومنزلة وجاه عند الله فهذا غير مشروع لعدم ورود الدليل عليه حتى ولو كان رسول الله ﷺ وفرق بين أن يتوسل العبد بإيمانه برسول الله أو يتوسل بجاه رسول الله فالأول مشروع والثاني ممنوع.

٢ ـ التوسل إلى الله بدعاء ميت لا يمكن أن ينفع نفسه فكيف ينفع غيره وهذا من الحمق والسفه فإذا كان رسول الله لا يمكن أن ينفع أحداً بعد موته فكيف بغيره ثم إن الميت حيل بينه وبين العمل فلا يمكن أن يعمل حسنة واحدة فكيف يدعو لغيره أو ينفع غيره.

٣ ـ التوسل بدعاء الأصنام والأولياء والقبور وهذا توسل شركي مخرج من الملة وهو ما كان عليه عمل أهل الجاهلية قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ٣].



سابعاً: السحر

١ ـ تعريف السحر:

السحر في اللغة ما خفي ولطف سببه ومنه قوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] وتطلق العرب السحر على الخديعة لأنه يخفى سببها.

وفي الاصطلاح عزائم ورقى وعقد تؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٢ ـ وقوع السحر:

وقوع السحر ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾ [الأعراف: ١١٦]. وقد جاء في كتاب الله عشرات الآيات في إثبات وقوع السحر.

ومن السنة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**سحر النبي حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله حتى كان ذات يوم دعا ودعا ثم قال: أشعرت أن الله أفتاني**

فيما فيه شفائي أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: فبماذا؟ قال: في مشط ومشاطه وجف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان. فخرج إليها النبي ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: نخلها كأنه رؤوس الشياطين. فقلت: استخرجته؟ فقال: لا، أما أنا فقد شفاني الله وخشيت أن يثير ذلك على الناس شراً ثم دفنت البئر»[(١)].

ومن الإجماع فقد أجمع أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم على وقوعه للنصوص الصريحة في ذلك.

٣ ـ هل للسحر حقيقة؟

وقوع السحر حق وله حقيقة مؤثرة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] ولما ثبت من سحره ﷺ وقوله: «**أما أنا فقد شفاني الله**» والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض فدل ذلك أن له حقيقة.

قال النووي: «والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة»[(٢)].

٤ ـ حكم تعلم السحر:

تعلم السحر كفر لأنه لا يتم إلا بالاستعانة بالشياطين والعبودية لها وتناول المحرمات واستخدام طرائق بدعية قد لا يعقلها الإنسان، فلا يجوز لمن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن يتعلمه بل هو يناقض التوحيد قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منها السحر**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٧٦٦)، مسلم (١٧١٩/٤).
(٢) روضة الطالبين (٣٤٦/٩).
(٣) رواه البخاري (الفتح ٢٢٤/١٠).

قال ابن قدامة في المغني: «تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم»[(١)].

وقال الذهبي: «الكبيرة الثالثة في السحر لأن الساحر لا بد وأن يكفر»[(٢)].

٥ ـ حد الساحر:

حكم الساحر قطع عنقه لما روي «**حد الساحر ضربة بالسيف**»[(٣)] وقد كتب عمر قبل وفاته بشهرين: «اقتلوا كل ساحر وساحرة»[(٤)].

وقال ابن قدامة في المقنع: «والساحر الذي يركب المكنسة وتسير به في الهواء ونحوه يكفر ويقتل»[(٥)].

٦ ـ توبة الساحر:

اختلف أهل العلم في هذه المسألة خلافاً مشهوراً فقال بعضهم: يقتل من غير استتابة، وقال بعضهم: بل يستتاب فإن تاب قبلت توبته وخليٌّ سبيله قالوا: لأن ذنبه دون الشرك والمشرك تقبل توبته.

وهذا الخلاف إنما هو في إسقاط الحد عنه عند توبته أما فيما بينه وبين ربه فلا أحد يحول بينه وبين التوبة، فإذا صدقت توبته فربنا أرحم بنا من أنفسنا فلعل الله أن يتوب علينا وعلى المسلمين.

٧ ـ سبل الوقاية من السحر:

جاء الإسلام بكل وسيلة جالبة للخير رافعة للشر ومن ذلك الأذكار التي تعين على صلاح القلب واستقامته وخضوعه لله.

---

(١) المغني (٨/ ١٥١).
(٢) الكبائر للذهبي (ص١٤).
(٣) رواه الترمذي في الحدود (٤/ ٢٠) برقم (١٤٦٠).
(٤) رواه أبو داود (٣/ ٢٢٨) وهو صحيح.
(٥) المقنع (٣/ ٥٢٣).

ولذا فالأذكار والأدعية في الصباح والمساء مما يقي العبد من السحر وإذا كان الإنسان شاكي السلاح دائماً متسلحاً بالأذكار فهذا لا يضره شيء بإذن الله.

ومما يقي من السحر أن يتصبح بسبع تمرات من عجوة المدينة جاء في حديث سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر**»(١).

وهل هذا خاص بعجوة المدينة أم عام؟ وهل هو خاص بتمر العجوة أم يشمل تمر المدينة كله؟ وهل هو خاص بزمان الرسول ﷺ أو عام؟ الصواب أنه عام.

٨ ـ علاج السحر:

علاج السحر يكون بأحد طريقين:

١ ـ طريق محرم كالذهاب إلى السحرة والمشعوذين وطلب المسحور منهم حل السحر وهذا لا شك في حرمته وقد جاءت النصوص بذلك.

٢ ـ طريق مشروع ومنه الطرق التالية:

أ ـ استخراج السحر وإبطاله وهذا أفضل أنواع العلاج وأبلغه.

ب ـ إخراج الجني الموكل بالسحر من جسم المريض.

ج ـ الاستفراغ ومنه الحجامة.

د ـ الرقى الشرعية.

أولاً: استخراج السحر.

على المسلم الذي يصاب بهذا الأمر أن يتوجه إلى الله بالدعاء ليستدل على مكان السحر وهنا إذا استدل على مكانه أزاله وهذا أفضل وأبلغ ما يزيل هذا الداء.

وإذا كان هذا حدث لرسول الله ﷺ بطريق الوحي فقد يكرم الله

(١) صحيح البخاري برقم (٥٧٦٨)، مسلم برقم (٢٠٤٧).

المسحور فيرى ذلك في المنام وقد يستدل على السحر أثناء بحثه في البيت أو طرحه للأسئلة على من لهم علاقة به.

وقد يستدل به عن طريق خبر الجن إذا قرأ على شخص مصاب فقد يخبره عن فلان وعن مكان السحر ولكن ينبغي أن يعلم أن خبر الجن الأصل فيه ألا يصدق لأن غالب أخبارهم الكذب وقد أحدث مثل هذا الأمر مشاكل في البيوت واتهم بعض الأبرياء والنساء البريئات بسبب كلام بعض المرضى وقد يكون ذلك من التوهم أو الخيال الذي يعيشه المريض فلا نصدق كل ما يقال بل نتثبت ونبحث ونتأكد ونعالج ولا نظلم أحداً.

ثانياً: الاجتهاد في إخراج الجن الذي قد يكون محبوساً في المريض من قبل الساحر فالاستمرار بالقراءة ومتابعة ذلك والصدق والإقبال على الله والبعد عن المعاصي كفيل بإذن الله بطرده وإخراجه من جسم المريض.

ثالثاً: الاستفراغ وذلك بإزالة أثر السحر وهذا يحصل بالقيء والحجامة فقد يظهر أثر السحر على أحد أعضاء المريض وهنا نحاول أن نزيله بكل وسيلة متاحة وهذا أمر مجرب معروف.

رابعاً: حل السحر بالرقية الشرعية.

وذلك بأن يجتهد المريض أو من حوله فيقرؤون عليه ما تيسر من القرآن الفاتحة والمعوذات وآية الكرسي وما تيسر وليس هناك شيء محدد لكن لو ركز القارئ على آيات السحر وآيات الشفاء لكان في ذلك خير إن شاء الله.

وقراءة الشخص على نفسه وكذا قراءة من حوله عليه أولى من الذهاب للمتصدرين للرقية لأن علاج الشخص لنفسه وإحساسه بمعاناته تدفعه للصدق والإخلاص والتخلص من الذنوب، وصدق اللجوء إلى الله، والله ـ جل وعلا ـ يشفيه ويعافيه بفضله وكرمه.



المبحث الخامس

شهادة التوحيد

«لا إله إلا الله» «محمد رسول الله»

أولاً:

التعريف بالشق الأول من كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»

١ ـ المراد بشهادة التوحيد:

المراد بشهادة التوحيد لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، وتعتبر هذه الشهادة هي أول واجب على العبد كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله**»(١).

وإنما سميناها شهادة التوحيد لظاهر الرواية الأخرى لحديث معاذ ـ حيث قال فيه: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله**»(٢).

٢ ـ معنى شهادة التوحيد:

ذكرنا فيما سبق أن شهادة التوحيد المراد بها لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ومعنى الشق الأول منها «لا إلٰه إلا الله» معناه لا معبود بحق إلا إلٰه واحد وهو وحده سبحانه لا شريك له كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فمعناها الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة هو عبادة الله وترك عبادة ما سواه وهو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله وأن إلٰهية ما سواه أبطل الباطل وإثباتها

(١) رواه البخاري برقم (١٣٩٥)، مسلم (١٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٩٣٧).

أظلم الظلم فلا يستحق العبادة سوى الله كما لا يستحق الإلٰهية غيره.

دليل ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] والمراد من شهادة الحق هو شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وقوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومن السنة قوله ﷺ: «**من قال لا إلٰه إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله**»[(١)] وكذا حديث معاذ المتقدم.

كل هذه الأدلة وغيرها تدل دلالة واضحة على أن معنى شهادة التوحيد «لا إلٰه إلا الله» أنه لا معبود بحق إلا الله ﷻ فلا تصرف أي عبادة لغيره ﷻ لأنه هو المستحق لهذه العبادة.

٣ ـ مخالفو أهل السنة في تفسير كلمة التوحيد:

لقد ضل المتكلمون في تفسير معنى لا إلٰه إلا الله ففسروا الإلٰه بالقادر على الاختراع، وبناء على تفسير معنى الإلٰه عندهم قالوا بأن معنى لا إلٰه إلا الله القدرة على الاختراع والإبداع والخلق، وبناء على هذا التفسير عند هؤلاء أدى هذا الخطأ في تفسيرها إلى إجازتهم لكثير من نواقض الشهادة والوقوع في هذه النواقض كما أدى بكثير من المنتسبين إلى التصوف إلى القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد لعدم تفريقهم بين الحقيقة الشرعية التي يدل عليها لفظ الإلٰه وبين الحقيقة الكونية فجعلوا طاعة الله وعبادته هي موافقة قضائه وقدره فاستباحوا المحرمات وتركوا الطاعات.

ومن هنا كان ولا بد من تعريف (الإلٰه) بالمعنى الذي دلت عليه نصوص

(١) رواه مسلم برقم (٢٣).

الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ حيث فسروا (الإلـٰه) بأنه المعبود المطاع لا بمعنى الرب الذي من مدلولاته الخلق والاختراع والإبداع.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: في تيسير العزيز الحميد: قال شيخ الإسلام: «الإلٰه هو المعبود المطاع» وقال أيضاً: «الإلٰه هو المألوه الذي يستحق أن يعبد». وقال ابن القيم: «الإلـٰه هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاء وتوكلاً».

إلى أن قال الشيخ سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وهذا كثير جداً في كلام العلماء وهو إجماع منهم أن الإلٰه هو المعبود خلافاً لما يعتقده عباد القبور وأشباههم في معنى الإلٰه أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات ويظنون أنهم إذا قالوها لهذا المعنى فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله كدعاء الأموات والاستغاثة بهم في الكربات وسؤالهم قضاء الحاجات والنذر لهم في الملمات وسؤالهم الشفاعة عند رب السماوات والأرض إلى غير ذلك من أنواع العبادات وما شعروا أن إخوانهم من كفار العرب يشاركونهم في هذا الإقرار ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع ويعبدونه من أنواع العبادات. . .إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولو كان معناها ما زعمه هؤلاء الجهال لم يكن بين الرسل وبينهم نزاع بل كانوا يبادرون إلى إجابته ويلبون دعوته.

إلى أن قال: وبالجملة فلا إلٰه إلا الله أي: لا يعبد إلا هو فمن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً لمقتضاها من نفي الشك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل فهذا هو المسلم حقاً فإن عمل بها ظاهراً من غير اعتقاد فهو منافق وإن عمل بخلافها من الشرك فهو الكافر ولو قالها. . .»[(١)].

(١) تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ ص(٧٧ ـ ٧٨).

٤ ـ حكم شهادة التوحيد (لا إلٰه إلا الله):

حكم شهادة التوحيد هو وجوب النطق بها مرة في العمر وإن كان المشروع فيها الإكثار من ذكرها لقوله ﷺ: «**أفضل الذكر لا إلٰه إلا الله**»[١] وقال ﷺ أيضاً: «**أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إلٰه إلا الله**»[٢].

وكذلك يجب اعتقاد ما تدل عليه والعمل بذلك لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]. وقوله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أن لا إلٰه إلا الله دخل الجنة**»[٣].

وكذلك يجب إخلاصها لله تعالى لقوله ﷺ: «**من قال لا إلٰه إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة**»[٤] وفي حديث آخر: «**من شهد أن لا إلٰه إلا الله مخلصاً من قلبه حرمه الله على النار**»[٥].

٥ ـ كيفية تحقيق شهادة التوحيد (لا إلٰه إلا الله):

لتحقيق هذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد لا بد من الإتيان بمدلولها علماً وعملاً وإرادة وقصداً ونية وتخليص القلب مما يضاد هذا المعنى كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والطاغوت: اسم جامع لكل ما عبد من دون الله وهو راض، أما الكفر به: هو البراءة مما يضاد التوحيد وأهله فلا يمكن تحقيق شهادة التوحيد إلا باجتماع أمرين:

الأول: القيام بشروطها.

الثاني: انتفاء الموانع التي تنقضها.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٣٨٠) وقال: حديث حسن.

(٢) السلسلة الصحيحة برقم (١٥٠٣) (٤/ ٨٢٧).

(٣) السلسلة الصحيحة (١/ ١٣١)، المشكاة برقم (٣٧).

(٤) رواه البخاري برقم (٩٩).

(٥) الصحيحة للألباني (٣/ ٢٩٩).

٦ ـ شروط كلمة التوحيد (لا إله إلا الله):

قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ في بيان شروط كلمة التوحيد:

وبشروط سبعة قد قيدت	وفي نصوص الوحي حقاً وردت
فإنه لم ينتفع قائلها	بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول	والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة	وفقك الله لما أحبه[١]

فهذه سبعة شروط لكلمة التوحيد وهذه الشروط لا تصح الشهادة إلا بوجودها:

الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً وضده الجهل بمعناها فهي تنفي جميع ما يعبد من دون الله وتثبت الألوهية لله وحده قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

الثاني: اليقين وضده الشك والتردد.

ومعنى اليقين هو العلم الكامل بمعناها بحيث لا يرد عليه شك ولا ريب ولا تردد في الإيمان بمدلولها قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥].

الثالث: الإخلاص وضده الشرك.

ومعنى الإخلاص تخليص القلب من كل ما يضاد معنى هذه الشهادة قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

الرابع: الصدق وضده الكذب.

ومعنى الصدق بهذه الشهادة أن لا يخالف ظاهره باطنه بل يتواطؤ الظاهر والباطن فلا يظهر عليه ما يناقض ما في القلب من الاعتقاد بالمدلول واليقين به قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

---

(١) معارج القبول (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨).

الخامس: المحبة:

أي: المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض من نقض ذلك والمراد بها هنا محبة الله ورسوله ومحبة ما جاء به الله ورسوله من العلم والعمل ومحبة المؤمنين وبغض ما يناقضه من كل علم وعمل يخالفها وبغض أهل ذلك والبراءة منهم ومما هم عليه من العلم والعمل.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله**»[(١)].

وقال أيضاً ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان في قلبه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[(٢)].

السادس: من شروط كلمة التوحيد الانقياد لما دلت عليه المنافي لترك ذلك.

ومعنى الانقياد لهذه الكلمة هو الاستسلام لله ورسوله ظاهراً وباطناً وذلك بالعمل بالمأمور وترك المحظور.

دليل هذا الشرط قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

ومعنى يسلم وجهه لله؛ أي: ينقاد، ومعنى وهو محسن؛ أي: هو

(١) مصنف ابن أبي شيبة ـ كتاب الزهد ـ برقم (١٦١٨٥)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم (٩٩٨) (١٧٢٨).

(٢) رواه البخاري برقم (١٦) في الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ومسلم في الإيمان (٤٣)، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

موحد، ومن لم يسلم وجهه لله ولم يكن مسلماً فإنه لم يكن منقاداً لكلمة التوحيد.

السابع: القبول لما تقتضيه هذه الكلمة.

والمراد به انصياع القلب وذله وانكساره وخضوعه لما جاء عن الله ورسوله خضوعاً مستلزماً لطاعته وعبادته وأن يوقن أنه لا طريق ينجيه ويهديه إلا ما جاءت به شريعة الإسلام.

فمتى أعرض العبد عن هذه الكلمة بقلبه فلم يقبلها ورد ما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق فلم يقبله فقد أصبح من الكافرين قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].



ثانياً: الشق الثاني من كلمة التوحيد شهادة أن محمداً رسول الله

١ ـ تمهيد:

لما كانت كلمة التوحيد علماً على النطق بالشهادتين معاً وكانتا متلازمتين لا تنفك إحداهما عن الأخرى كان من الواجب على من أتى بكل منهما أن يعرف ما تدل عليه الكلمة ويعتقد ذلك المعنى ويطبقه في سيرته ونهجه فبعد أن عرف المسلم المراد من لا إلٰه إلا الله أنه ليس بمجرد التلفظ بها فكذلك يقال في الشق الثاني منها وهو شهادة أن محمداً رسول الله بل لا بد من التصديق بها والتزام معناها ومقتضاها.

٢ ـ معنى شهادة أن محمداً رسول الله:

هو الاعتقاد الجازم بأنه ﷺ مرسل من ربه ﷻ قد حمله الله هذه الشريعة وكلفه بتبليغها إلى الأمة وفرض على جميع الأمة تقبل رسالته والسير على نهجه.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

«ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع»[١].

٣ ـ كيفية تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

(١) الأصول الثلاثة ص٧.

«وأما تحقيق الثانية: وهي شهادة أن محمداً رسول الله، فبالإيمان به ﷺ وأنه عبد الله أرسله الله إلى الناس كافة الجن والإنس، يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان به واتباع ما جاء به رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع الإيمان بجميع الماضين من الرسل والأنبياء.

ثم بعد ذلك الإيمان بشرائع الله التي شرعها لعباده على يد رسوله محمد ﷺ والأخذ بها والاستمساك بها من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وغير ذلك»[(١)].

٤ ـ أمور تتحقق بها أداء هذه الشهادة والانتفاع بها:

هناك أمور يحصل بها التأثر والتحقق لأداء هذه الشهادة والانتفاع بها من هذه الأمور:

الأمر الأول: أهلية النبي ﷺ لهذه الرسالة:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٧﴾ [ص: ٤٧].

فهذه الآيات وغيرها تفيدنا أن رسل الله من البشر اصطفاهم الله تعالى واجتباهم وطهرهم ليحملوا رسالته فهم أمناء على شرعه ودينه ووسطاء بينه وبين خلقه.

ولما كان نبينا محمد ﷺ هو خاتم النبيين وأفضلهم فإنه بلا شك على جانب كبير من هذا الاصطفاء والاختيار الذي أصبح به مرسلاً إلى جميع الخلق من الجن والإنس.

الأمر الثاني: عصمته من الخطايا:

اتفقت الأمة على عصمة الأنبياء من كبائر الذنوب لمنافاتها جانب الاجتباء والاصطفاء ولأن الله حملهم رسالته إلى البشر فلا بد من أن يكونوا قدوة لأممهم كافة وكلفهم أن يحذروا الناس من الكفر والذنوب والفسوق

---

(١) أركان الإسلام ـ الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله (ص٣٥).

والعصيان فلو وقع منهم ذلك ظاهراً لتسلط عليهم أعداؤهم بالقدح والطعن في شريعتهم وذلك ينافي حكمة الله تعالى فكان من رحمته أن حفظهم من فعل شيء من هذه المخالفات.

ولقد كان رسولنا ﷺ يكلؤه ربه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعانيها لما يريد به من كرامته ورسالته وهو على دين قومه حتى بلغ أنه كان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جواراً وأعظمهم خلقاً وأصدقهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال وقد جاء عنه ما يفيد ذلك حيث قال ﷺ: «**ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به، وما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته**»[1].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٣، ٧٤].

الأمر الثالث: عموم رسالته:

اختص الله تعالى نبيه محمداً ﷺ دون الأنبياء بخصائص كثيرة منها عموم رسالته للناس كافة إنسهم وجنهم قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي**، إلى أن قال: **وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»[2] وقال أيضاً: «**بعثت إلى الأسود والأحمر**»[3].

فهذه النصوص وغيرها تبين أن جميع البشر مكلفون باتباع رسالته ويلزمون بطاعته؟

---

(١) الشفا للقاضي عياض (١/ ١٠٠).
(٢) صحيح البخاري برقم (٢٣٥)، ومسلم (٥/ ٣).
(٣) مسلم (شرح النووي ٥/ ٣).

الأمر الرابع: تبليغه الرسالة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

فهذا تكليف من ربه فلا بد من حصوله مع أن هذا هو وظيفة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

وقد قام رسولنا ﷺ بهذا البلاغ على أتم وجه وأكمله شهد له صحابته بذلك قال أبو ذر رضي الله عنه: «توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علماً»(١) وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم**»(٢).

الأمر الخامس: خاتم النبوة:

ختم الله رسالته وشرائعه بمحمد ﷺ وشريعته قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] أي: أنه آخر الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى الخلق فيلزم من ذلك أن يكون خاتم الرسل ويجب الإيمان بذلك وأن من ادعى النبوة من بعده كاذب كافر، ويلزم من ذلك الإيمان أن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين نزوله فى آخر الزمان يحكم بشريعة محمد ﷺ فهو فرد من أفراد هذه الأمة وإن كان ينزل عليه الوحي لكنه لا يخرج عن هذا الشرع الشريف.

٥ ـ واجب الأمة نحوه ﷺ:

هناك أمور يجب أن نلتزم بها بعد أن عرفنا صدق نبينا فيما جاء به وصحة رسالته فمن هذه الأمور.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٢).

(٢) شرح صحيح مسلم، شرح النووي (١٢/ ٢٣٢).

١ ـ الإيمان به ﷺ:

كما أمرنا بذلك قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦] وكيفية الإيمان به قد أوردناها سابقاً في تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله.

٢ ـ طاعته ﷺ والتحذير من معصيته:

فهذا من علامة الإيمان به فإن التصديق الجازم بصدقه يستلزم طاعته فيما بلغه عن الله تعالى فمن خالفه في ذلك في شيء منه عناداً أو تهاوناً لم يكن صادقاً قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾ [المائدة: ٩٢].

والآيات في الأمر بطاعته كثيرة وقال ﷺ: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[1].

٣ ـ اتباعه والاقتداء بسنته:

فهذا علامة على صدق المحبة لله تعالى قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

وعلامة اتباعه تكون في السير على نهجه والاقتداء به في سيرته وأعماله وقرباته وتجنب كل ما نهى عنه والحذر من مخالفته التي نهايتها الخروج عن التأسي به.

٤ ـ محبته الصادقة بالقلب والقالب وتقديم هذه المحبة على ما سواها:

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة: ٢٤].

(١) رواه البخاري برقم (٧١٢٧).

وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»(١).

٥ ـ احترامه وتوقيره وتعزيره ﷺ:

كما قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] وفي تعزيره وتوقيره ﷺ تعظيم لسنته ورفعة لقدرها في نفوس أتباعه.

٦ ـ وجوب التحاكم إليه والرضا بحكمه ومنع الاعتراض عليه:

قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وأجمعت الأمة أن الرد والتحاكم بعده يكون إلى سنته. ففي هذه الآيات وغيرها أعظم برهان على تحريم مخالفته ومنع الاستبدال بسنته.

٧ ـ الاقتصاد والتوسط في حقه ﷺ:

جرت سنة الله تعالى في خلقه الوقوع في الإفراط والتفريط وأن كل أمة يقع منهم في الغالب الغلو أو التقصير في حق أنبياء الله ورسله وأوليائه الصالحين ولذلك لا بد من التحذير من ذلك ويتبين ذلك فيما يأتي:

١ ـ أنه ﷺ لم يخرج عن كونه بشراً قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] فبينت: أنه اختصه الله تعالى بالوحي فقط وكونه بشراً ﷺ يقع في حقه ما يقع في حق البشر من التكسب وطلب الرزق والمرض وغير ذلك مما ينتاب البشر قال ﷺ: «**إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإن نسيت فذكروني**»(٢).

٢ ـ أنه ﷺ لا يعلم الغيب وإنما يخبر بما أخبره الله به وأوحاه إليه قال

---

(١) البخاري برقم (١٥)، ومسلم (٢/ ١٥).

(٢) متفق عليه ـ البخاري برقم (٤٠١)، ومسلم (٥/ ٩١).

تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فالغيب لا يعلمه إلا الله وإنما يظهر بعض خلقه على شيء من ذلك معجزة وبرهاناً على صدقه.

٣ ـ أنه ﷺ لا يملك الضر ولا النفع لنفسه فضلاً عن غيره قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وما ذاك إلا لأن الملك لله وحده فهو الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع.

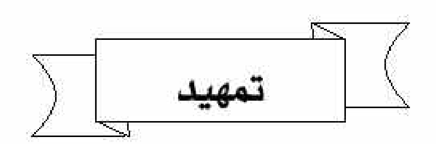
فهذه الآية وغيرها دليل على أنه لا يملك لغيره نفعاً ولا ضراً ولو دعاه ورجاه وهتف باسمه ولو زعم أنه يحبه حباً شديداً كما يزعم عباد القبور ومن يغالي في حقه ﷺ فيقوم بدعائه ورجائه وطلب الحوائج منه.



المبحث السادس

العبادة
وما يتعلق بها

* معنى العبودية.
* أقسام العبادة.
* الإخلاص وأثره وقبول العبادة.
* الأصول التي تقوم عليها العبادة.
* أهمية العبادة.
* أركان العبادة.
* شروط العبادة.



تمهيد

لما كان توحيد الألوهية هو في الحقيقة معناه توحيد العبادة كان من المناسب بيان معنى العبادة وما يختص بها من أركان وأقسام وغيره لأن هذا هو المقصود الأعظم الذي من أجله خلق الله الخلق كما ذكرنا ذلك سابقاً.

فما هي العبادة وما هي أقسامها وما هي أركانها وما هي الأصول التي تبنى عليها هذا ما سيتناوله هذا البحث.

١ ـ معنى العبودية:

في اللغة: هي الطاعة، يقال: طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة السالكين له. فالعبادة الانقياد والخضوع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والعبادة أصل معناها الذل يقال: طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام».

وفي الشرع: عرفها شيخ الإسلام بقوله رحمه الله: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة كالخوف والخشية والتوكل والصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام»(١).

٢ ـ أقسام العبادة:

أولاً: العبادة القولية:

المقصود بها العبادات التي تتعلق باللسان وأهمها الذكر وهو أفضلها وجميع الشرائع شرعت لتعين على ذكر الله قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) الفتاوى (١٠/١٥٣).

لِذِكۡرِيٓ﴾ [طـه: ١٤] وقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢].

ثانياً: العبادة القلبية:

وهي التي مدارها على القلب ومن هذه العبادات:

١ ـ الخوف من الله ﷻ قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال سبحانه: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن: ٤٦].

٢ ـ التوكل وهو أيضاً من أنواع العبادات القلبية وحقيقته اعتماد القلب عليه ﷻ وثقته به وأنه كافيه قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

٣ ـ الرجاء وهو أيضاً من أنواع العبادات القلبية قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ [العنكبوت: ٥].

٤ ـ الرغبة والرهبة والخشية والخشوع، كل هذه عبادات قلبية جاءت نصوص الكتاب العزيز بالدعوة إليها وبيان فضل أهلها.

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله. فقال معاذ بن جبل: ما شيء أنجى من ذكر الله**»[1].

ثالثاً: العبادة البدنية:

المقصود بها العبادات التي تؤدى بالجوارح وهي كثيرة ومنها الصلاة والصيام والحج والعمرة.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٣٧٤)، وابن ماجه برقم (٣٧٩٠).

فكل عبادة أنيطت بالبدن أو بعضو من أعضائه فهي داخلة في هذا النوع من العبادة.

وهناك عبادات قلبية مناطها القلب وهناك عبادات مالية تتعلق بالأموال كالصدقات والكفارات والذبائح ومن ذلك الزكاة.

٣ ـ الإخلاص وأثره في قبول العبادة:

جعل الله الإخلاص شرطاً لقبول الأعمال، فكل عمل لا يكون خالصاً لله فهو مردود على صاحبه فإذا دخل الشرك العمل أحبطه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والآخرين والرسل»[١].

وقال ابن القيم: «ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ منزلة الإخلاص قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

والإخلاص سرّ بين العبد وربه لا يعلمه أحد وهو تصفية العمل من الشوائب والنية هي الخطوة الأولى لكل عمل وهي ركن الشعائر التعبديه وهي محور صلاح العمل ومنطلق السعي للقبول عند الله وقاعدة الأجر والثواب.

فالتوحيد يصحح النية ويلجم الهوى ويجعل السعي ينطلق إلى الخير والصلاح وعلى قدر إخلاص العبادة لله بقدر ما تكون مقبولة عنده سبحانه[٢].

٤ ـ الأصول التي تقوم عليها العبادة:

الأصول التي تقوم عليها العبادة ثلاثة:

---

(١) الفتاوى (١٠/ ٤٩).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٩٣).

الأصل الأول: المحبة:

المراد بها محبة الله ورسوله المتضمنة تقديم مراد الله ورسوله على ما سواهما وهي على ثلاث مقامات:

المقام الأول: مقام التكميل.

والمراد به أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فلا يكفي فيه أصل الحب ومبتدؤه بل لا بد من غاية الحب وكماله.

المقام الثاني: مقام التفريق.

والمراد به أن يحب المرء لا يحبه إلا لله فيفرق بين ما يحبه من الأعمال والأقوال والأشخاص وبين ما يكرهه سبحانه.

المقام الثالث: مقام دفع الضد.

وذلك بأن يكره ما يضاد الإيمان أعظم من كراهة الإلقاء في النار.

علامة المحبة:

١ ـ اتباع الرسول ﷺ.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

٢ ـ الجهاد في سبيل الله.

لأن حقيقة الجهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه من الكفر والفسوق والعصيان ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤].

وفي الحديث **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**[(١)].

(١) رواه البخاري في الإيمان (١٥)، ومسلم في الإيمان (١٤).

الأصل الثاني: الخوف:

والمراد به في العبادة غايته ومنتهاه بحيث لا يخاف من شيء كائناً من كان أعظم من خوفه من ربه سبحانه قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

والخوف عبادة قلبية لا تصلح إلا لله وهي شرط في تحقيق الإيمان فمتى نقص الخوف من قلب العبد فإن ذلك دليل على نقص معرفته بربه ﷻ فإن أعرف الناس بخالقه أخشاهم له.

منشأ الخوف من الرب ﷻ:

ينشأ الخوف من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: معرفة العبد بجنايته وقبحها.

الأمر الثاني: تصديقه بوعيد الله وأن الله رتب على المعاصي عقوبتها.

الأمر الثالث: أن يعلم أنه ربما حيل بينه وبين التوبة.

الفرق بين المحبة والخوف:

أن تعلق المحبة هو الذات والصفات. أما الخوف فمتعلقه هو الأفعال، فمتعلق الخوف هو ذنب العبد وعاقبته وهي مفعولات الله؛ أي: مخلوقاته. فليس الخوف مرجعه إلى الذات، والمحبة سببها الكمال والخوف سببه توقع المكروه.

الأصل الثالث: الرجاء:

والمراد به طلب ما عند الله فلا يأس ولا قنوط والمطلوب كماله وغايته فيرجو ما عند الله من كمال الرجاء قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ [العنكبوت: ٥].

وفي الحديث «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»[(١)].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٥).

ولا يحصل الرجاء إلا بأمور منها:

١ ـ شهود كرمه ﷻ وإنعامه وإحسانه على العباد.

٢ ـ صدق الرغبة فيما عند الله من الثواب والنعيم.

٣ ـ التسلح بصالح الأعمال والمسابقة في الخيرات.

فلا يكون راجياً من قصر في العمل ولا من لم تصدق رغبته في الثواب.

قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم اعلم أنها لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب ومناط العبادة هي غاية الحب وغاية الذل ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال من قال من السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. قلت: وبيان كلامهم هذا أن دعوى الحب بلا تذلل ولا خوف ولا رجاء ولا خشية ولا رغبة ولا خضوع دعوى كاذبة.

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: فالأمن من مكر الله خسران واليأس من روحه كفران والقنوط من رحمته ضلال وطغيان وعبادة الله ﷻ بالحب والخوف والرجاء توحيد وإيمان»[1].

٥ ـ أهمية العبادة:

تتبين أهمية العبادة بالأمور الآتية:

١ ـ أنها الغاية المحبوبة لله تعالى والمرضية له التي خلق الخلق من أجلها قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] فهي الغاية من خلق الخلق.

٢ ـ أنه أرسل الرسل بها فما من رسول إلا دعا قومه إليها فقد قال أنبياء الله لقومهم: ﴿ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] وقال تعالى:

(١) معارج القبول (١/٣٩٧ ـ ٣٩٨).

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦].

٣ ـ أنه سبحانه وصف ملائكته بها فقال: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ١٩].

٤ ـ أنه سبحانه ذم المستكبرين عن عبادته وتوعدهم بما يستحقونه من العذاب فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

٦ ـ أركان العبادة:

للعبادة ركنان:

الركن الأول: كمال الحب الذي هو غايته ومنتهاه وهذا لا يكون إلا لله وحده فإنه وحده سبحانه هو المحبوب لذاته، وأما ما سواه فإنه يحب لعلل وأغراض.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان في قلبه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[١].

الركن الثاني: الذل والخضوع.

والمراد به غايته ومنتهاه فلا يكون ذله وخضوعه التامين إلا لله تعالى فيتضمن ذلك تقديم ما شرعه الله على ما سواه.

فمتى تعارض مراد الله ورسوله على مراد نفسه أو هواه قدم مراد الله ورسوله على ذلك قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

---

(١) سبق تخريجه (ص١٤٧).

٧ ـ شروط العبادة:

للعبادة شرطان:

الأول: الإخلاص وقد ذكرنا أثره في قبول العبادة.

الثاني: متابعة النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رحمه الله: وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبد بالبدع كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وذلك تحقيق الشهادتين شهادة أن لا إلٰه إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله:

ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه.

وفي الثانية: أن محمداً هو رسول الله المبلغ عنه.

فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره وقد بيَّن ﷺ لنا ما نعبد الله به ونهانا عن محدثات الأمور وأخبر أنها ضلالة قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

قال ابن القيم رحمه الله:

«فلا يكون العبد محققاً ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلا بأصلين عظيمين:

أحدهما: متابعة الرسول ﷺ.

والثاني: الإخلاص للمعبود فهذا تحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾»[٢].



(١) الفتاوى (١٠/ ١٧٠).

(٢) التفسير القيم لابن القيم (ص٧٣).

المبحث السابع

البدعة

١ ـ تعريف البدعة.
٢ ـ تمام الدين وكماله.
٣ ـ ذم البدع والتحذير منها.
٤ ـ شبهات أهل البدع.
٥ ـ لوازم الابتداع.
٦ ـ أمثلة لبعض البدع:
أولاً: بدعة المولد.
ثانياً: بدع القبور.
ثالثاً: تخصيص رجب ببعض العبادات.
رابعاً: بدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج.

البدعة

تعريفها:

البدعة في اللغة: تطلق على الشيء المخترع على غير مثال سابق فمن أتى بأمر لم يُسبق إليه فهو مبتدع[١].

وفي الاصطلاح: «ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه»[٢].

فالبدعة هي الطريقة المخترعة في الدين التي يقصد بها التعبد لله على وجه لم يكن معروفاً[٣].

تمام الدين وكماله:

من نعم الله على عباده أنه أكمل لهم الدين وأتم عليهم النعمة فأكمل الشريعة لهم فلم يمت رسول الله ﷺ إلا بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأنزل الله عليه وهو واقف بعرفة في حجة الوداع قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: آية في كتابكم تقرؤونها لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: وأي آية هي؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[٤].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٨/ ٧).
(٢) جامع العلوم والحكم (٢٦٥).
(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ٥٠).
(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما موضحاً هذه الآية: «أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً وقد رضيه فلا يسخطه أبداً»(١).

ذم البدع والتحذير منها:

أهل السنة والجماعة يحذرون من البدع ويبيِّنون خطورتها ويرون وجوب العمل بالكتاب والسنة ومن أقوالهم في ذلك:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «اتبع ولا تبتدع».

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا»(٣).

وقال الإمام مالك رحمه الله: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً»(٤).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة ضلالة»(٥).

ومن أدلة أهل السنة على ذم البدع وأهلها قول الرسول ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(٦).

---

(١) المرجع السابق.
(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٥٠).
(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٣٦).
(٤) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٤).
(٥) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ٢٤١).
(٦) رواه أبو داود برقم (٤٧٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح.

وما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»** وفي رواية: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**(١).

شبهات أهل البدع:

كثيراً ما يورد أهل البدع شبهاً يبررون بها بدعهم ويروجون بضاعتهم ومن ذلك:

١ ـ يقولون: الصحابة فعلوا أشياء كثيرة لها علاقة بالدين ولم تكن على عهد رسول الله ﷺ مثل جمع القرآن. قالوا: وهذه بدعة حسنة.

وهذا القول ساقط مردود لأن جمع القرآن لا ينطبق عليه تعريف البدعة الذي أشرنا إليه سابقاً، ثم إن القرآن كتاب فهو مصحف ولا يكون كذلك إلا إذا جمع بين دفتي كتاب واحد، أما عدم جمعه في عهد رسول الله فلعدم المقتضي لذلك حيث كان القرآن يتنزل على رسول الله ﷺ فلما مات وانقطع الوحي جمع الصحابة القرآن فليس ذلك بدعة بل هو عمل جليل من أرجى الأعمال الصالحة وأعظمها التي قدمها أبو بكر لأمة الإسلام.

٢ ـ يستدلون بقول الرسول ﷺ: **«من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»**(٢).

وسبب هذا الحديث كاف في الرد على أهل البدع، وسبب هذا الحديث في وفد مضر الفقراء الذين جاءوا ثم خطب الرسول في أصحابه وجمع لهم المال فكان أول من بدأ رجل من الأنصار حتى جمع الرسول ﷺ لهم كومين من الطعام وثياب وشيء من النقود فسر الرسول ﷺ بذلك وقال: **«من سن في الإسلام سنة حسنة»** الحديث والمعنى أن من يبدأ بفعل مشروع في دين الله كالصدقة فيتبعه الناس على ذلك فهنا يكون سن لهم سنة حسنة له أجر عمله وأجور من تبعه ولا ينقص من أجورهم شيء.

---

(١) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم (١٠١٧).

٣ ـ كما أنهم يستدلون بأن المسلمين في تاريخهم الطويل أحدثوا أموراً لها علاقة بالدين كدواوين الجند والمدارس وبعض التنظيمات الخاصة وهذا لا دليل لهم فيه لأنه من باب المصالح المرسلة التي تقتضيها مصالح المسلمين ولا علاقة له بالعبادة فليس الناس يفعلونه من باب القرب والطاعة بل لأنهم محتاجون إليه ففعل هذا الأمر الأصل فيه الجواز ما لم يقم دليل على المنع عكس العبادة فالأصل المنع ما لم يقم دليل على الجواز.

لوازم الابتداع:

الابتداع في الدين يؤدي إلى لوازم خطيرة ذات أثر سيئ على عقيدة أهل البدع منها:

١ ـ الابتداع يعني نقصان الدين وعدم كماله وهذا يعارض قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فلا حاجة إلى إضافة أو زيادة لأن هذا الدين كمل من عند الله العليم الخبير.

٢ ـ الابتداع يؤدي إلى ضياع معالم الدين وفتح الباب للإحداث والاستحسان وبالتالي لا يردع الناس شيء ولا يقفون عند حد معين.

٣ ـ الابتداع يؤدي إلى تنقص جناب النبي ﷺ واتهامه بأنه لم يبلغ الرسالة ولم يؤد الأمانة.

٤ ـ من لوازم الابتداع وآثاره بغض السنة وأهلها وكراهيتهم ومعاداتهم وهذا أمر معروف متقرر على مدى تاريخ الأمة الطويل.

أمثلة لبعض البدع:

هناك بدع كثيرة منتشرة في أنحاء العالم الإسلامي وهي تتفاوت من بلد إلى بلد حسب جهد أهل البلد في نشر السنة وقمع البدعة ومما يؤسف له أن هناك كثيراً من البدع حظيت بانتشار واسع في أطراف البلاد الإسلامية ومنها:

أولاً: بدعة المولد النبوي:

مما لا شك فيه أن نبينا محمداً ﷺ أكرم خلق الله وأعظم الناس منزلة عند ربه وأن محبته جزء من عقيدة المؤمنين لا يتم إيمانهم إلا بها، ولذا فذكراه حية في قلوبهم في صلواتهم وخلواتهم يصلون عليه ويجددون محبتهم له في كل أوقاتهم.

أ ـ أما الذين يحتفلون بمولده فهم يقصرون ذكره ومحبته على مناسبة واحدة فقط في العام كله فكأنهم ينقصون من قدره ويعطونه أقل من منزلته.

ب ـ ثم إن هذه الذكرى تتم عن طريق طقوس رتيبة لا تليق بجانب الحبيب ﷺ. أما أهل الحق المتبعون لهديه ﷺ فهم مأمورون بالصلاة عليه في جميع الصلوات نفلها وفرضها وعند أذان المؤذن وإقامته وفي أطراف النهار والليل وعند كل طاعة وعبادة وعند كل دعاء وعند دخول المسجد والخروج منه وهكذا يتجدد ذكره بمتابعته وهذه هي المحبة الحقيقية له ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

ج ـ ثم إن هذا الاحتفال قام سببه في حياته ﷺ وبعد موته ومع ذلك لم يفعله وهو صاحب الشأن ولم يفعله خيرة أصحابه من بعده ولا أحد من سلف هذه الأمة في القرون المفضلة ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

د ـ وهو الذي أخبرنا ﷺ أن كل عمل ليس عليه أمره فهو رد، وهذا من هذا القبيل.

هـ ـ ثم إن العبادات توقيفية فالأصل فيها المنع والحظر إلا ما ثبت بالكتاب والسنة وهذا لم يثبت به كتاب ولا سنة.

و ـ ثم إن المحبة الحقيقية بالمتابعة الصادقة واقتفاء أثره والتمسك بسنته ﷺ علاوة على أن الاحتفال على الصفة الموجودة في كثير من بلاد المسلمين تشبه بالنصارى ونحن مأمورون بمخالفتهم والبعد عن طرائقهم.

ز ـ وغير خاف علينا ما وقع في الاحتفال بمولده من عظائم الأمور:

ومنها الشرك بالله وسؤال المدد من رسول الله وطلب قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما لا يقدر عليه إلا الله.

ح ـ وفي هذه الاحتفالات من المنكرات ومظاهر الإسراف ما لا يخفى على العقلاء، كل هذه الأسباب والحيثيات موجبة لتحريم الاحتفال بمولده ﷺ وقد صرح بذلك أهل العلم المعتبرون جاء في فتوى اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية رقم (٤٧٥٥) ما نصه: «الاحتفال بمولد النبي ﷺ بدعة لأنه ﷺ لم يفعله لنفسه ولا أمر بفعله ولم يفعله أحد من الصحابة رضي الله عنهم وهم أحرص الناس على تعظيم الرسول ﷺ واتباع سنته والخير كله في اتباع هديه وقد قال ﷺ: **«من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»**[١].

ثانياً: بدع القبور وهي على أنواع:

١ ـ التوجه إلى صاحب القبر بالدعاء وطلب قضاء الحاجات أو إزالة الكربات كقول بعضهم: مدد يا نبي أو مدد يا ولي أو أغثني أو غير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ولا يطلب إلا من الله وهذه بدعة شركية وفاعلها من جنس عباد القبور.

فكل من دعا نبياً أو ولياً حياً أو ميتاً وسأله شيئاً لا يُسأل إلا من الله كغفران الذنوب وتفريج الكروب وستر العيوب فقد وقع في الشرك الأكبر عياذاً بالله.

٢ ـ أن يسأل الله بصاحب القبر كقولهم أسألك بصاحب هذا القبر أو بالنبي أو بالشيخ الفلاني فهذا من التوسل الممنوع ومن البدع المنكرة التي أحدثها الناس.

٣ ـ أن يعتقد أن دعاء الله عند القبر مستجاب أو أنه أفضل من دعائه في المسجد يتوجه إلى القبر ثم يدعو الله وهذا من أعظم البدع والمنكرات التي أحدثها الناس في هذا الأمر كما حصل من بعض ضعاف النفوس ممن يستقبلون الحجرة النبوية ويدعون ولا يستقبلون القبلة وهذا من الجهل والغلط الذي ينبغي أن ينهى الناس عنه ويوضح لهم ويردون إلى الحق.

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٦٩٧)، مسلم برقم (١٧١٨).

ثالثاً: تخصيص شهر رجب ببعض العبادات:

يخص أهل الأهواء والبدع شهر رجب ببعض العبادات التي لم يشرعها رسول الله ﷺ ولا فعلها أصحابه ولم تعرف في القرون المفضلة وإنما أحدثها الناس لما غلب عليهم الجهل وبعدوا عن السنة ولا زالت تقع منهم حتى يومنا هذا كالعمرة الرجبية وصلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب وصيام بعض أيام رجب اعتماداً على أحاديث موضوعة مكذوبة على رسول الله ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة بل موضوعة. ويقول: وأما صلاة الرغائب فلا أصل لها فلا تستحب لا جماعة ولا فرادى وهي بدعة باتفاق الأئمة لم يسنها رسول الله ﷺ ولا أحد من خلفائه ولا استحبها أحد من أئمة الدين»[(١)].

رابعاً: بدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج:

في السنة العاشرة من بعثة رسول الله ﷺ ماتت خديجة التي كان لها الأثر الكبير في تثبيت الرسول والدفاع عنه وفيها مات عمه الذي كان يدافع عنه في المحافل وأمام قريش ولذا سمى المؤرخون هذا العام بعام الحزن.

في هذا الوقت العصيب أكرم الله رسوله بمعجزة خارقة تثبيتاً لفؤاده وطمأنينة لقلبه حيث أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومن هناك عُرج به إلى السماوات العلى حتى بلغ سدرة المنتهى وفي هذه الرحلة فرضت عليه الصلوات الخمس وهذا ثابت بالأدلة الصحيحة الصريحة ولا مجال للخلاف فيه ولم يثبت عن رسول الله ولا عن خلفائه ولا أئمة السلف ومن بعدهم إحياء هذه الليلة ولا تحديدها في رجب ولا غيره لكن أهل البدع اجتهدوا في تحديدها وتخصيصها ببعض العبادات التي لم يشرعها رسول الله ﷺ.

وهؤلاء أنفسهم من أكثر الناس تهاوناً وتكاسلاً في الصلوات المفروضات التي هي أحد أركان الإسلام فإلى الله المشتكى.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/ ٢٩٠).

نماذج من الأسئلة على المبحث الأول
التعريف بالعقيدة

١ ـ ما معنى العقيدة؟ وما حكم تعلمها؟

٢ ـ اذكر مصادر العقيدة مع توضيح تميزها!

٣ ـ اذكر أربعاً من خصائص العقيدة!

٤ ـ اذكر خمساً من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة!

٥ ـ هذه الأمة وسط في كل شيء بيِّن ذلك في مسائل الإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

٦ ـ تميز منهج أهل السنة والجماعة ببعض الخصائص والسمات اذكر خمساً منها!

٧ ـ ترجع أصول الانحرافات في فهم الكتاب والسنة في باب العقيدة إلى عدة أمور اذكرها على سبيل الإجمال!

٨ ـ عرف الإلحاد في اللغة والشرع مع بيان أقسامه وأنواعه!

٩ ـ ما معنى التعطيل في اللغة والشرع؟ وما هي أنواعه؟

١٠ ـ ما معنى التحريف في اللغة والشرع مع بيان أقسامه وأنواعه؟

١١ ـ ما الفرق بين التعطيل والتحريف؟

١٢ ـ ما معنى التأويل في اصطلاح المتأخرين مع ذكر أنواعه؟

١٣ ـ للتأويل خطره وآثاره المدمرة وضّح ذلك!

١٤ ـ ما هي الشروط التي يجب توفرها في التأويل عند الأصوليين؟

١٥ ـ أصول البدع أربعة اذكرها!

١٦ ـ وقف أهل السنة والجماعة كالطود الشامخ في وجه أهل الأهواء والبدع اذكر كيف يتعامل أهل السنة والجماعة مع أهل الأهواء والبدع!

نماذج من الأسئلة على المبحث الثاني
التعريف بالتوحيد
مع بيان فضله وأهميته وثمراته

١ ـ اذكر معنى التوحيد في اللغة والاصطلاح!

٢ ـ استدل على تعظيم التوحيد من كتاب الله!

٣ ـ النصوص من الكتاب كثيرة في فضل التوحيد اذكر اثنين منها!

٤ ـ أكد سلف الأمة على التوحيد في آثار رويت عنهم كثيرة اذكر ثلاثة منها!

٥ ـ للتوحيد فضائل عظيمة وعديدة اذكر خمساً منها!

٦ ـ ذكر بعض أهل العلم المحققين كلاماً في أهمية التوحيد اذكر ما قاله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وما قاله ابن سعدي في بيان أهمية التوحيد!

٧ ـ تتلخص أهمية التوحيد في عدة نقاط اذكر خمساً منها!

٨ ـ للتوحيد ثمرات كثيرة اذكر خمساً منها مع ذكر الدليل لاثنين منها!

٩ ـ للتوحيد أسباب ينمو بها في القلب اذكر خمساً منها!



نماذج من الأسئلة على المبحث الثالث
كلمات في أنواع التوحيد

١ ـ كم أنواع التوحيد وما هي؟

٢ ـ ما معنى توحيد الربوبية مع الاستدلال له؟

٣ ـ ما معنى توحيد الألوهية مع الاستدلال له؟

٤ ـ ما معنى توحيد الأسماء والصفات؟

٥ ـ ما هو التوحيد المطلوب اعتقاده؟

٦ ـ ما هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل جميعاً مع الاستدلال على ذلك من القرآن؟

٧ ـ غالب سور القرآن متضمنة لأنواع التوحيد بيِّن ذلك؟

٨ ـ هل يكفي الإقرار بتوحيد الربوبية في دخول الإسلام بيِّن ذلك مع ذكر الدليل؟

٩ ـ هناك بعض الطوائف التي أشركت في توحيد الربوبية اذكر ثلاثاً منها مع بيان وجه الإشراك في الربوبية عندهم؟

١٠ ـ ما هي أهمية توحيد الربوبية؟

١١ ـ ما هي الأسس التي قام عليها توحيد الألوهية؟

١٢ ـ تعددت أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية اذكر ثلاثاً من هذه الأساليب!

١٣ ـ اذكر العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية!

١٤ ـ هناك فروق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية اذكر خمساً من هذه الفروق!

١٥ ـ هناك أمور تعكر صفو توحيد الألوهية وتضاده فما هي هذه الأمور؟

١٦ ـ اذكر بعضاً من الفرق التي أشركت في توحيد الألوهية مع بيان نوع الإشراك عندهم فيه!

١٧ ـ ما معنى توحيد الأسماء والصفات مع بيان نشأته؟

١٨ ـ ما هي الأسس التي قام عليها توحيد الأسماء والصفات؟

١٩ ـ اذكر دليلين من أدلة إثبات توحيد الأسماء والصفات!

٢٠ ـ كيف تحقق توحيد الأسماء والصفات؟

٢١ ـ للعلم بأسماء الله وصفاته أهمية عظيمة اذكر ثلاثاً من ذلك!

٢٢ ـ ما معنى الإحصاء لأسماء الله وصفاته مع بيان عظم ثواب من أحصاها؟

٢٣ ـ وضّح منهج أهل السنة والجماعة في الصفات إجمالاً!

٢٤ ـ اعتمد أهل السنة والجماعة على قاعدتين في إثبات الصفات اذكرهما!

٢٥ ـ بيِّن مذهب الجهمية في أسماء الله وصفاته!

٢٦ ـ للجهمية أثر على من جاء بعدهم من الفرق وضح ذلك!

٢٧ ـ أصول المعتزلة خمسة اذكرها!

٢٨ ـ وضّح خلاصة مذهب المعتزلة في صفات الله!

٢٩ ـ من هم الأشاعرة؟

٣٠ ـ هناك شبه اعتمد عليها نفاة الصفات اذكر اثنين منها مع بيان الرد عليهم!

٣١ ـ ما هي الأسباب التي أدت إلى الوقوع في الخلاف في أسماء الله وصفاته؟

٣٢ ـ إذا قال المبتدع: أنا لا أثبت الأسماء والصفات. فكيف ترد عليه؟

٣٣ ـ إذا قال المبتدع: أنا لا أثبت شيئاً من الصفات. فكيف ترد عليه؟

٣٤ ـ الإيمان بالأسماء الحسنى له أركان ثلاثة اذكرها!

٣٥ ـ هل أسماء الله محصورة في تسعة وتسعين اسماً؟ بيِّن ذلك مع الاستدلال!

٣٦ ـ هناك بعض المرتكزات ذكرها أهل السنة والجماعة عند كلامهم على توحيد الأسماء والصفات اذكرها بإيجاز!

٣٧ ـ ما يوصف الله به أقسام اذكرها!

٣٨ ـ ما نوع الدلالة في أسماء الله؟

٣٩ ـ هناك أسماء حسنى ترجع إليها جميع الأسماء فما هي؟

٤٠ ـ اذكر أقسام الصفات الثبوتية!

٤١ ـ هناك محذوران خطيران يلزم التخلي عنهما في صفات الله فما هما؟

٤٢ ـ يقول بعض العلماء: «باب الصفات أوسع من باب الأسماء» اشرح هذه العبارة بما لا يزيد عن ثلاثة أسطر!

٤٣ ـ هل للعقل مجال فيما يستحقه الله من الأسماء والصفات؟ وضح ذلك مع الدليل!

٤٤ ـ من أسمائه تعالى: (العفو ـ الشهيد ـ القريب ـ الودود) بيِّن معاني هذه الأسماء مع بيان كيفية الإيمان بكل منها!

٤٥ ـ ما معنى الصفات الذاتية؟

٤٦ ـ من صفات الرب ﷻ الذاتية: (اليد ـ القدم ـ العلو ـ العين ـ الساق) ما هو مذهب أهل السنة في هذه الصفات المذكورة مع بيان الأدلة على ثبوتها واعتقاد المخالفين لأهل السنة فيها؟

٤٧ ـ ما معنى الصفات الفعلية؟

٤٨ ـ من صفاته ﷻ الفعلية: (الاستواء ـ النزول ـ الإتيان والمجيء ـ الكلام) اذكر الأدلة على ذلك مع بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه الصفات المذكورة وبيان عقيدة المخالفين لأهل السنة!



نماذج من الأسئلة على المبحث الرابع
نواقض التوحيد العملية

١ ـ ما هو حد الشرك؟ بيِّن ما قاله ابن سعدي في حد الشرك!

٢ ـ ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر اذكر تعريف كل قسم!

٣ ـ ما هو خطر الشرك الأكبر على صاحبه؟

٤ ـ للشرك الأكبر أنواع اذكر أربعاً منها!

٥ ـ من أنواع الشرك الأكبر شرك التوكل وشرك الخوف.

أ ـ بيِّن معناهما!

ب ـ حكم التوكل والخوف!

ج ـ أقسامها!

٦ ـ اذكر خطر الشرك الأصغر على فاعله!

٧ ـ ما الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟

٨ ـ هناك مسائل قولية وفعلية نهى عنها رسول الله ﷺ لأنها تفضي إلى الشرك، اذكر خمساً منها!

٩ ـ عرِّف الطيرة مع بيان حكمها!

١٠ ـ حرم الشرع الحكيم الطيرة لعدة أمور اذكرها!

١١ ـ عرف الرقية مع بيان أقسامها!

١٢ ـ أجمع أهل العلم على أن الرقى جائزة إذا اجتمعت فيها ثلاثة شروط، فما هي هذه الشروط؟

١٣ ـ هل تنافي الرقية المشروعة التوكل على الله؟

١٤ ـ واقع الرقية في وقتنا الحاضر واقع أليم وضّح ذلك مع بيان نصيحة تبديها لإخوانك المسلمين في جانب الرقية!

١٥ ـ عرِّف التمائم مع ذكر حكمها!

١٦ ـ اذكر الأدلة على تحريم التمائم من الكتاب والسنة!

١٧ ـ تعليق التمائم من أي أنواع الشرك؟

١٨ ـ عرف التبرك مع بيان أقسامه!

١٩ ـ اذكر أنواع التبرك المشروع!

٢٠ ـ اذكر أنواع التبرك الممنوع!

٢١ ـ عرف التوسل مع بيان أقسامه!

٢٢ ـ عرف التوسل المشروع مع ذكر ثلاثة من أنواعه!

٢٣ ـ عرف التوسل الممنوع مع ذكر أنواعه!

٢٤ ـ عرف السحر في اللغة والاصطلاح!

٢٥ ـ هل للسحر حقيقة؟

٢٦ ـ وضح حكم تعلم السحر!

٢٧ ـ وضح حد الساحر مع بيان حكم توبته مع ذكر الدليل!

٢٨ ـ ما هي سبل الوقاية من السحر؟

٢٩ ـ علاج السحر يكون بأحد طريقين اذكرهما!



نماذج من الأسئلة على المبحث الخامس
شهادة التوحيد
(لا إله إلا الله محمد رسول الله)

١ ـ ما المراد بشهادة التوحيد؟

٢ ـ ما معنى شهادة التوحيد الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة مع ذكر الدليل؟

٣ ـ وضّح حكم شهادة التوحيد!

٤ ـ كيف تحقق شهادة التوحيد؟

٥ ـ شروط كلمة التوحيد سبعة اذكر خمسة منها مع ذكر الدليل!

٦ ـ ما معنى شهادة أن محمداً رسول الله؟

٧ ـ بيِّن كيفية تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله!

٨ ـ هناك أمور يحصل بها التأثر والتحقق لأداء شهادة أن محمداً رسول الله اذكر هذه الأمور على سبيل الإجمال!

٩ ـ ما هو واجب الأمة نحو نبيها ﷺ؟



نماذج من الأسئلة على المبحث السادس
(العبادة)

١ ـ ما معنى العبادة؟

٢ ـ ما هي أقسام العبادة؟

٣ ـ ما المقصود بالعبادات القولية والعبادات القلبية؟

٤ ـ يُعد الإخلاص شرطاً في قبول العبادة، وضّح ذلك مع بيان الأدلة على شرط الإخلاص في قبول العبادة!

٥ ـ ما هي الأصول التي تقوم عليها العبادة؟

٦ ـ ما هي أهمية العبادة مع ذكر الدليل؟

٧ ـ للعبادة ركنان اذكرهما مع ذكر الدليل!

٨ ـ للعبادة شرطان اذكرهما مع ذكر الدليل!



نماذج من الأسئلة على المبحث السابع
(البدعة)

١ ـ عرِّف البدعة؟

٢ ـ من نعم الله علينا أنه أكمل لنا الدين فلا يزاد فيه ولا ينقص وضّح ذلك مع بيان الأدلة التي تدل على كماله!

٣ ـ جاءت آثار عن سلف الأمة في ذم البدع والتحذير منها اذكر ثلاثة من هذه الآثار!

٤ ـ شبهات أهل البدع كثيرة اذكر منها ثلاثاً!

٥ ـ الابتداع في الدين يؤدي إلى لوازم خطيرة اذكر ثلاثاً منها!

٦ ـ مثّل لبعض البدع الموجودة في بعض البلدان الإسلامية!

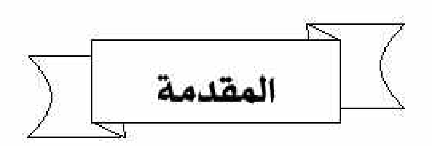


كتاب

مباحث في العقيدة

الجزء الثاني

رؤية الله ـ الإسلام والإيمان ـ القرآن كلام الله
القضاء والقدر ـ الإيمان بالرسل والكتب والملائكة



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن توضيح العقيدة الصحيحة وبيانها وتجلية أمرها والدعوة إليها هو أهم المهمات وأعظم الواجبات لأنها الأساس الذي تبنى عليه أعمال الناس فلا تصح ولا تقبل إلا إذا كانت مبنية على معتقد صحيح سليم خال من الشوائب والمكدرات وهذا ما كان عليه رسل الله جميعاً ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وكذلك أتباعهم بإحسان وهذا ما دعا إليه وأكد عليه خاتم الرسل محمد ﷺ وكذا تابعوه إلى يومنا هذا فقد أكدوا على إصلاح العقيدة والبعد عن كل ما يناقضها وهذا هو مسلك القرآن الكريم الذي جاءت معظم سوره تؤكد على هذه العقيدة وتبين معالمها وقد تنزل هذا الكتاب العظيم طيلة العهد المكي على رسولنا ﷺ يدعو إلى التوحيد وإصلاح العقيدة وبيان ما يضادها من جميع الجوانب.

إن العقيدة الإسلامية هي التي بعث الله من أجلها رسله وأنزل بها كتبه ولا يقبل من أحد عملاً إلا بها كما أخبر عن ذلك ربنا ـ جل وعلا ـ بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ومتى تمسك المسلم بهذه العقيدة الصحيحة فقد عصم دمه وماله في الدنيا كما أخبر عن ذلك رسولنا ﷺ بقوله: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا**

لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»[١].

ومن تمسك بها فإنها تنجيه يوم القيامة من عذاب الله كما جاء في الحديث: «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**»[٢].

وهذه العقيدة الصحيحة هي سبب قبول الأعمال ومغفرة الذنوب قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

أما أصحاب المعتقد الفاسد فعملهم حابط باطل كما أخبر ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

هذه الأمور وغيرها جعلت أمر العقيدة ذا أهمية قصوى فوجب تعلمها وتعليمها ولذا اهتم بها أهل العلم سلفاً وخلفاً بينوا أصولها ووضحوا مسائلها وركزوا على ما يناقضها.

وإن التعليم في بلادنا الغالية ـ المملكة العربية السعودية ـ يتميز على غيره بالاهتمام بالعقيدة والتركيز عليها في مختلف مراحل الدراسة للبنين والبنات. ولقد شرفتني كلية التربية للبنات في محافظة الزلفي بتدريس مادة العقيدة في سنوات الكلية وأخبروني أن المقرر على الطالبات (شرح الطحاوية) ولما كان هذا الكتاب يصعب فهمه على كثير من الطالبات استخرت الله في تيسير بعض مباحثه وعرضها بأسلوب سهل وألقيت ذلك على الطالبات خلال عامي (١٤٢٣، ١٤٢٤هـ).

وكانت مجموعة منهن يكتبن هذه المحاضرات وقد اطلع عليها بعض

---

(١) رواه البخاري (١/ ٧٠)، مسلم برقم (٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٩٣) باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

أعضاء هيئة التدريس من الرجال والنساء الذين يدرسون هذه المادة في كليات مماثلة ورغبوا في طباعتها وألحّ عليّ مندوب مكتبة الرشد وذكر لي حاجة الطالبات لذلك وهاتفني أكثر من مرة ملحاً على سرعة إنجازها وهنا استخرت الله وعزمت على إخراجها بعد أن أعدت النظر فيها وأضفت لها بعض الإضافات اليسيرة فما كان فيها من صواب فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله من كل ذنب وخطيئة وأسأل الله أن ينفع بها كاتبها والمطلع عليها كما أسأله أن يبارك في جهود المخلصين الصادقين وإني بهذه المناسبة أزجي خالص شكري وتقديري للمسئولين عن كلية التربية للبنات في محافظة الزلفي عميدة ووكيلة ورئيسات أقسام وكذا مسئولين عن إدارة تعليم البنات بالمحافظة على جهودهم المباركة كما أسأله أن يوفقنا جميعاً لخيري الدنيا والآخرة وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتب

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

١/ ٨/ ١٤٢٥هـ



المبحث الأول

مبحث الرؤية

أولاً: رؤية الله في الدنيا وإجماع السلف على عدم وقوعها مع ذكر الأدلة.

ثانياً: رؤية النبي ﷺ لربّه ﷻ واختلاف الناس فيها.

ثالثاً: ذكر بعض المسائل المتعلقة برؤية النبي ﷺ لربّه ﷻ.

رابعاً: رؤية الله تعالى يوم القيامة.

خامساً: رؤية الله في المحشر وأجناس الناس في الرؤية.

١ ـ جنس المؤمنين.

٢ ـ الكفار الخلَّص.

٣ ـ المنافقون.

سادساً: رؤية المؤمنين لربهم في الجنة مع ذكر الأدلة على ذلك.

سابعاً: أدلة نفاة رؤية المؤمنين لربهم في الجنة مع ذكر الرد عليهم.

أولاً
في رؤية الله في الدنيا

اتفقت الأمة على أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا بعينه ولم ينازعوا في ذلك إلا ما شذ في هذه المسالة عن بعض غلاة الصوفية أو المشبهة فقد زعموا أنه يجوز رؤية الله في دار الدنيا وأنه يزورهم ويزورونه[١].

والمنقول عن الأشعري في هذه المسألة قولان:

قال النووي رحمه الله: «أما رؤية الله في الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا وحكم الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري أحدهما وقوعها والثاني لا تقع».

قلت: ومما يجب التنبيه عليه أن هناك فرقاً بين القول بإمكانية الوقوع وبين حصول الوقوع، فإمكانية الوقوع لا تعني حصوله ولهذا قال صاحب الطحاوية:

«وهذا القول الذي قاله القاضي عياض رحمه الله هو الحق فإن الرؤية في الدنيا ممكنة إذ لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على من زعم رؤية الله في الدنيا: «من قال من الناس أن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة لا سيما إذا ادعوا

---

(١) انظر في ذلك: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠٥).
(٢) الطحاوية (١/ ٢٢٤).

أنهم أفضل من موسى فإن هؤلاء يستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا والله أعلم»[١].

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: «وقد ثبت بنص القرآن أن موسى قيل له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ وأن رؤية الله أعظم من إنزال كتاب من السماء فمن قال أن أحداً من الناس يراه فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله أنزل عليه كتاباً من السماء»[٢].

ومن هنا يتبين لنا إجماع السلف على أن الله لم يره أحد بعينه في دار الدنيا حتى موسى عليه السلام، وإنما وقع الخلاف في رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج كما سنبينه إن شاء الله تعالى.



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦/ ٥١٢).

(٢) مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/ ٩٩، ١٠٠).

ثانياً
ذكر الأدلة على نفي رؤية الله تعالى في الدنيا

قبل أن نتعرض لذكر الأدلة على ذلك نحب أن ننبه على أن هذه الأدلة هي نفس ما استدل به المخالفون لأهل السنة على أن الله تعالى لا يرى في الآخرة كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ولكننا هنا سنذكر طرفاً من الأدلة فقط مع ذكر أقوال السلف في بيانها.

أولاً: أدلة الكتاب:

الدليل الأول: قال الله تعالى مخبراً عن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى حينما طلب موسى عليه السلام رؤيته أجابه الله تعالى بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ و«لن» تقتضي النفي المؤبد.

لكن هل هذا النفي المؤبد للرؤية في الدنيا والآخرة؟ نقول: لا بل النفي المؤبد هنا في الدنيا فقط لأن النصوص جاءت بثبوت الرؤية في الآخرة.

قال ابن كثير رحمه الله: «وقيل: إنها لنفي التأبيد في الدنيا جمعاً بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة»[1].

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٢٤٤).

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لعظمته وجلاله وكماله، أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه في الآخرة وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم»[١].

قلت: فمعنى الآية أنه ﷻ لا يدركه أهل الدنيا قبل الممات أما في الآخرة فأدلة رؤيته واضحة كما سنبين ذلك إن شاء الله.

الدليل الثالث: قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

وجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى حصر تكليم البشر في الدنيا في الوحي إلى الرسل، أو تكليمه لهم من غير وساطة لكن من وراء حجاب، أو بإرسال الرسل وهم الملائكة إلى الأنبياء، وإذا كان الأنبياء والرسل لا يحصل لهم رؤية الله تعالى في الدنيا بأبصارهم وهم أكرم البشر على الله بلا شك فمن باب أولى عدم حصولها لغيرهم[٢].

الدليل الرابع: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: ٥٥] وقال أيضاً: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ١٥٣].

وجه الدلالة من الآيتين: أن الله تعالى أخذ من طلب رؤيته من بني إسرائيل بالصاعقة وما ذلك إلا لبيان شدة الإنكار على من طلبها ولهذا قال نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن أفاق من شدة ما رأى من تحرك الجبل بعد أن طلب رؤية الرب سبحانه قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٥٣]، فهذا هو حال موسى حينما طلب رؤية الرب ﷻ فكيف يكون حال غيره.

---

(١) تفسير الكريم الرحمٰن (٢/ ٤٤٧).

(٢) انظر تفسير هذه الآية في: تفسير أحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٣٥).

ثانياً: أدلة السنة:

الدليل الأول: عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه نور**» وفي رواية: «**لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[(١)].

وجه الدلالة من هذا الحديث: أن الحديث فيه نص صريح على أن لله تعالى حجاباً هو النور وهذا النور حاجب له تعالى مانع من الرؤية فهو قاهر للبصر وقد رأى النبي ﷺ هذا الحجاب ليلة إسرائه لربه تعالى حين سأله عن رؤية ربه سبحانه قال: «**رأيت نوراً**».

الدليل الثاني: حديث جرير بن عبد الله ﷺ حيث قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته**»[(٢)].

وجه الدلالة من الحديث: أن النبي ﷺ حدد رؤية الرب ﷻ بيوم القيامة ولو كانت الرؤية جائزة في الدنيا لما كان لهذا التحديد معنى.

وبهذا فهم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أي: فهموا أن رؤية الرب ﷻ لا تكون إلا في يوم القيامة ولهذا لم يسألوه عن رؤياه سبحانه في الدنيا.

قال أبو هريرة ﷺ: «أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟»[(٣)].

الدليل الثالث: قوله ﷺ: «**واعلموا أنه لن يرى أحدكم ربه حتى يموت**»[(٤)].

وجه الدلالة من الحديث: أنه نص صريح في نفي رؤية الرب ﷻ في الدنيا وأنها لم تقع لأحد من الخلق.

ومن هنا نعلم أن الأدلة واضحة في عدم ثبوت رؤية الله تعالى في الدنيا لأحد من الخلق.

---

(١) صحيح مسلم (١٧٩) كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: «**إن الله لا ينام**».

(٢) صحيح البخاري (٤/ ٢٠٠).

(٣) متفق عليه ـ البخاري برقم (٧٧٣)، ومسلم (٢٩٩ (١٨٢)).

(٤) أخرجه مسلم ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ برقم (٢٢٤٥).

ثالثاً
رؤية النبي ﷺ لربّه سبحانه وتعالى

ذكرنا فيما سبق أن سلف الأمة أجمعوا على أن الله ﷻ لا يرى في الدنيا لكن وقع الخلاف بين أهل السنة والجماعة في رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا، وهذا الخلاف نشأ منذ عهد الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ.

فاختلفوا في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أن النبي ﷺ رأى ربه في الدنيا، وهذا القول هو المروي عن ابن عباس وأبي ذر وكعب رضي الله عنهم وبهذا القول قال الحسن وعكرمة وغيرهم ورواه عن الإمام أحمد رحمه الله بعض أصحابه.

استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

الدليل الأول: ما رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت ربي تبارك وتعالى**»[(١)].

الدليل الثاني: ما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديثه الطويل المذكور في ليلة إسراء رسول الله ﷺ **وفيه: «ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة...»**[(٢)] الحديث.

الدليل الثالث: حديث اختصام الملأ الأعلى وفيه قوله ﷺ: «**رأيت ربي في أحسن صورة فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: أي ربي أي**

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٨٥)، ومجمع الزوائد للهيثمي (١/ ٧٨).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٧٠) وحسنه الترمذي.

ربي مرتين فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي...»[١] الحديث.

الدليل الرابع: وعن ابن عباس ﭫ قال: «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ»[٢].

الدليل الخامس: وعن عكرمة قال: «سمعت ابن عباس وسئل هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال: نعم، قال: فقلت لابن عباس: أليس يقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ قال: لا أم لك، ذلك نوره إذا تجلى نوره لم يدركه شيء»[٣].

وعن عياد بن منصور قال: «سألت الحسن فقلت: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم: ٨] من ذا يا أبا سعيد؟ قال: ربي»[٤].

وعن المبارك بن فضالة قال: «كان الحسن يحلف بالله لقد رأى محمد ﷺ ربه»[٥].

وعن كعب قال: «إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ فرآه محمد مرتين وكلم موسى مرتين»[٦].

قلت: هذه جملة من أقوال السلف في إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ، وبهذه الأدلة استدل الإمام أحمد على ثبوت رؤية النبي ﷺ لربه.

قال النووي ﵀: «قال صاحب التحرير: والحجج وإن كانت كثيرة ولكننا لا نتمسك إلا بالأقوى منها، وهو حديث ابن عباس ﭫ: «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والرؤية لمحمد ﷺ»[٧]. ثم ذكر الأدلة على ثبوت

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه (٥/ ٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٥٨١).
(٢) الغنية في مسألة الرؤية لابن حجر العسقلاني ص٤٢.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق ص٧٦ بتحقيق الدكتور محمد عبد المحسن التركي.
(٥) المرجع السابق.
(٦) المرجع السابق.
(٧) سبق تخريجه في الأعلى.

الرؤية.. إلى أن قال: الصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة، وإذا صحت الرواية عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن والاجتهاد، ثم إن ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره والمثبت مقدم على المنفي».

وقال النووي: «فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعين رأسه ليلة الإسراء والمعراج لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ﷺ هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه»[1].

القول الثاني: وهو قول من قال بعدم ثبوت رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ. وهذا القول هو قول عائشة ﵂ وهو المشهور عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة ﵃ وكذا المحدثين.

استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها[2]:

الدليل الأول: عن مسروق قال: «كنت متكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة! ثلاث من تكلم بواحد منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [النجم: ٧] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: ١٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض»** فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣] أولم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ

(١) شرح مسلم للنووي (٢/ ٥).
(٢) مسلم ـ شرح النووي (٣/ ٥).

حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ [الشورى: ٥١]. . . . . »[١].

الدليل الثاني: عن أبي ذر ﷺ قال: سألت رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: «**نور أنى أراه**»[٢].

وجه الدلالة من هذا الحديث في قوله ﷺ: «**نور أنى أراه**» والمعنى أن هناك نوراً منعني من رؤيته يدل على الرواية الأخرى وقوله ﷺ فيها: «**رأيت نوراً**»[٣] فهذا النور الذي رآه ﷺ حال بينه وبين رؤية ربه ﷻ.

وهناك أدلة أخرى أعرضنا عنها خشية الإطالة في هذا المبحث والخلاصة أن الذي يظهر عندي ـ والله أعلم ـ أن المرئي في آيتي النجم هو جبريل ﷺ وهو الذي يتفق مع السياق القرآني لا سيما تصريح أم المؤمنين ﷺ في تفسيرها لذلك كما وضحنا آنفاً وكما جاء مصرحاً به عن أبي هريرة ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣] قال: رأى جبريل[٤].

الراجح من القولين: إذا نظرنا إلى أدلة القولين فإن القول بأن النبي ﷺ لم ير ربه ﷻ بعين رأسه في الدنيا أقرب للصواب وأن ما استدل به المثبتون يمكن حمله على أنه ﷺ رأى ربه بقلبه جمعاً بين الأدلة.

قال أبو ذر ﷺ: «رآه بقلبه ولم يره بعينه»[٥] وقال إبراهيم التيمي: «رآه بقلبه ولم يره ببصره»[٦].

قال النووي ﷺ: «قال أبو الحسن الواحدي: وعلى هذا رأى بقلبه رؤية صحيحة، وهو أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصراً حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين»[٧].

---

(١) صحيح مسلم (١/١٥٩).
(٢) صحيح مسلم (١/١٦١).
(٣) صحيح مسلم (١/١٢).
(٤) صحيح مسلم (١/٦).
(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص٢٠٨.
(٦) المصدر السابق.
(٧) شرح مسلم للنووي (٣/٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين، وعائشة أنكرت الرؤية، فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد تارة يقول رأى محمد ربه، وتارة يقول رأى محمد بفؤاده ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية وتارة يقوله رآه بفؤاده ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول رآه بعينه...»[1].

قال القاضي عياض: «وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع ولا نص والمعول فيه على آية النجم والتنازع فيها مأثور والاحتمال لها ممكن»[2].



(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٩)، وانظر أيضاً: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية (٢/ ١٢٨).

(٢) الطحاوية (٢٢٣ ـ ٢٢٤).

رابعاً

ذكر بعض المسائل المتعلقة برؤية النبي ﷺ لربّه ﷻ

المسألة الأولى:

إذا ثبتت رؤية النبي ﷺ لربّه ﷻ بقلبه فهل تثبت هذه الرؤية لغيره من المؤمنين؟

نقول: اتفق الصحابة والتابعون والأمة على جوازها للمؤمنين وأنه يحصل للقلوب من المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها على قدر إيمان العبد، لأن من أحب شيئاً تمثل في قلبه ووجده قريباً إليه، وإذا ذكره حضر في قلبه، قال النبي ﷺ لما سأله عن الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

وهذا هو المثل الأعلى الذي قال الله فيه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] فإنه سبحانه لا يماثله شيء أصلاً، فنفسه المقدسة لا يماثلها شيء من الموجودات، وصفاتها لا يماثلها شيء من الصفات، وما في القلوب من معرفته لا يماثله شيء من المعارف، فله المثل الأعلى كما أنه في نفسه الأعلى وهو يتنوع في القلوب بحسب المعرفة بالله والمحبة تنوعاً لا ينحصر وليس الربّ تعالى في نفسه هو كذلك[2].

وخالف ما ذكرناه المعتزلة فمنهم من أثبت رؤية الربّ ﷻ بالقلب ومنهم من أنكرها وهذه هي عادة المعتزلة في مخالفتهم لأهل السنة والجماعة.

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٠)، ومسلم (١/ ٣٧).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٢٤٩ ـ ٢٥١).

قلت: والربّ ﷻ إن لم تعرفه القلوب وتحبه وتجله وتعظمه ذلت وخضعت لعظمته سبحانه بل كلما زادت معرفة القلوب بخالقها زادت في العبادة والطاعة له والانقياد لحكمه.

قال بعض السلف: «من كان لله أعرف كان له أخوف».

المسألة الثانية:

إذا ثبتت رؤية النبي ﷺ لربّه ﷻ في المنام فهل تثبت هذه الرؤية لغيره من المؤمنين؟

الجواب: نعم، يجوز لغيره ﷺ من المؤمنين رؤيته ﷻ ومخاطبته، وخالف في ذلك طائفة من المعتزلة وهذا أيضاً مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها بل وما اتفق عليه عقلاء بني آدم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق»[(١)].

وقال أيضاً شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم وما أظن عاقلاً ينكر ذلك فإن وجود ذلك ممكن لا يمكن دفعه، إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره وهذه مسألة معروفة، وقد ذكرها العلماء من أصحابنا وغيرهم في أصول الدين...»[(٢)].

لكن هناك بعض الأمور التي يجب التنبه عليها:

الأول: أننا إذا قلنا بثبوت رؤيا الرب تبارك وتعالى في المنام فإننا ننبه على أنه تبارك وتعالى ليس كما يراه النائم قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٣٩٠).
(٢) تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٧٣).

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فما يراه النائم هو صورة مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه ﷻ، فإن كان إيمانه واعتقاده في ربه ﷻ مطابقاً أتى من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك.

الأمر الثاني: أننا إذا قلنا بثبوت رؤيا الربّ ﷻ في قلوبنا فإننا نحذر من التخييل والتوهم بعقولنا لكيفية هذا الربّ ﷻ.

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل ما جاء في ذلك ـ يعني: رؤيا الربّ ﷻ ـ من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه»[1].



(١) شرح العقيدة الطحاوية ـ لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٠٧).

خامساً
رؤية الله تعالى يوم القيامة

يوم القيامة يوم عظيم وصفه الله تعالى بأوصاف عدة وبيَّن ما سيكون في هذا اليوم العظيم، وإن مما أخبر الله تعالى عنه مما سيحدث فيه رؤيته ﷻ، وهذه الرؤية تختلف باختلاف أجناس البشر، فالناس في يوم القيامة ليسوا على درجة واحدة بل هم على ثلاثة أجناس:

الجنس الأول: مؤمنون خلَّص ظاهراً وباطناً.

الجنس الثاني: كافرون خلَّص ظاهراً وباطناً.

الجنس الثالث: منافقون كافرون باطناً مؤمنون ظاهراً.

ويوم القيامة يبدأ بالمحشر على الله تعالى وينتهي بدخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار.



سادساً
رؤية الناس لربهم في المحشر

اختلف أهل العلم في رؤية الناس لربهم في المحشر على ثلاثة أقوال وذلك حسب اختلاف أجناس الناس التي ذكرناها:

القول الأول: قالوا: لا يراه إلا المؤمنون.

القول الثاني: قالوا: يراه أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك.

القول الثالث: يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقية الكفار.

والخلاف نفسه في تكليمه لأهل الموقف. وسنذكر شيئاً يسيراً هنا من أقوال أهل العلم في هذه المسألة أعني رؤية الناس لربهم في المحشر:

الجنس الأول: المؤمنون

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللهُ في الواسطية:

«فصل: وقد دخل أيضاً فيما ذكرنا من الإيمان بالله وبكتبه وبملائكته وبرسله: الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة، يرونه سبحانه وهم في عرصات يوم القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى»[1].

فالمؤمنون كما ذكره شيخ الإسلام سيرون ربهم في موطنين:

الموطن الأول: يرونه في عرصات يوم القيامة قبل دخولهم الجنة كما دل

(١) انظر في ذلك: الواسطية وشرحها لشيخنا محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ١٠١ ـ ١٠٣).

على ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: ١٥] فقوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يعني يوم القيامة.

الموطن الثاني: وهو بعد دخولهم الجنة وهذا له مبحث خاص به كما سنوضحه إن شاء الله تعالى.

الجنس الثاني: الكفار الخلَّص

اختلفت أقوال أهل العلم في رؤية الكفار لربهم على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر له ولا المسر له وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب وذلك في عرصة يوم القيامة ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك، وهذا هو قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة، وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه ﷻ لهم في الموقف الحديث المشهور.

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب ـ كاللص إذا رأى السلطان ـ ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم[١].

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الكفار لا يرون ربهم مطلقاً لظهور الأدلة التي استدل بها القائلون بعدم الرؤية خصوصاً قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: ١٥]. وهذا هو قول شيخنا محمد الصالح العثيمين رحمه الله في شرحه للواسطية[٢].

---

(١) انظر كلام الشيخ ابن تيمية رحمه الله ورسالته إلى أهل البحرين في رؤية الكفار لربهم: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٥ ـ ٥٠٦).

(٢) شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/ ١٠٣).

الجنس الثالث: المنافقون

مرّ بنا كلام شيخ الإسلام وذكره لأقسام الناس في رؤية الله تعالى وذكر قول أبي بكر بن خزيمة وغيره أن المنافقين سيرون ربهم ثم يحتجب عنهم فلا يرونه بعد ذلك، وبهذا القول قال شيخنا محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ[١].



(١) المرجع السابق (١/ ١٠٣).

سابعاً

في ذكر الأدلة على ثبوت رؤية أهل الجنة لربهم سبحانه وتعالى

قبل الشروع في ذكر الأدلة على ثبوت رؤية أهل الجنة لربهم في الجنة وبيان أنها أعظم نعيم أهل الجنة نشير هنا إلى بعض الأمور:

الأمر الأول: أن أهل السنة والجماعة يرون ثبوت رؤية الله جل وعلا لأهل الجنة كما ذكرنا ذلك سابقاً وقد قال بذلك الصحابة والتابعون وأهل الحديث وسائر العلماء المحققين في كل زمان ومكان.

الأمر الثاني: أن الذين نفوا الرؤية هم طوائف من المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والخوارج والإمامية وغيرهم. وهؤلاء ليسوا من عداد أهل السنة والجماعة بل هم من أعظم الفرق مخالفة لأهل السنة والجماعة في العقائد والأحكام.

الأمر الثالث: أهمية مسألة الرؤية:

هذه المسألة من أشرف المسائل وهي من أمهات أصول الدين وهي غاية ما يسعى له المجتهدون والمشمرون ويتنافس فيها المتنافسون ولذلك أفردت هذه المسألة في مؤلفات كثيرة وذكرها أهل السنة في أصول الاعتقاد وذكروا الأدلة على ثبوتها ورموا من خالف فيها الكتاب والسنة بالضلال والابتداع هنا تكمن أهمية دراسة هذه المسألة.

الشروع في ذكر الأدلة على:

ثبوت رؤية أهل الجنة لربهم ﷻ في الجنة

أولاً: أدلة الكتاب:

الدليل الأول: قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] هذه الآية من أصرح الأدلة وأوضحها وأبينها في إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

من أوجه الاستدلال بالآية:

١ ـ أن الله أضاف النظر إلى الوجه الذي هو محل النظر.

٢ ـ أن الله تعالى عدَّى النظر بـ إلى وهي صريحة في نظر العين.

٣ ـ أن الآية خلت من قرينة تصرف النظر إلى غير معناه وحقيقته وقد فسرها ابن عباس وعكرمة وغيرهما[١] بالنظر إلى وجه ربها.

وهذا جملة من أقوال السلف في تفسير هذه الآية:

عن الحسن في قوله تعالى: «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ قال: حسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضَّر وهي تنظر إلى الخالق»[٢].

قال ابن كثير في تفسيرها: «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ من المناضرة أي: حسنة بهية مشرقة مسرورة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي: تراه عياناً كما رواه البخاري في صحيحه «**أنكم سترون ربكم عياناً**» أي: معاينة ينظرون إليه»[٣].

وقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: تنظر إلى وجه ربها ﷻ، وقال عكرمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ قال: من النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: تنظر إلى ربها نظراً. ثم حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله. وهذا قول كل مفسري أهل السنة والحديث[٤].

---

(١) انظر في ذلك: شرح الطحاوية ـ لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٠٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ١٢٩ ـ ١٩٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٤).

(٤) شرح الطحاوية (١/ ٢١٠).

الدليل الثاني: قول الله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥].

قال الطبري: «قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما في تفسيرها: هو النظر إلى وجه الله عز وجل»[(١)].

الدليل الثالث: قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى هنا الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده.

ففي صحيح مسلم عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة**»[(٢)].

وبهذا التفسير فسرها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ جميعاً فإنهم لم يكونوا يعدلون عن تفسير النبي ﷺ لها إلى أحد غيره.

الدليل الرابع: قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

قال أهل العلم ومنهم الإمام الشافعي وغيره: «لما أن الله حجب هؤلاء حال السخط عليهم كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه حال رضاه عنهم»[(٣)].

قال مقاتل في تفسير الآية: «معنى الآية أنهم بعد العرض والحساب لا يرون ربهم والمؤمنون يرون ربهم».

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢١٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٨١).

(٣) انظر في ذلك: الطحاوية (١/ ٢١٢).

وقال الكلبي: «يقول: إنهم عن النظر إلى رؤية ربهم لمحجوبون والمؤمن لا يحجب عن رؤية ربه»[١].

ثانياً: أدلة السنة:

أما أدلة السنة في رؤية المؤمنين لربهم ـ تبارك وتعالى ـ في الآخرة فهي كثيرة جداً وقد تواترت عن رسول الله ﷺ وتلقى أتباعه من الصحابة وسلف الأمة هذه النصوص بكل قبول وارتياح وكلهم يرجوه ويدعوه ويسأله أن يكون ممن يراه في جنات عدن يوم يلقاه.

فمن الأدلة التي جاءت في ثبوت رؤية المؤمنين لربهم في الجنة:

الدليل الأول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضامون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك**»[٢].

الدليل الثاني: حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا**»[٣].

الدليل الثالث: حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»[٤].

الدليل الرابع: حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له**

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٥).
(٢) رواه البخاري ح (٤٧٣٧)، مسلم ح (١٨٢).
(٣) رواه البخاري ح (٧٤٣٤).
(٤) صحيح مسلم ـ شرح النووي (٣/ ١٤ ـ ١٥).

فليقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فبلغك؟ فيقول: بلى يا ربّ، ألم أعطك مالاً وأُفْضِل عليك؟ فيقول: بلى يا ربّ»(١).

الدليل الخامس: وهو من أصرحها وضوحاً في ثبوت الرؤية ما رواه مسلم عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله: أتريدون شيئاً أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار، قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ»**(٢).

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً ومن أحاط معرفة بسنة رسول الله ﷺ يقطع بأنه ﷺ قالها.

قال شارح الطحاوية: «ومن أراد الوقوف على أحاديث الرؤية فليواظب سماع الأحاديث النبوية فإن فيها مع إثبات الرؤية أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي الخلق لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، وأنه يتجلى لعباده، وأنه يضحك إلى غير ذلك من الصفات التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق...»(٣).



(١) أخرجه البخاري برقم (١٤١٣) (٣٥٩٥)، ومسلم برقم (١٠١٦).
(٢) سبق تخريجه ص٢١١.
(٣) شرح الطحاوية ـ لابن العز الحنفي (١/ ٢١٨).

ثامناً
أدلة نفاة الرؤية والرد عليهم

نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة ومن سار على مسلكهم من الخوارج والروافض وغيرهم يعترضون على أدلة أهل السنة بأدلة باطلة وحجج واهية، وسنذكر طرفاً مما استدل به هؤلاء مع مناقشة هذه الأدلة والرد عليهم.

الدليل الأول: استدل النفاة بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وجه الدلالة عندهم من الآية: أن الله تعالى نفى أن يدرك بالأبصار وما دام الإدراك قد قرن بالبصر فإنه يفيد عدم الرؤية بالبصر وعليه يكون قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ بمعنى لا تراه الأبصار فثبت أنه نفى عن نفسه إدراك الأبصار[1].

الرد على هذه الشبهة:

أن الآية تدل على ثبوت الرؤية من وجه حسن لطيف وهو أن الله ـ جل وعلا ـ ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح في الصفات الثبوتية وليس في الصفات العدمية إلا إذا تضمن ذلك إثباتاً للكمال كنفي السنة والنوم ونفي اللغوب والإعياء وهكذا نفي الشريك والولد ونفي الأكل والشرب لأن هذا كله يتضمن إثبات صفات كمال لله ـ جل وعلا ـ تخالف صفات البشر.

فلو كان المراد من قوله: ﴿تُدْرِكُهُ﴾ أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرى

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٣٢).

ولا تدركه الأبصار والربّ ﷻ يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض.

إذاً فمعنى الآية أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية(١).

فخلاصة الرد عليهم في هذه الآية: أن الآية فيها نفي الإدراك، والرؤية لا تستلزم الإدراك ألا ترى أن الرجل يرى الشمس ولا يحيط بها إدراكاً، فإذا أثبتنا أن الله تعالى يُرى لم يلزم أن يكون يدرك بهذه الرؤية، لأن الإدراك أخص من مطلق الرؤية، ونفيه ـ أي: الإدراك ـ يدل على وجود أصل الرؤية لأن نفي الأخص يدل على وجود الأعم ولو كان الأعم منتفياً لوجب نفيه(٢).

الدليل الثاني: ومن أدلة النفاة للرؤية أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وجه الاستدلال عندهم: أن «لن» تفيد التأبيد وأن موسى ﷺ لما أفاق قال: سبحانك أي أنزهك عما لا يجوز عليك وأنه تاب مما وقع منه وهو طلب الرؤية(٣).

الرد على هذا الاستدلال:

أجاب أهل السنة في ردهم على ما استدل به النفاة في هذه الآية من عدة وجوه وأثبتوا أن الآية دليل على ثبوت رؤية الله ـ جل وعلا ـ في الجنة، وأجابوا على استدلال النفاة بها من عدة وجوه:

الوجه الأول: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو أعلم الناس بربّه ـ جل وعلا ـ في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه بل هذا من أعظم المحال.

---

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم (ص٢٠١)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) شرح الواسطية ـ للشيخ محمد صالح العثيمين ﷺ (١/ ٤٥٧).

(٣) تفسير الرازي (١٤/ ٢٣٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ١١٥).

الوجه الثاني: أن الله لم ينكر على نبيه موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ سؤاله ولو كان ذلك غير ممكن لأنكر سبحانه عليه كما أنكر على نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ سؤاله لربه وطلبه نجاة ابنه فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

الوجه الثالث: أن الله تعالى قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل إني لا أُرى ولا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي والفرق بين الجوابين ظاهر.

الوجه الرابع: قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فاعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف.

أن الله تعالى تجلَّى للجبل وهو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته ولكن الله أعلم موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر الذين خلق من ضعف من باب الأولى.

الوجه السادس: أن الله ـ جل وعلا ـ كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكليم والتكلم وأن يسمع مخاطبُه كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمع بينهما بعض المبتدعة فنفوا الرؤية ونفوا الكلام.

الوجه السابع: دعواهم أن «لن» تفيد التأبيد؛ أي: أنه لا يرى مطلقاً في الدنيا ولا في الآخرة، فهذا الدعوى باطلة لأن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد ولذا يقول ابن مالك:

ومن رأى النفي بـ لن مؤبداً   فقوله فاردد وسواه فاعضدا

الوجه الثامن: استدلالهم بقول موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ قاله لما رأى من كمال قدرة الله تعالى وعظمته حيث لم يستطع الجبل أن يتحمل قوة نوره ﷻ وليس معناه كما يقول النفاة ننزه مما لا يجوز عليه في الرؤية.

الوجه التاسع: قول موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ أي: تبت إليك من مسألة الرؤية في الدنيا، وقيل: قاله على جهة الإنابة والخشوع له عند ظهور الآيات كما مرّ وقد أجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية[(١)].

الدليل الثالث: قال النفاة: إن إثبات الرؤية يلزم منه أن الله في جهة وهذا يلزم منه أن له جسماً وهذا ممتنع على الله.

والجواب على ذلك:

أن نقول: لفظ الجهة فيه إجمال فإن أريد بالجهة أنه حالٌّ في شيء من مخلوقاته فهذا باطل والأدلة ترده وهذا لا يلزم منه إثبات الرؤية، وإن أريد بالجهة أنه سبحانه فوق مخلوقاته فهذا ثابت لله ﷻ ونفيه باطل لا يتنافى مع رؤيته ﷻ.



(١) تفسير القرطبي (٧/ ٢٧٩).

تاسعاً
مسألة حكم من أنكر رؤية الله تعالى في الآخرة

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري الحنبلي رحمه الله:

«فإن اعترض الجاهل ممن لا علم معه أو بعض هؤلاء الجهمية الذين لم يوفقوا للرشاد ولعب بهم الشيطان وحرموا التوفيق فقال: وهل المؤمنون يرون الله عز وجل يوم القيام؟

قيل له: نعم، والحمد لله على ذلك.

فإن قال الجهمي: أنا لم أؤمن بهذا.

قيل له: كفرت بالله العظيم.

فإن قال: وما الحجة؟

قيل: لأنك رددت القرآن والسنة وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول علماء المسلمين واتبعت غير سبيل المؤمنين وكنت ممن قال الله فيهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].. ثم ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الرؤية»[١].

وسئل سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله سؤالاً قال فيه سائله: هل رؤية الله تعالى ثابتة وما الدليل وما القول الراجح في ذلك؟

فأجاب رحمه الله: «رؤية الله تعالى في الآخرة ثابتة عند أهل السنة والجماعة من أنكرها كفر، يراه المؤمنون يوم القيامة ويرونه في الجنة كما يشاء بإجماع

(١) التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة (ص٣٥ ـ ٣٦).

أهل السنة كما قال ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فسر النبي ﷺ الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله.

وثبت في الحديث عن الرسول ﷺ بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في الجنة، أما في الدنيا فلا يرى الله في الدنيا كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقال لموسى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**واعلموا أنه لن يرى أحد ربه حتى يموت**»[١] لأن الرؤيا نعيم ورؤية الله أعلى نعيم أهل الجنة وهذه الدار ليست بدار نعيم، هي دار الأكدار دار الأحزاب دار التكليف، فلا يرى الله في الدنيا ولكن يرى في الآخرة.

أما الكفار فهم محجوبون كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].



(١) سبق تخريجه ص١٩٦.

المبحث الثاني

الإسلام والإيمان

١ ـ معنى الإسلام.
٢ ـ معنى الإيمان.
٣ ـ مخالفو جمهور السلف في مسمى الإيمان.
٤ ـ الفرق بين الإسلام والإيمان.
٥ ـ زيادة الإيمان ونقصانه.
٦ ـ أسباب زيادة الإيمان ونقصانه.
٧ ـ أسباب نقص الإيمان.
٨ ـ الاستثناء في الإيمان.
٩ ـ شعب الإيمان.
١٠ ـ ما يناقض الإيمان.
١١ ـ أثر المعاصي على الإيمان.
١٢ ـ مكفرات الذنوب.
١٣ ـ حكم الإصرار على المعاصي.
١٤ ـ الكفر والمكفرات.
١٥ ـ أصول المكفرات.
١٦ ـ آثار الكفر.
١٧ ـ حكم مرتكب الكبيرة.
١٨ ـ النفاق.

١ ـ معنى الإسلام

الناس في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال:

أحدها: قال طائفة: الإسلام هو الكلمة.

الثاني: أن الإسلام ما أجاب به النبي ﷺ حين سئل عن الإسلام والإيمان حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة.

الثالث: أن الإسلام مرادف للإيمان وجعلوا معنى قول الرسول ﷺ: «**إن الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة...**»[1] شعائر الإسلام[2].



(١) الحديث أخرجه البخاري (١١٢٠)، مسلم (٧٦٩).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٨٩).

٢ ـ معنى الإيمان

هناك ثلاث حقائق أساسية لا بد من توفرها حتى يصير الإيمان حقيقياً:

الأولى: حقيقة قولية وهي النطق بالشهادتين وإشهار ذلك وإعلانه.

الثانية: حقيقة قلبية وهي اعتقاد صدق ما نطق به اللسان والإخلاص في ذلك والانقياد له.

الثالثة: حقيقة عملية وهي ترجمة ما نطق به اللسان واعتقده القلب وإظهاره إلى الواقع العملي بخضوع الجوارح وانقيادها لأداء ما أمر الله وترك ما حرم الله.

أما عن معنى الإيمان فهو:

أولاً: تعريفه في اللغة:

أكثر أهل العلم على أن معنى الإيمان في اللغة أنه التصديق، لكن في هذا التعريف نظر رده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من وجوه عدة.

والذي اختاره في تعريف الإيمان أنه الإقرار وبهذا قال شيخنا محمد الصالح رحمه الله في شرحه للواسطية[(١)].

ثانياً: تعريفه في الشرع هو:

«قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح»

شرح التعريف:

أولاً: المراد بقول القلب معرفته للحق وتصديقه به، قال الله تعالى:

---

(١) الإيمان الأوسط لابن تيمية ص٧٣، وشرح الواسطية (٢/ ٢٣٠).

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] أي: تشهد بأنه لا إلٰه إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: بقلوبهم معنى ما نطق به بألسنتهم[(١)].

ولذلك كان معرفة القلب وتصديقه من لوازم الشهادتين، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من جحد المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً، فإن فساد هذا القول معلوم من دين الإسلام»[(٢)]. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيمان الذي في قلبه لا بد من شيئين: تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته ويقال لهذا قول القلب»[(٣)].

أهمية معرفة القلب وتصديقه:

«إن معرفة القلب وتصديقه بالحق إذا صادفت قلباً سليماً خالياً من الحسد والكبر والانشغال بالشهوات والأهواء وما إلى ذلك فإن هذا القلب سيخضع للحق حتماً وينقاد له لأن القلوب مفطورة على حب الحق وإرادته ولا شيء أحبّ إلى هذه القلوب السليمة من الله ﷻ»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام أيضاً: «ولكن قد يعرض للقلوب ما يفسدها إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق، وإما من الشهوات التي تصدها عن اتباعها، فالنصارى مثلاً رغم عبادتهم لا علم لهم، واليهود رغم أنهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم لا يتبعونه لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته ولهذا قال النبي ﷺ: «**اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون**»[(٥)] وأن هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح، وهؤلاء لهم قصد في الخير بلا معرفة له فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة ولا قصد نافع»[(٦)].

ثانياً: المراد من قولهم: «قول اللسان» أي: النطق بالشهادتين والإقرار

---

(١) انظر في ذلك: معارج القبول (١/٣٠٧).
(٢) كتاب الإيمان لابن تيمية (ص٣٧٦، ٣٧٧).
(٣) الإيمان (ص١٧٦).
(٤) الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٧٩).
(٥) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٨٢٠٢).
(٦) الإيمان الأوسط ص٧٠ ـ ٧١.

بلوازمهما، أي: إقراره بالشهادتين، وهذا الإقرار عنصر أساسي من عناصر الإيمان فلا يتحقق الإيمان التام إلا إذا تحقق إقرار اللسان بالشهادتين.

قال البدر العيني: «اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على ما قاله النووي: إن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك ونطق مع ذلك بالشهادتين فإن اقتصر على أحدهما لم يكن من أهل القبلة أصلاً بل يخلد في النار إلا أن يعجز عن النطق لخلل في لسانه أو لعدم التمكن منه لمعاجلة المنية، أو لغير ذلك، فإنه حينئذ يكون مؤمناً بالاعتقاد من غير لفظ[1].

مسألة: مدلولات الإقرار بالشهادتين:

١ ـ الإقرار بالتوحيد ولوازمه

٢ ـ ترك الشرك والتبرئ منه

٣ ـ التزام شرائع الإسلام

ثالثاً: المراد من قولهم: «عمل القلب».

عمل القلب المراد به تحركه وإرادته مثل الإخلاص في العمل فهذا عمل قلب وكذلك التوكل والرجاء والخوف، فالعمل ليس مجرد الطمأنينة في القلب بل هناك حركة في القلب[2].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا بد من عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله وإخلاص العمل لله وحده وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان»[3].

---

(١) عمدة القاري (١/ ١١٠).

(٢) شرح الواسطية لشيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٢٣١).

(٣) الإيمان لابن تيمية (ص١٧٦).

رابعاً: المراد من قولهم: «عمل اللسان».

أما عمل اللسان فالمراد به حركاته وليست هي النطق بل النطق ناشئ عنها إن سلمت من الخرس وعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به كقراءة القرآن وسائر الأذكار وغير ذلك.

خامساً: المراد من قولهم: «عمل الجوارح».

ودخول الأعمال في مسمى الإيمان هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وقد حكى غير واحد الإجماع على ذلك.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر»(١).

والمراد من عمل الجوارح ما لا يؤدى إلا به مثل الركوع والسجود والمشي في مرضاة الله كنقل الخطا للمساجد والحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان.



(١) الإيمان لابن تيمية (ص١٩٧).

٣ ـ مخالفو جمهور السلف في مسمى الإيمان

ذكرنا فيما سبق أن إجماع السلف انعقد على أن الإيمان قول بالقلب واللسان وعمل بالقلب واللسان والجوارح، غير أن هناك من خالف جمهور السلف في مسمى الإيمان، وممن خالف السلف في هذا الأمر:

أولاً: الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ وأصحابه من فقهاء الكوفة:

حيث قالوا: «الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان فقط» فأخرجوا بالتالي عمل الجوارح عن مسمى الإيمان.

قال شارح الطحاوية: «اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً، فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة ـ رحمهم الله ـ وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وذهب كثير من أصحابنا ـ أي: الحنفية ـ إلى ما ذكره الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ إنه إقرار باللسان والتصديق، ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رَحِمَهُ اللَّهُ ويروى عن أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[1].

قال صاحب المسامرة: «القول الرابع وهو أن الإيمان تصديق بالقلب واللسان ويعبر عنه أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وهو منقول عن أبي حنيفة ومشهور عن أصحابه»[2].

---

(١) الطحاوية (٢/ ٤٥٩).

(٢) المسامرة: للكمال ابن أبي شريف الشافعي على المسايرة للكمال أبي الهمام الحنفي (ص٧٨٦).

ثانياً: المرجئة:

ذهب المرجئة إلى أن الإيمان معنى واحد لا يتجزأ ولا يتبعض فإذا ذهب بعضه ذهب كله فلم يبق منه شيء.

فعند هؤلاء المرجئة والكرامية أن الإيمان هو إقرار باللسان فقط دون عقد القلب فمتى نطق العبد الشهادتين بلسانه فهذا يكفي في كونه مؤمناً كامل الإيمان وإن زنى وإن سرق وإن لم يفعل خيراً قط.

وهذا القول معلوم فساده بلا شك، لأنهم على قولهم الفاسد يكون المنافقون على هذا مؤمنين مع أن الله تعالى كذبهم في دعواهم فقال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٤، ٨٥].

وغير ذلك من الآيات التي دلت على أن المنافقين لم ينفعهم إقرارهم بلسانهم فكيف يسوغ للمرجئة والكرامية أن يجعل الإيمان هو الإقرار فقط.

ثالثاً: قول الأشاعرة:

أما الأشاعرة فقد جعلوا الإيمان تصديق القلب فقط فلا يكفي عندهم المعرفة بل لا بد من التصديق.

وهذا لا شك غير صحيح لأن الكفار يصدقون بقلوبهم كما قال ـ جل وعلا ـ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وقال جل وعلا: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤].

فالكفار يصدقون بالرسول ﷺ في قلوبهم ويعرفون أنه رسول الله ولكنهم أبوا الاعتراف برسالته تكبراً وعناداً وحفاظاً على شرفهم بزعمهم ومكانتهم بين الناس.

قال أبو طالب في بعض أشعاره:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ومن هنا نعلم أن مجرد التصديق بالقلب لا يكفي في مسمى الإيمان لأن الكفار يصدقون بقلوبهم كما ذكرنا لكن يمنعهم الجحود والاستكبار والعناد.

رابعاً: قول الخوارج والمعتزلة:

ذهب الخوارج ومن وافقهم إلى أن الطاعة بأسرها فرضاً كانت أو نفلاً هي الإيمان.

فعند هؤلاء أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان وأنها شرط في بقائه فمن فعل معصية من الكبائر خرج من الإيمان، لكن الخوارج يقولون: إنه كافر؛ أي: أن من فعل الكبيرة عندهم كافر. والمعتزلة يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين فلا نقول مؤمن ولا نقول كافر بل نقول خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر وصار في منزلة بين المنزلتين.

لكنهم اتفقوا على أن فاعل الكبيرة خالد مخلد في النار.

وهذا القول فاسد مصادم لنصوص الشريعة لأن النبي ﷺ كانت تأتي إليه وفود العرب فيسألونه عن الإسلام والإيمان وكل ما يقول له السائل في الفريضة هل عليّ غيرها؟ قال: «**لا إلا أن تطوع شيئاً**». فجعل النوافل شرطاً من شروط الإيمان غير صحيح.

أما كون مرتكب الكبيرة يكون كافراً فهذا باطل بنصوص الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

فقد وصفهم الله بالإيمان والأخوة مع أنهم يقتل بعضهم بعضاً والقتل للمؤمن من كبائر الذنوب ومع ذلك أمرنا سبحانه بالإصلاح بينهما.

فالشارع الحكيم الذي نفى عن السارق والزاني والشارب اسم الإيمان كما جاء في قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن...**»[١].

(١) رواه البخاري برقم (٢٤٧٥) (٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧).

الشارع نفسه لم يجعلهم مرتدين عن الإسلام كما زعمت الخوارج بل عاقب هذا بالجلد وهذا بالقطع ولم يقتل أحداً إلا الزاني المحصن ولم يقتله قتل المرتد، فإن المرتد يقتل بالسيف بعد الاستتابة وهذا يرجم بالحجارة بلا استتابته فدل على أنه إن نفى عنهم الإيمان فليسوا عنده مرتدين عن الإسلام مع ظهور ذنوبهم وليسوا كالمنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فأولئك لم يعاقبهم إلا على ذنب ظاهر[١].



(١) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٨٢).

٤ ـ الفرق بين الإسلام والإيمان

هل الإسلام والإيمان بمعنى واحد أم أن بينهما فرقاً ولكل واحد منهما معنى يخالف الآخر؟

هذه المسألة اختلف فيها أهل العلم على قولين:

القول الأول: أن الإسلام والإيمان متغايران وأن بينهما فرقاً وإلى هذا ذهب جماعة من العلماء وقالوا: الإسلام الكلمة والإيمان العمل. وهذا قول الإمام أحمد وغيره من أئمة أهل السنة.

القول الثاني: أنه لا فرق بين الإسلام والإيمان وأنهما بمعنى واحد، وممن قال بذلك ابن عبد البر وغيره من أهل العلم.

والذي يظهر أن لكل منهما معنى وهذا هو ظاهر النصوص التي فرقت بينهما وعطفت أحدهما على الآخر وهي نصوص كثيرة من الكتاب والسنة.

فمن هذه النصوص: قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ومن السنة قوله ﷺ: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت...**»[1].

وقيل أيضاً للنبي ﷺ: «**ما لك وفلان والله إني لأراه مؤمناً قال: أو مسلماً**»[2] قالها ثلاثاً. فأثبت له اسم الإسلام وتوقف في الإيمان.

ومن هنا نعلم أن المراد من أحدها غير المراد من الآخر فمن قال هما سواء كان مخالفاً، والواجب رد موارد النزاع إلى الله ورسوله.

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧)، (١٤٧٨)، ومسلم (١٥٠).

٥ ـ زيادة الإيمان ونقصانه

لقد جاءت نصوص الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على زيادة الإيمان ونقصانه وأن أهله متفاضلون فيه، فبعضهم أكمل إيماناً من بعض منهم السابق بالخيرات ومنهم المقتصد ومنهم الظالم لنفسه، فمنهم المحسن ومنهم المؤمن ومنهم المسلم كما جاءت نصوص الكتاب والسنة في ذلك، فهم ليسوا في الدين في مرتبة واحدة.

وهذا هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في هذه المسألة؛ أي: أنهم يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه.

الأدلة على ذلك:

أولاً: دلالة الكتاب:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] وقوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

فهذه ستة مواضع من كتاب الله تدل دلالة واضحة على زيادة الإيمان.

وإذا كانت هذه الآيات جاءت في التصريح بزيادة الإيمان فهي أيضاً تدل بدلالة المفهوم على نقصانه فكل ما جاز زيادته جاز عليه النقصان.

ثانياً: دلالة السنة على زيادة الإيمان ونقصانه:

الدليل الأول: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن**»[١].

فالمراد من هذا الحديث نفي كمال الإيمان الواجب لمن اقترف هذه المعاصي وأنه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان.

فالمؤمن قد يرتكب هذه المعاصي فينقص إيمانه فيكون مؤمناً ناقص الإيمان فإن تاب وأقلع عن هذه المعاصي زاد إيمانه.

وممن احتج بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه جماعة من أهل العلم منهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

قال إسحاق بن إبراهيم: سألت أبا عبد الله عن الإيمان ونقصانه فقال: نقصانه قول النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن**»[٢].

وقال أيضاً رحمه الله: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وقال: الزيادة في العمل وذكر النقصان إذا زنى وسرق»[٣].

الدليل الثاني: ومن الأدلة أيضاً على زيادة الإيمان ونقصانه من السنة حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[٤].

---

(١) رواه البخاري انظره في: الفتح (٥/ ١١٩) (١٠/ ٣٠)، ومسلم شرح النووي (٢/ ٤١).

(٢) رواه الخلال في السنة برقم (١٠٤٥) وابن هانئ في مسائله (٢/ ١٦٤).

(٣) رواه الخلال (١٠٣٥)، وابن بطة في الإنابة (١٠٤٥).

(٤) أخرجه البخاري انظر: فتح الباري (١/ ٥١)، ومسلم شرح النووي (٢/ ٦).

وجه الدلالة من الحديث: أن هذه الشعب المذكورة في الحديث ليست على درجة واحدة في الفضل بل بعضها أفضل من بعض كما هو ظاهر من قوله ﷺ: «**أعلاها**» وقوله: «**أدناها**» فشعب الإيمان منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادتين ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق.

ولهذا استدل بهذا الحديث علماء السنة على زيادة الإيمان ونقصانه، وممن استدل به الترمذي فخرجه في باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادة نقصانه[1].

وقال ابن حبان في صحيحه: «ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، ثم ذكر حديث أبي هريرة: الإيمان بضع وسبعون شعبة»[2].

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ تعليقاً على حديث أبي هريرة هذا: «وهذا صريح في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشرائع والشعب واتصاف العبد بها أو عدمه ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها كثيراً فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فقد خالف الحس مع مخالفته لنصوص الشرع كما ترى»[3].

الدليل الثالث: ومن الأدلة أيضاً حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال لا إلٰه إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إلٰه إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إلٰه إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**»[4].

فهذا الحديث احتج به الإمام البخاري على زيادة الإيمان ونقصانه،

---

(١) السنن (٥/ ١٠).
(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان (١/ ١٩٤).
(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص١٤).
(٤) أخرجه البخاري، انظر في: الفتح (١/ ١٠٣)، ومسلم في شرح النووي (٢/ ٥٩).

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن القائلين لا إلٰه إلا الله متفاوتون في إيمانهم وأن منهم من يدخل النار بتفريطه وتقصيره في طاعة الله وأنه لا يخلد في النار لوجود أصل الإيمان معه فلا يسوي في الإيمان بين من معه إيمان يمنعه من دخول النار كلية وبين من لم يمنعه إيمانه من دخولها لتفريطه وكثرة معاصيه أن يمكث فترة قصيرة في النار وبين من استوجبت له أن يمكث فترة أطول.

وبهذه الأدلة نرى أن مذهب أهل السنة في هذه المسألة ـ أعني مسألة زيادة الإيمان ونقصانه ـ هو المذهب الصحيح بخلاف ما ذهب إليه بعض الطوائف الأخرى من القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه أو زيادته دون نقصانه أو توقف في النقصان دون الزيادة.



٦ ـ أسباب زيادة الإيمان ونقصانه

لما كان الإيمان يزيد وينقص كما قررنا سابقاً جعل الله لزيادته أموراً تزيده وحثّ عليها، وذكر أن هناك أموراً تضعفه وتنقصه فحذر منها.

والمسلم الحق هو الذي يبحث عما يقوي به إيمانه فيقوم بفعله ويتعرف عما ينقص به إيمانه ليحذر منه ويتجنبه.

فما هي إذاً عوامل زيادة الإيمان ونقصانه؟

الأسباب المؤدية إلى زيادة الإيمان

أولاً: تعلم العلم النافع:

من أعظم ما يزيد الإيمان تعلم العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليس العلم المبني على الفلسفة والمنطق فإن هذا العلم يورث صاحبه الكآبة والسآمة ونقصان الدين ولذا حذر السلف من هذا العلم.

فأعظم العلم العلم بالله وأسمائه وصفاته وشرعه، فهذا الذي يورث العبد زيادة في إيمانه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨] وقال تعالى: ﴿... إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

وفي الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من**

يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[١].

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها ليصلون على معلم الناس الخير»**[٢].

والأدلة على فضل العلم وفضل أهله كثيرة وهي تدل دلالة واضحة أن من سلك طريق العلم فإنه قد ورث ميراث النبوة فإنهم لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم.

وزيادة الإيمان الحاصلة بالعلم تكون من وجوه متعددة:

الوجه الأول: خروجه وخروج أهله في تحصيله.

الوجه الثاني: جلوسهم في حلق الذكر.

الوجه الثالث: مذاكرة بعضهم بعضاً في مسائل العلم.

الوجه الرابع: زيادة معرفتهم بالله وشرعه.

الوجه الخامس: تطبيقهم لما تعلموه من العلم الشرعي.

فهذه بعض الجوانب ووجوه تعلم العلم الذي يزداد بها الإيمان.

أبواب العلم النافع التي يحصل بها زيادة الإيمان

أما عن الأبواب التي يحصل بها زيادة الإيمان من خلال العلم الشرعي فمن هذه الأبواب:

الباب الأول: قراءة القرآن بتدبر:

فهي من أعظم أبواب العلم المؤدية إلى زيادة الإيمان وثباته وقوته، قال ابن القيم رحمه الله:

«وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين وهو الذي

---

(١) رواه البخاري (فتح الباري ١/ ١٦٤)، ومسلم (٢/ ١٥٢٤).

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٣٤٣).

يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله...»[1].

الباب الثاني: معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى:

من أعظم الأمور التي يزداد بها القلب إيماناً معرفة الربّ ﷻ بأسمائه وصفاته التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة والتي تدل على كمال الله المطلق من كافة الوجوه.

فمن الفوائد المترتبة على معرفة أسماء الله وصفاته:

١ ـ أن علم توحيد الأسماء والصفات من أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق فالاشتغال بفهمه والبحث عنه اشتغال بأعلى المطالب.

٢ ـ أن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العلم له وهذا عليه سعادة العبد.

٣ ـ إن أحد أركان الإيمان بل وأفضلها الإيمان بالله وليس الإيمان قول: «آمنت بالله» من غير معرفته لربه بل حقيقة الإيمان أن يعرف المؤمن أن يعبده ويؤمن به فيبذل جهده ومعرفة أسمائه وصفاته، فكلما ازداد العبد معرفة بربه ازداد إيمانه به.

٤ ـ أن العلم به تعالى هو أصل الأشياء كلها حتى إن العارف به حقيقة المعرفة يستدل بما عرف من صفاته وأفعاله على ما يفعله وعلى ما يشرعه من الأحكام، لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته.

الباب الثالث: تأمل سيرة النبي ﷺ:

فهذا من أسباب زيادة الإيمان فالنظر إلى سيرته ﷺ ودراستها وتأمل ما ذكر فيها من نعوته الطيبة وخصاله الكريمة وشمائله الحميدة وغير ذلك من الخصال الحميدة فإن العبد يزداد إيمانه بذلك، وتحصل هذه الزيادة من جهة أنه متى عرف خصال النبي الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ازداد محبته له

(١) مفتاح دار السعادة ص٢٠٤.

وأورثته هذه المحبة متابعة لنبيه ﷺ في القول والعمل وبالتالي يزداد إيمان العبد من جهة هذه المتابعة.

الباب الرابع: تأمل محاسن الدين الإسلامي:

إن الدين الإسلامي كله محاسن، عقائده أصلح العقائد وأصدقها وأنفعها، وأخلاقه أحمد الأخلاق وأجملها، وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلها.

وبهذا النظر الجليل والتأمل الجميل في محاسن هذا الدين يزيد الله الإيمان في قلب العبد ويحببه إليه كما امتن به على خيار خلقه بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

فيكون الإيمان في القلب أعظم المحبوبات وأجمل الأشياء وبهذا يذوق العبد حلاوة الإيمان ويجدها في قلبه.

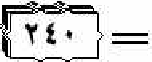
الباب الخامس: قراءة سيرة السلف الصالح:

فإن سيرة السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ من أصحاب النبي وتابعيهم بإحسان تعد من أعظم ما يزيد القلب إيماناً ومحبة لله وإجلالاً له، فهم خير القرون وحماة الإسلام وأهل المشاهد والمواقف العظام، وهم حملة هذا الدين أقوى الناس إيماناً وأرسخهم علماً وأبرهم قلوباً وأزكاهم نفوساً اختارهم الله لنصرة دينه ونصرة نبيه فقاموا بذلك أعظم قيام فرضي الله عنهم جميعاً.

ثانياً: من الأسباب المؤدية لزيادة الإيمان «التأمل في آيات الله الكونية»:

إن التأمل في آيات الله الكونية وما تحتوي عليه هذه الآيات من أعظم أسباب الإيمان ودواعيه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].



وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

الآيات التي تدعو إلى التفكر في آيات الله الكونية كثيرة، قال ابن سعدي رحمه الله:

«ومن أسباب الإيمان ودواعيه، التفكر في الكون في خلق السماوات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة، والنظر في نفس الإنسان وما هو عليه من الصفات فإن ذلك داع قوي للإيمان، لما في هذه الموجودات من عظمة الخلق الدال على قدرة خالقها وعظمته...»[1].



(١) التوضيح والبيان ص٣١.

٧ ـ أسباب نقص الإيمان

كما أن هناك أسباباً تزيد الإيمان وتقويه فهناك أسباب تنقص الإيمان وتضعفه، ومن أعظم أسباب نقص الإيمان ما يلي:

١ ـ الجهل بالله وشرعه:

فهذا من أعظم أسباب نقص الإيمان كما أن العلم من أعظم أسباب زيادته، فالمسلم العالم لا يؤثر محبة وفعل ما يضره ويشقى به ويتألم به على ما فيه نفعه وفلاحه وصلاحه.

وخلاصة القول هنا أن الجهل بالله وبأسمائه وصفاته من أعظم الأمور التي تضعف الإيمان فهو داء خطير ومرض فتاك يجر على صاحبه من الويلات والعواقب الوخيمة الشر الكثير.

٢ ـ الغفلة والإعراض والنسيان:

فهذه الأمور سبب عظيم من أسباب نقص الإيمان، فمن اعترته الغفلة وشغله النسيان وحصل فيه الإعراض نقص إيمانه وضعف بحسب هذه الأمور الثلاث وأوجبت له مرض القلب أو موته باستيلاء الشهوات والشبهات عليه.

٣ ـ فعل المعاصي وارتكاب الذنوب:

فإن هذا لا يخفى ما به من ضرر وسوء الأثر على الإيمان، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فكما أن فعل ما أمر الله به من واجب ومندوب يزيد في الإيمان فكذلك فعل ما نهى الله عنه من محرم ومكروه ينقص الإيمان.

٨ ـ الاستثناء في الإيمان

معنى الاستثناء في الإيمان أن يقول العبد: «أنا مؤمن إن شاء الله» أو «أرجو أن أكون مؤمناً» يقول ذلك حينما يسأل هل هو مؤمن؟

ولما كانت هذه المسألة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بينها وبين المسألة السابقة ـ أعني مسألة زيادة الإيمان ونقصانه ـ كان ولا بد من التنبيه عليه.

العلاقة بين القول بالاستثناء في الإيمان والقول بزيادة الإيمان ونقصانه

إن العلاقة ذات ارتباط وثيق وعلاقة وطيدة بين كليهما لأن من كان مذهبه أن الإيمان يزيد وينقص وأن أهله يتفاضلون فيه يرى الاستثناء في الإيمان على اعتبار أنه لا يقطع بتكميل الإيمان وبالإتيان به على الدرجة العالية المطلوبة، بخلاف من يرى أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص وأن أهله فيه سواء فصاحب هذا القول يرى عدم جواز الاستثناء في الإيمان ويقطع بإيمانه بل ويعد من قال باستثناء في الإيمان شاكاً ولذلك سموا من يقول بالاستثناء وهم أهل السنة بلا شك سماهم أهل البدع (الشكاكة) لأنهم يقولون بالاستثناء.

أقوال الناس في الاستثناء:

تعددت أقوال الناس في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

الأول: تحريم الاستثناء وهو قول المرجئة والجهمية ونحوهم، وهؤلاء يجعلون الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحوه

مما في قلبه ويجزم به ويعرفه فهم يقولون نحن نعلم أننا مؤمنون كما نعلم أننا تكلمنا بالشهادتين وكما نعلم أننا قرأنا الفاتحة.

فقولنا نحن مؤمنون كقولنا نحن مسلمون وقولنا قرأنا الفاتحة فنحن نعلم ذلك ونقطع به فكما أننا لا نقول قرأنا الفاتحة إن شاء الله فكذلك لا نقول نحن مؤمنون إن شاء الله، فمن استثنى في إيمانه عند هذه الطوائف فهو شاك فيه، وسموا الذين يستثنون الشكاكة.

الثاني: قال أصحابه بوجوب الاستثناء وأنه يجب على المسلم أن يستثني ولا يجزم بأنه مؤمن، وقال بهذا القول الكلابية والأشعرية وذلك لأن الإيمان عند هؤلاء هو ما مات عليه الإنسان، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً وكافراً باعتبار الموافاة وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة له، والإيمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً ليس بإيمان كالصلاة التي يفسدها صاحبها قبل الكمال وكالصيام الذي يفطر صاحبها قبل الغروب.

ومفهوم الموافاة عند هؤلاء أن العبد يأتي موافياً به بأنه يبقى عليه إلى الوفاة فيكون متصفاً به إلى آخر حياته.

ويقولون أيضاً أننا لو قلنا بأنا مؤمنون لجزمنا بأنا في الجنة لأن الله وعد المؤمنين بالجنة ولا يجوز القطع بذلك إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ بذلك.

ثم إن في ذلك تزكية للنفس وقد نهينا عن ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

ثم إن الاسم عند الإطلاق يقتضي الإطلاق والمتكلم بذلك لا يعلم به فهو لا يقطع بأنه كامل الإيمان.

ولذا كان السلف يخافون على أنفسهم النفاق لشدة خوفهم من الله وعدم قطعهم بتحقيق كمال الإيمان لهم رضوان الله عليهم[١].

الثالث: جواز الاستثناء وأنه مشروع.

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٤٩٥).

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، لأن الإيمان عندهم شامل للاعتقادات والأقوال والأعمال، فإذا سئل أحدهم: هل أنت مؤمن؟ أجاب قائلاً: أنا مؤمن إن شاء الله أو قال: أرجو أن أكون مؤمناً، أجاب بذلك مخافة عدم تكميل الأعمال التي بكمالها يكمل الإيمان.

وليس هذا شكاً منهم كما زعم ذلك أهل البدع، فهم أعلى وأرفع من ذلك تركاً لتزكية النفس والشهادة لها بتكميل الأعمال.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه والثوري وابن عيينة وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء أهل البصرة وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة فكانوا يستثنون في الإيمان وهذا متواتر عنهم»(١).

وقال أيضاً: «الاستثناء في الإيمان سنة عند أصحابنا وأكثر أهل السنة»(٢).



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩).

(٢) الفتاوى (٧/ ٦٦٦).

٩ ـ شعب الإيمان

للإيمان شعب كثيرة حددها رسول الله ﷺ على سبيل الإجمال في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ حيث قال: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[(١)].

وقد حصر بعض أهل العلم هذه الشعب وبينوها، ومن هؤلاء الإمام البيهقي فقد حصرها وشرحها في كتاب كبير في سبع مجلدات.

وهذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن. فأعمال القلب هي المعتقدات والنيات ومنها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر واليوم الآخر والحساب والميزان والإخلاص والتوبة والخوف والرجاء والشكر وغيرها.

وأعمال اللسان منها تلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليم الناس الخير والدعاء والذكر.

وأعمال البدن منها التطهر والصلاة والزكاة والصيام والعمرة والحج والاعتكاف والوفاء بالنذر وأداء الواجبات الشرعية والقيام بحقوق الأولاد وصلة الرحم وبر الوالدين والجهاد وحسن معاملة الجار وأداء الأمانة ورد السلام وكف الأذى وإماطة الأذى وغير ذلك.



(١) سبق تخريجه ص٢٣٣.

١٠ ـ ما يناقض الإيمان

إذا كان الإيمان لا يتحقق إلا بتحقق عناصره من القول والعمل في الظاهر والباطن، وإذا كان الكفر هو تخلف أحد هذه العناصر مما يمس أصل الإيمان، فإن تحقق الإيمان لشخص ما لا يضمن له النجاة من الكفر إلا إذا مات على هذا الإيمان ولم ينقضه بقول أو عمل أو اعتقاد.

ونواقض الإيمان من الأقوال والأفعال والاعتقادات قد أفردها كثير من العلماء وجعلوا لها باباً خاصاً بها سموه باب المرتد.

والردة في الشرع هي «الرجوع عن الإسلام إلى الكفر وقطع الإسلام» وتحصل هذه الردة تارة بالقول وتارة بالفعل وتارة بالاعتقاد.

أولاً: نواقض الإيمان القولية:

وذلك كأن يسب الله ورسوله ﷺ أو أن يدعي أنه يوحى إليه أو يدعي النبوة أو يدعي أنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها وكذا لو سبّ نبياً من الأنبياء أو استخف به فكل ذلك يعد ناقضاً من نواقض الإسلام.

ثانياً: نواقض الإيمان الفعلية:

تحصل الردة بالفعل كأن يسجد لصنم أو الشمس أو القمر أو أن يلقي المصحف في القاذورات وكذا أن يذبح لغير الله كأن يذبح للأصنام وكذا السخرية بأسماء الله تعالى أو بأمره ووعيده أو قراءة القرآن على ضرب الدف، أو فعل فعلاً أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا عن كافر وإن كان مصرحاً بالإسلام مع فعله كالسجود للصليب ونحو ذلك، فهذا ردة عن دين الإسلام.

ثالثاً: نواقض الإيمان الاعتقادية:

كأن يعتقد قدم العالم أو حدوث الصانع أو اعتقد نفي ما هو ثابت لله بالإجماع أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالألوان والاتصال والانفصال، أو استحل ما هو حرام بالإجماع أو حرم حلالاً بالإجماع أو استحل الخمر أو لحم الخنزير أو الزنا أو اللواط، أو أن السلطان يحلل ويحرم أو أن يرضى بالكفر أو أن يعتقد أن هذا الكون له مدبر غير الله فيعتقد في الأولياء أنهم يدبرون حوائج الناس، أو اعتقد أن الولي أفضل من النبي ونحو ذلك مما يعتقده عباد القبور كل هذا يعد ناقضاً من نواقض الإيمان.



١١ ـ أثر المعاصي على الإيمان

ذكرنا فيما سبق أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فللمعصية دور كبير في نقصان الإيمان لكن المعاصي درجات فبعضها كفر وبعضها ليس بكفر، وما ليس بكفر منها ما هو كبيرة من كبائر الذنوب ومنها ما هو صغيرة، وبيان ذلك كالآتي:

١ ـ المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر:

جاءت نصوص الكتاب والسنة مبيِّنة ما هو من المعاصي مخرج من الملة وما هو غير مخرج من الملة، وأخبرت هذه النصوص أن الأولى ـ أعني المعاصي المخرجة من الملة ـ لا تغفر إلا بالتوبة وتجديد الإيمان وأن الثاني صاحبها في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحجرات: ٧].

ففي الآية الأولى يبين ﷻ أنه لا يغفر لأحد مات على الشرك وما دون الشرك فإنه يغفره لمن يشاء من عباده.

وفي الآية الثانية قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال محمد بن نصر المروزي: لما كانت المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر فرّق بينها فجعلها ثلاثة أنواع: نوع منها كفر ونوع منها فسوق وليس بكفر ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق وأخبر أنه كرّهها كلها إلى المؤمنين»[1].

(١) الإيمان لابن تيمية (ص٣٩).

وإذا كانت المعاصي درجات فكما ذكرنا أنها أيضاً درجات في التوبة فمنها ما تحتاج إلى توبة وتجديد إيمان لمعصية الشرك أو الكفر فإنه لا يغفرها سبحانه إلا بذلك، أما المعاصي الأخرى فصاحبها تحت المشيئة على ما ذكرناه.

المعاصي التي ليست بكفر:

المعاصي التي هي دون الكفر أو الشرك المخرج من الملة ذهب السلف والخلف إلى انقسامها إلى قسمين: كبائر وصغائر.

دليل هذا التقسيم قوله ﷺ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**»(١).

وقوله ﷺ: «**من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا رجل فيسب الرجل أباه ويسب أمه فيسب أمه**»(٢).

وإذا كانت المعصية على ما ذكرناه منها ما هو كبيرة ومنها ما هو صغيرة فلا بد من بيان ذلك وبيان كيفية الخروج من إثمهما.

أولاً: الكبائر:

تعريفها: اختلفت تعريفات العلماء لها والراجح من أقوال أهل العلم في تعريفها أنها: «هي كل معصية يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب»

ثانياً: الصغائر:

الصغائر هي «كل معصية لم يترتب عليها حد ولم يتوعد عليها بالنار أو اللعن أو الغضب» لكن هل الإصرار على المعصية يوصلها إلى الكبيرة؟

الجواب: نص بعض العلماء على أن الإصرار على الصغيرة بمثابة

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٣٣).

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ١٠/٣٣٨)، ومسلم برقم (٢٥٥٦).

ارتكاب الكبيرة وحد الإصرار عندهم أن يتكرر فعل الصغيرة تكراراً يشعر بقلة مبالاة الشخص بدينه وكذلك الإكثار من فعل الصغائر ولو كانت مختلفة لا يقل عند البعض عن ارتكاب كبيرة من الكبائر لأن هذا الإكثار من فعل الصغائر عندهم يدل على عدم المبالاة بالدين[١].



(١) الإيمان لمحمد نعيم ياسين (ص١٢٣).

١٢ ـ مكفرات الذنوب

فتح الله تعالى لعباده المؤمنين أبواباً لتكفير الذنوب والخطايا التي يقعون فيها تخليصاً لهم مما يقعون فيه وإسقاطاً للعقوبة عنهم، كل ذلك فضلاً منه ورحمة.

ولما كان كل بني آدم خطاء كان ولا بد من بيان جملة من الأبواب التي يقرعها المذنب عند وقوعه في الزلل لكي تسقط العقوبة عنه.

وهذه جملة من الأسباب التي تسقط العقوبة عن العبد:

الأول: التوبة والاستغفار:

وهذا متفق عليه عند أهل السنة والجماعة. والتوبة التي تسقط العقوبة هي التوبة النصوح النابعة من القلوب لا المقتصرة على نطق اللسان فقط بل توبة يصاحبها الندم على ما فات من المعاصي والعزم على أن لا يعود إليها.

الثاني: الأعمال الصالحة:

اتفق أهل السنة على أن التوبة النصوح تكفر الذنب كبيره وصغيره، لكن هل الأعمال الصالحة والإكثار منها يكفر الذنوب دون حصول التوبة والاستغفار؟

اتفق أهل السنة على أن الأعمال الصالحة تكفر الصغائر لكن اختلفوا في تكفيرها للكبائر، قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١] وقال ﷺ: **«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما**

بينهن ما اجتنبت الكبائر»[١].

فجمهور أهل العلم على أن الكبائر لا تكفر بدون توبة وأن الحسنات إنما تكفر الصغائر فقط.

وذهب قوم من أهل الحديث وغيرهم إلى أن الحسنات قد تكفر الكبائر أيضاً وبهذا قال شيخ الإسلام[٢].

الثاني: من أسباب غفران الذنب «حصول المصائب»:

قال ﷺ: **«ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»**[٣].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له وما أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»**[٤].

قال ابن رجب تعليقاً على هذا الحديث: «وقوله: عوقب، يعم العقوبات الشرعية وهي الحدود المقدرة وغير المقدرة كالتعزيرات، ويشمل العقوبات القدرية كالمصائب والأسقام والآلام»[٥].

الثالث: دعاء المؤمنين:

دعاء المؤمنين للمؤمنين واستغفارهم لهم في الحياة وبعد الممات كصلاتهم على جنائزهم من الأسباب التي تكفر الذنوب.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من رجل**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر في ذلك: كتاب الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام (ص٣٢، ٣٣، ٣٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢).

(٤) رواه البخاري برقم (٢٨).

(٥) جامع العلوم والحكم ص١٥٢.

يموت يقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه»[١].

الرابع: فعل المعروف للميت بعد موته:

اتفق أهل العلم على ما يعمل للميت بعد موته من أعمال البر كالصدقة عنه والحج وكذا العتق وغير ذلك من أعمال البر كل ذلك ينتفع به لورود النصوص الصريحة في ذلك.

الخامس:

ما يحصل في القبر من الفتنة الضغطة والروعة فإن هذا مما يكفر به الخطايا.

السادس:

أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها.

السابع:

شفاعة النبي ﷺ وغيره ممن يأذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة من أهل الذنوب كما جاءت النصوص بذلك.

الثامن:

رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد[٢].



---

(١) رواه مسلم برقم (٩٤٨).

(٢) انظر في ذلك كتاب: الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة لابن حجر العسقلاني، وكتاب كفارات الخطايا وموجبات المغفرة لكل من حامد إبراهيم أحمد ومحمد حسين العقبي.

١٣ ـ حكم الإصرار على المعصية

معنى الإصرار على المعصية هو الإقامة على فعلها ولزوم الفعل لها مع علمه بأنها معصية ولا يحدث لذلك استغفار ولا توبة.

حكم المصر على المعصية عند أهل السنة والجماعة كحكم مرتكب الكبيرة ويخشى عليه سوء العاقبة لأن العاصي يريد الكفر والإكثار من المعاصي قد يؤدي إلى الوقوع في الكفر والردة.

فالاستغراق في المعصية والإصرار عليها قد يجعلها تحيط بصاحبها وتنبت النفاق في قلبه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا ريب أن المعصية قد تكون سبباً للكفر كما قال بعض السلف العاصي يريد الكفر فينهى عنها خشية أن تفضي إلى الكفر المحبط كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣] أي: الكفر ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وإبليس خالف أمر الله فصار كافراً وغيره أصابه عذاب أليم»[1].

وخلاصة الأمر هنا أن مجرد فعل المعصية والإصرار عليها لا يدل عند أهل السنة والجماعة على نقض الشهادتين والخلود في النار مع الكفار والمرتدين إلا إذا صاحب ذلك استحلال لهذه المعصية.

قال شيخ الإسلام: «أن العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرمه عليه واعتقاد انقياده لله تعالى فيما حرمه وأوجبه فهذا ليس بكافر، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبى أن

(١) الإيمان الأوسط (ص٣٦).

يذعن لله وينقاد فهو إما جاحد أو معاند، ولهذا قالوا: من عصى الله مستكبراً كإبليس كفر بالاتفاق ومن عصى مشتهياً لم يكفر عند أهل السنة والجماعة وإنما يكفره الخوارج...»[1].



(١) الصارم المسلول (٥٢١، ٥٢٢).

١٤ ـ الكفر والمكفرات

الكفر هو الإنكار المتعمد لما جاء به محمد ﷺ أو بعض ما جاء به مما علم من دينه بالضرورة.

وكما أن الإيمان له شعب فكذلك الكفر له شعب وهو يكون بالقلب كالجحود والتكذيب والبغض لما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ.

ويكون باللسان كسبِّ الله ورسوله أو الاستهزاء بالله ورسوله، ويكون أحياناً بترك بعض الأعمال التي ورد الشرع بأن تركها كفر مثل الصلاة.

أقسام الكفر

ينقسم الكفر إلى قسمين:

الأول: كفر أكبر يناقض الإيمان ويوجب الخروج من الملة والخلود في النار. والكفر الأكبر ينقسم إلى عدة أنواع:

النوع الأول: كفر التكذيب

وهو اعتقاد كذب الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهذا النوع من الكفر يكون بتكذيب المخبر أو بتكذيب الخبر. فتكذيب المخبر يكون بسماع خبر الرسول وما جاء به من ربه فيكذبه في رسالته ويرد خبره.

قال ابن القيم رحمه الله: «فأما كفر التكذيب فهو اعتقاد كذب الرسل وهذا القسم قليل في الكفار، فإن الله تعالى أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة أو أزال به المعذرة»[١].

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٧)، وانظر كذلك: معارج القبول (٢/ ٢٢).

أما التكذيب بالخبر فيكون بسماع الرجل الخبر معلوماً بالضرورة من دين الإسلام ثم ينكره كأن ينكر فرضية الصلاة والزكاة والحج والصيام وأن لا يعترف بحرمة الزنا أو القتل أو الخمر أو السرقة أو الربا أو غير ذلك من أحكام الإسلام التي أخبر بها الرسول ﷺ وعلمت من الدين بالضرورة كالإيمان بأسماء الله وصفاته وأن محمداً رسول الله ﷺ، رسول الله إلى الناس كافة وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وغير ذلك. فمتى كذب أحد ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين.

النوع الثاني: كفر العناد والاستكبار

وهو ما يسميه بعض أهل العلم الكفر الإبليسي وهو الذي يقع عناداً واستكباراً وقد وقع هذا النوع من كثير من الكفار.

تعريفه: هو أن يعرف الحق بقلبه ويصدقه بقلبه ولسانه ولكن يأبى أن يذعن له ويلتزم به ويستسلم له بقلبه وجوارحه.

قال الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان كفر عناداً واستكباراً ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه أمثال حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهم وكفر من ترك الصلاة عناداً واستكباراً»[1].

دليل هذا النوع من الكفر قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] وقال أيضاً كما حكى عن فرعون وقومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧].

وكما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦].

---

(١) معارج القبول (٢/ ٢٢).

النوع الثالث: كفر الإعراض

وذلك بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغى له ولا إلى ما جاء به البتة.

كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي ﷺ: والله أقول لك كلمة إن كنت صادقاً فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك وإن كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أكلمك[١].

وقال تعالى في بيان هذا النوع من الكفر: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢].

النوع الرابع: كفر الشكّ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأما كفر الشك فإنه لا يجزم بصدقه ولا يكذبه بل يشك في أمره وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة فلا يسمعها ولا يلتفت إليها[٢].

قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾ [الدخان: ٩].

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٠].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٨).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٣٨).

النوع الخامس: كفر النفاق

وهو أن يظهر التصديق باللسان ويظهر الانقياد والاستسلام باللسان والجوارح بينما قلبه يكون خالياً من الاعتقاد.

يقول صاحب معارج القبول:

«وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان وانقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى وسواء انتفى بتكذيب أو شك قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٨ ـ ٢٠]»[١].

القسم الثاني من أقسام الكفر
الكفر الأصغر

وهذا لا ينافي أصل الإيمان ولا يذهب به بالكلية وإنما ينقص كماله والمتصف به يصبح مذموماً شرعاً وإن جرت عليها الأحكام لبقاء أصل الإيمان معه وهذا يوجب استحقاق الوعيد دون الخلود في النار عكس الأكبر.

قال حافظ الحكمي رحمه الله:

«ولا منافاة بين تسمية العمل فسقاً أو عامله فاسقاً وبين تسميته مسلماً وجريان أحكام المسلمين عليه لأنه ليس كل فسق يكون كفراً ولا كل ما سمي كفراً وظلماً يكون مخرجاً من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته وذلك لأن كلّاً من الكفر والظلم والفسوق والنفاق جاءت في نصوص على قسمين:

أكبر يخرج من الملة لمنافاة أصل الدين بالكلية، وأصغر يُنقص الإيمان وينافي كماله ولا يخرج صاحبه منه فكفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسوق دون فسوق ونفاق دون نفاق»[٢].

---

(١) معارج القبول (٢/ ٢٢).

(٢) معارج القبول (٢/ ٤٢٠).

ذكر بعض النصوص التي تسمي بعض المعاصي كفراً وشركاً

من هذه النصوص:

قوله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»(١) وقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(٢). وقوله ﷺ: «**من حمل السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا**»(٣) وقوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»(٤).

وهذه النصوص حملها أهل السنة والجماعة على أنها من جملة المعاصي التي تنقص الإيمان وتنافي كماله ولا تخرج صاحبه من الملة، وخالف أهل السنة فيها الخوارج فحملوها على ظاهرها فحكموا بكفر مرتكب الكبيرة.

الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر

الفرق بينهما يكون من وجوه:

أولاً: أن الكفر الأكبر يحبط العمل بالكلية، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ﴾ [إبراهيم: ١٨].

أما الكفر الأصغر فإنه لا يحبط العمل وإن كان ينقصه.

ثانياً: الكفر الأكبر يوجب الخلود في النار كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة: ٦].

أما الكفر الأصغر فلا يوجب دخول النار بل تحت المشيئة على قول.

وفي قول آخر أنه يوجب دخول النار لكن دون الخلود فيها بل يعذب على قدر المعصية ثم يخرج من النار.

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٨) (٦٠٤٤)، ومسلم برقم (٦٤).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٦٩، ٨٧)، وأبو داود (٣٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٢٧٨٧).

(٣) رواه مسلم برقم (١٠١)، (١٠٢).

(٤) سبق تخريجه ص٢٣٣.

ثالثاً: أن الكفر الأكبر إذا مات عليه صاحبه لم يغفر له.

أما الكفر الأصغر فهو تحت المشيئة إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ولا ينافي ذلك إيجابه الوعيد.

رابعاً: أن الكفر الأكبر صاحبه يحل دمه وماله ولا يرث الكافر قريبه المسلم ولا يرثه الكافر.

أما الكفر الأصغر فلا يوجب شيئاً من ذلك.

خامساً: أن الكفر الأكبر يخرج من ملة الإسلام، أما الكفر الأصغر فلا يخرج من ملة الإسلام وصاحبه مؤمن ناقص الإيمان.



١٥ ـ أصول المكفرات

الكفار نوعان:

النوع الأول: الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام أصلاً من اليهود والنصارى والمجوس والهندوس والبوذيين والملاحدة وغيرهم من أصناف الكفرة فهؤلاء جميعهم دل الكتاب والسنة والإجماع على كفرهم ودخولهم في النار وتحريم الجنة عليهم.

النوع الثاني: الذين ينتسبون إلى دين الإسلام ويزعمون أنهم مؤمنون بمحمد ﷺ ثم يصدر منهم ما يناقض ذلك ويزعمون أنهم باقون على دين الإسلام وأنهم من أهله.

فهؤلاء إذا وجدت الأسباب لتكفيرهم وتلبسوا بشيء من ذلك استحقوا هذا الحكم علماً أن جميع الأسباب ترجع إلى تكذيب الله ورسوله وعدم التزام دينه.

جميع المكفرات تدخل تحت نواقض أربعة: القول أو الفعل أو الاعتقاد أو الشكّ وقد ذكرنا ذلك سابقاً.



١٦ ـ آثار الكفر

من آثار الكفر في الدنيا:

١ ـ الضلال والبعد عن طريق الهداية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ [النساء: ١٦٧].

٢ ـ الطبع على القلب فلا يستفيد من وحي الله، قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة: ٧] وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

٣ ـ المرتد يقتل ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين بل يرمى في حفرة ويوارى عليه التراب.

٤ ـ تنتهي ولايته على أولاده ويفرق بينه وبين زوجته ولا يجوز موالاته ولا مناصرته.

أما آثار الكفر في الآخرة: دخول النار والخلود فيها نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه.



١٧ ـ حكم مرتكب الكبيرة

اختلف الناس في مرتكب الكبيرة ولهم في ذلك أربعة أقوال:

الأول: أن مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا مخلد في النار في الآخرة، وهذا قول الخوارج وهذا من أصول معتقدهم وقد استحلوا بسببه دماء المسلمين.

الثاني: أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً ولكنه في المنزلة بين المنزلتين، هذه حاله في الدنيا، أما في الآخرة فلا يدخل الجنة بل هو خالد مخلد في النار، وهذا هو قول المعتزلة.

الثالث: أنه مؤمن كامل الإيمان وهذا هو قول المرجئة المبني على معتقدهم أنه لا يضرّ مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة.

الرابع: أن صاحب الكبيرة لا يسلب اسم الإيمان على الإطلاق ولا يعطي له على الإطلاق وإنما هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته تحت مشيئة الله في الدار الآخرة إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له. وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

قال شارح الطحاوية:

«إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج.. وأهل السنة أيضاً متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب كما وردت به السنة لا كما يقول المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة»[(١)].

وهذا هو مقتضى الوسطية التي تميز بها أهل السنة والجماعة فهم وسط في هذا الباب بين الخوارج والمعتزلة وبين المرجئة فلم يسلبوا اسم الإيمان ولم يقولوا إنه مؤمن كامل الإيمان بل قالوا مؤمن ناقص الإيمان في الدنيا أما في الآخرة فأمره إلى الله.

---

(١) الطحاوية (٢/ ٤٤٢).

١٨ ـ النفاق

تعريفه في اللغة:

مأخوذ من نافقاء اليربوع لأنه يظهر مدخله ويخفي مخرجه وهو إظهار شيء وإخفاء ضده.

تعريفه في الاصطلاح:

«هو إظهار ما يوافق الحق وإبطال ما يخالفه. والمنافق هو الذي خرج من الإيمان باطناً بعد دخوله فيه ظاهراً»(١).

قال ابن سعدي رحمه الله: «فالنفاق هو مخالفة الظاهر للباطن فإن كان في أصل الإيمان كان نفاقاً أكبر مخرجاً عن الدين وإن كان في فروعه كان حاله يحسب ذلك»(٢).

أصناف المنافقين

ضرب الله مثلين في أول سورة البقرة أوضح فيهما حال صنفين من المنافقين يندرج تحتهما كافة أحوال المنافقين وصفاتهم المختلفة.

١ ـ المثل الأول: هو المثل الناري:

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٧، ١٨].

---

(١) الإيمان (ص٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٢) الرياض الناضرة (٥/ ٥٢٩) مجموع مؤلفات ابن سعدي رحمه الله.

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير ذلك:

«وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا كما أخبر تعالى عنهم في غير هذا الموضع والله أعلم»[١].

قال ابن مسعود وناس من الصحابة: «إن ذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال والحرام والخير والشر فبينما هو كذلك فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر».

وعن ابن عباس: «هم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم فعتوا بعد ذلك».

قال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: «هذه هي صفة المنافقين كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان قلوبهم كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ناراً ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون»[٢].

٢ ـ المثل الثاني: المثل المائي:

يقول الله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٩، ٢٠].

قال ابن كثير رحمه الله: «هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ويشكون تارة أخرى قلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم (كصيب) والصيب المطر نزل من السماء حال ظلمات وهي الشكوك والكفر والنفاق (ورعد) وهو ما يزعج القلوب من الخوف فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والجزع».

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٥٣ ـ ٥٦).

قال ابن عباس ﵄: «كلما أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه وإذا أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر.. يعرفون الحق ويتكلمون به فهم في قولهم له على استقامة فإن ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا؛ أي: متحيرين»[١].

أنواع النفاق

النفاق نوعان: نفاق أكبر ونفاق أصغر.

النوع الأول: النفاق الأكبر «الاعتقادي»

تعريفه: هو النفاق الاعتقادي وهو ما أبطن فيه الكفر في القلب وظهر الإيمان على لسانه وجوارحه. وهو الذي كان على عهده ﷺ وفي أهله نزل القرآن بتكفيرهم.

أنواع النفاق الاعتقادي

أنواع النفاق الاعتقادي (النفاق الأكبر) منها:

الأولى: تكذيب الرسول ﷺ أو تكذيب ما جاء به.

الثانية: بغضه ﷺ وبغض ما جاء به.

الثالثة: إظهار الفرح والسرور بهزيمة وانخفاض دين الإسلام.

الرابعة: إعلان الحزن والكراهية حين ينتصر الإسلام.

الخامسة: عدم اعتقاد وجوب تصديق النبي ﷺ ووجوب طاعته.

النوع الثاني: النفاق الأصغر

النفاق الأصغر هو النفاق العملي ويراد به فعل بعض الأعمال التي تخالف مقتضى الإيمان.

وعرفه البعض بأنه هو ما ظهر فيه العمل على وجه يخالف ما يجب أن يكون شرعاً.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٥٢ ـ ٥٦).

أنواع النفاق الأصغر

جاءت نصوص السنة تبين بعض أنواع النفاق الأصغر كقوله ﷺ: «**آيات المنافق أربع: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر**»[(١)].

فهذه بعض أنواع النفاق العملي وكذا قوله ﷺ: «**أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر**»[(٢)].

فالغدر والخيانة والفجور والخصومة وإخلاف الوعد وترك صلاة العشاء والفجر جماعة كل هذا من أنواع النفاق العملي الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام.

خطورة النفاق العملي

يُعد النفاق العملي مقدمة للنفاق الأكبر الاعتقادي فهو طريق له فمتى سلكه العبد وصار خُلقاً له خيف عليه من النفاق الاعتقادي. ولذلك ينبغي للمسلم أن يحذره ويتجنبه لكي ينأى بنفسه وينجو من سخط الله وأليم عقابه.

خطر النفاق والمنافقين
على الأمة الإسلامية

لئن كان النفاق في زمن الرسول ﷺ وخلفائه ومن بعدهم له خطره العظيم فإن النفاق في عصرنا هذا أشد، لأن المنافق في ذاك الزمن يتصرف على طبيعته ولم تكن للنفاق صروح علمية تخطط له وتدافع عنه وترصد له مقدراتها العلمية والمادية والحسية والمعنوية كما هو الحال في عصرنا هذا.

ولذا كانت معرفة النفاق والمنافقين وصفاتهم العامة من أهم ما يجب على المسلمين معرفته حتى يحذروا خطره ويغلقوا على المنافقين الطريق حتى لا يفسدوا حياة المسلمين.

---

(١) رواه البخاري (في الفتح ١/ ٨٣ ـ ٨٤)، ومسلم برقم (٥٩).

(٢) رواه البخاري (في الفتح ٢/ ١١٨)، ومسلم برقم (٢٥٢).

مع أننا نعلم أن المنافقين في عصرنا كان لهم أثر كبير في نقل كثير من الكفر إلى بلاد المسلمين، وذلك كمثال الدعوات القومية والدعوة إلى علمنة الفكر والعلم ومن ثم علمنة الحياة حتى لا يقوم لدين الله قائمة ولا يبقى لدين الله إلا رسوم يتشبث بها بعض الناس.

وقد نجحوا إلى حد ما في بعض مخططاتهم ومنها جعل كل شيء في حياة المسلمين حتى الأصول العقدية والعلمية الإسلامية مجالاً للنقاش حتى تكون أموراً شخصية يسهل الخروج عليها.

ومن ثم لا يبقى للدولة الإسلامية أي مجال لتطبيق تعاليم الإسلام والتحاكم إليها، فيكون لكل أحد أن ينشر ما شاء من الأفكار ويجمع حولها ما شاء وعندئذ تنقض عرى الإسلام عروة عروة فلا يبقى له وجود بين المسلمين.

ولكن وعد الله ببقاء الحق المنزل من عنده هو الكفيل بإفساد مخططاتهم كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله**»[(١)].

ومن هذا المنطلق لا بد لنا من الرجوع إلى منهج القرآن الكريم والسنة لنتعرف منه على صفات المنافقين وطبائعهم ثم نطبقه على واقعنا حتى يتسنى لنا كشفهم وعدم الوقوع في حبالهم الشيطانية[(٢)].

طرق وأهداف المنافقين

للمنافقين أهداف كثيرة منها:

١ ـ الدعوة إلى فقد الثقة بالصحابة رضي الله عنهم نقلة الإسلام ودعاته وذلك بالطعن فيهم وتكفير بعضهم وأيضاً باستغلال ما حصل بينهم للطعن فيهم وغير

(١) رواه مسلم برقم (١٩٢٠).
(٢) نقلاً من كتاب المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان (ص١٦٢ ـ ١٦٣).

ذلك كطعنهم في أبي هريرة رضي الله عنه وكذا طعنهم في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وغير ذلك.

٢ ـ القدح في مصادر الدين الإسلامي ومناهج التلقي فيه في الفروع والأصول وهي الكتاب والسنة.

٣ ـ القضاء على دين الإسلام جملة وتفصيلاً.

٤ ـ إبطال دلالة النصوص على حقائق الإسلام فروعاً وأصولاً.

٥ ـ بعث روح الفرقة في التنازع في صفوف المسلمين[١].

صفات المنافقين

ذكرنا فيما سبق خطورة النفاق والمنافقين على أمة الإسلام، لكن ما هي إذاً صفات المنافقين لكي يحذرهم المسلم ويكن على بينة من أمرهم؟

أبرز صفات المنافقين المذكورة في الكتاب والسنة هي:

١ ـ يدَّعون الإيمان وهم كاذبون.

٢ ـ يدَّعون الإصلاح وهم مفسدون.

٣ ـ يرمون المؤمنين بالسفه وهم السفهاء الحقيقيون.

٤ ـ أقوالهم مزخرفة وعباراتهم منمقة وهم ألدّ الخصماء.

٥ ـ إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.

٦ ـ يراءون الناس بأعمالهم.

٧ ـ لا يذكرون الله إلا قليلاً.

٨ ـ لا ينفقون إلا وهم كارهون.

٩ ـ يقبضون أيديهم عن الإنفاق في وجوه الخير.

١٠ ـ يتثاقلون عن صلاتي العشاء والفجر.

١١ ـ يخلفون الوعد.

١٢ ـ يكذبون في الحديث ويغدرون في اللهو وينقصون المواثيق.

---

(١) المصدر السابق (ص١٦٢).

١٣ ـ يأخذون من الدين ما يوافق رغباتهم.

١٤ ـ يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

١٥ ـ يوالون أعداء الله من الكفرة.

آثار النفاق

من أبرز آثار النفاق ما يلي:

١ ـ الخلود في النار وبئس القرار بل في الدرك الأسفل من النار. قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

٢ ـ وجوب اللعنة عليهم ومطاردتهم بها، قال تعالى في حقهم: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب: ٦١].

٣ ـ عدم قبول الأعمال الصالحة ورفضها وإبطالها قال تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٣، ٥٤].

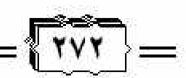
٤ ـ حرمان المنافق من دعاء المؤمنين وصلاتهم عليهم عند موتهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤].

الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر

ذكرنا فيما سبق الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر وتعد هذه الفروق هي نفس الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر ولا حاجة لتكرارها فلتراجع هناك[1].

---

(١) ولزيادة البحث عن النفاق وما يتعلق به يراجع كتاب المنافقون في القرآن الكريم ـ للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ورسالة صفة النفاق وذم المنافقين ـ لأبي بكر الغرنابي.



المبحث الثالث

القرآن كلام الله

١ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم.
٢ ـ منشأ القول بخلق القرآن.
٣ ـ افتراق الناس عقيدة في القرآن.
٤ ـ حكم من قال بخلق القرآن.
٥ ـ حكم أهل السنة في الواقفة.
٦ ـ حكم أهل السنة في اللفظية.
٧ ـ أقوال الناس في صفة الكلام لله تعالى.
٨ ـ نصوص أهل السنة في إثبات الكلام.
٩ ـ الرد على شبه المخالفين لأهل السنة من المعتزلة ومن وافقهم.
١٠ ـ إثبات النداء بصوت لله تعالى.

١ ـ بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى

قبل أن نتحدث عن اختلاف الناس ومذاهبهم في كلام الله تعالى لا بد لنا أن نبين ما عليه سلف الأمة من اعتقاد في كلام الله تعالى، فنقول ـ وبالله التوفيق ـ:

قال الإمام الطحاوي:

«وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزله على رسله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦] فلما أوعده الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر»[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله في تقريره لمذهب أهل السنة في القرآن:

«فصل: ومن الإيمان بالله وبكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأن الله تكلم به حقيقة.

وأن هذا القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره. ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل إذا قرأه الإنسان أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً

(١) شرح الطحاوي لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٧٥).

مؤدياً وهو كلام الله حروفه ومعانيه وليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف»[(١)].

إذاً فالقرآن كلام الله المنزل على رسوله ﷺ عن طريق جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ والمدون بالمصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس وقد تكفل الله بحفظه فلا تمتد له الأيدي بالتحريف أو التبديل لأن الله أراد له الخلود والبقاء باعتباره خاتم الكتب وآخرها الذي أنزل على آخر الرسل محمد ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وقد حفظ الله كتابه خلال القرون الماضية رغم عوادي المعتدين وكيد الكائدين وتآمر شياطين الإنس والجن على إطفاء نور الله ولكن ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

القرآن الكريم هو الكتاب الناسخ لجميع الكتب قبله قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

ولا يقبل الله ديناً سوى دين الإسلام ولا يسع أحداً أن يخرج على هذا الدين أو يؤمن بخلافه منذ بعثته ﷺ كما ثبت في صحيح مسلم وغيره: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

الأوصاف التي وصف بها كتاب الله تعالى:

وقد وصف الكتاب بأوصاف كثيرة منها:

١ ـ أنه معجز لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة

---

(١) انظر: الواسطية وشرحها لشيخنا محمد الصالح العثيمين رحمه الله (٢/ ٩٣ ـ ١٠٠).

(٢) رواه مسلم (١/ ٩٩)، السلسلة الصحيحة برقم (١٥٧).

واحدة قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

٢ ـ أنه حق محض ليس لباطل منه سبيل قال تعالى: ﴿... وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

٣ ـ أنه يشتمل على الآيات البينات والدلائل القاطعات على جميع قضايا العقيدة والعبادة والتشريع والأخلاق والسلوك والعلاقات ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩][1].



(١) عقيدة أهل السنة والجماعة لسعيد بن مسفر القحطاني (ص٢٨١ ـ ٢٨٢).

٢ ـ فتنة القول بخلق القرآن

القول بخلق القرآن من أعظم الفتن التي وقعت في تاريخ الأمة الإسلامية وكان أول من أظهره: الجعد بن درهم سنة ١٢٤هـ، وحمل لواء هذه البدعة بعد الجعد بن درهم الجهم بن صفوان سنة ١٢٨هـ.

وفي أوائل القرن الثالث أظهر بشر المريسي سنة ٢١٨هـ وأحمد بن دؤاد ٢٤٠هـ، وزينها ابن أبي دؤاد للخليفة المأمون حتى اعتنقها وحمل الناس عليها وأكرههم على اعتقادها وذلك عام ٢١٨هـ ثم هلك في هذه السنة.

ثم خلفه أخوه المعتصم بالله وورث الدعوة إلى هذه البدعة حتى مات سنة ٢٢٧هـ ثم ورثها أخوه الواثق حتى مات سنة ٢٣٢هـ.

ثم ولى الخلافة المتوكل فرفع الفتنة عام ٢٣٤هـ.

وقيل نصر الله الإسلام بأبي بكر يوم الردة وبأحمد بن حنبل يوم المحنة، وقد كان موقف الإمام أحمد بن حنبل موقفاً عظيماً في فتنة القول بخلق القرآن قمع الله به هذه الفتنة إذا صبر وصابر وتحمل الأذى ورفض هذا القول ورده على أصحابه فسجن وضرب وأوذي وخذله الكثير من العلماء والصالحين ولكنه ثبت وحيداً كالجبل الراسي فأحيا الله به السنة وأمات به البدعة وانقشعت الغمة عن المسلمين على أيدي المتوكل بالله العباسي، فرحمه الله ورحم إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل.



٣ ـ افتراق الناس عقيدةً في القرآن الكريم

عندما ظهرت فتنة القول بخلق القرآن التي تعني تعطيل الله ﷻ عن صفة الكلام وأنه لم يتكلم ﷻ لا بالقرآن ولا بغيره، وهذا مما لا شك فيه من أعظم الكفر وأشنعه. انقسم الناس في هذه الفتنة إلى ستة أقسام:

الأول: من قال بأن القرآن مخلوق وهم المعتزلة والجهمية.

الثاني: من قال بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وهم أهل السنة والجماعة وقد ذكرنا عقيدتهم في ذلك.

الثالث: الواقفة الذين قالوا لا نقول مخلوق ولا نقول غير مخلوق.

الرابع: اللفظية الذين قالوا القرآن كلام الله غير مخلوق ولكن ألفاظنا به مخلوقة.

الخامس: وهم الأشاعرة حيث قالوا بأن القرآن عبارة عن كلام الله وليس هو كلامه.

السادس: وهم الكلابية حيث قالوا إنه حكاية عن كلام الله[١].



(١) ولمعرفة هذه الفتنة وأقسام الناس فيها انظر في ذلك: منهاج السنة لشيخ الإسلام (١/ ٢١) (٢/ ٧٨)، والصواعق المرسلة (٢/ ٢٨٦)، وشرح الطحاوية (١/ ١٩٥ ـ ٢٠٤).

٤ ـ حكم من قال بخلق القرآن

وقد قرر علماء أهل السنة أن من قال بخلق القرآن فهو كافر فقد قال الإمام مالك بن أنس: «من قال به ـ أي: بخلق القرآن ـ فاقتلوه فهو كافر» وقد ذكرنا كلام الطحاوي في كفر من أنكر أن القرآن كلام الله.

وقال أيضاً الإمام مالك: «من قال القرآن مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه» وبهذا أيضاً قال عبد الرحمٰن بن مهدي ووكيع بن الجراح وغيرهم.

وقال عبد الله بن المبارك: «سمعت الناس منذ تسع وأربعين سنة يقولون: من قال القرآن مخلوق فامرأته طالق ثلاثاً البتة، فإن قلت ولم ذلك، قال لأن امرأته مسلمة ومسلمة لا تكون تحت كافر»

وقال أيضاً علماء أهل السنة فيمن قال بخلق القرآن بعد القول بكفره: «لا ينكحون ولا يصلى عليهم ولا تعاد مرضاهم ولا تشهد جنائزهم وأن موالاة الإسلام انقطعت بينهم وبين المسلمين ولا يصلى خلفهم»[١].



(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٣٤٥ ـ ٣٥١).

٥ ـ حكم أهل السنة في الواقفة
(القائلون: لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق)

قضى السلف الصالح على الواقفة بأن من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي ومن لم يحسن الكلام بل عُلم أنه كان جاهلاً بسيطاً فهنا تقام عليه الحجة بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن أنه كلام الله تعالى وإلا فهو شر من الجهمية[١].



(١) معارج القبول (١/ ٢٤٣).

٦ ـ حكم أهل السنة في اللفظية

أما اللفظية الذين يقولون بأن لفظي بالقرآن مخلوق فالمشهور عن السلف الصالح كأحمد بن حنبل وهارون الفروي وجماعة من أئمة الحديث أن اللفظية جهمية.

وقال أئمة أهل السنة بالتفصيل في الحكم على اللفظية فقالوا: إن اللفظ يطلق على معنيين:

أحدهما: الملفوظ به وهو القرآن وهو كلام الله ليس فعلاً للعبد ولا مقدوراً له.

الثاني: التلفظ وهو فعل العبد وكسبه وسعيه، فإذا أطلق لفظ الخلق على المعنى الثاني شمل الأول وهو قول الجهمية، وإذا عكس الأمر بأن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق شمل المعنى الثاني وهذا بدعة أخرى من بدع الاتحادية(١).



(١) المرجع السابق (١/ ٢٥٤).

٧ ـ أقوال الناس في صفة كلام الله

افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على المنفوس من المعاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره وهذا قول الصائبة والمتفلسفة.

ثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه فهو ليس له معنى يقوم بذاته سبحانه بل هو شيء من مخلوقاته كالسماء والأرض والناقة والبيت وما أشبه ذلك فليس معنى قائماً في نفسه، فكلام الله حروف خلقها الله ﷻ وسماها كلاماً له كما خلق الناقة وسماها ناقة الله وكما خلق البيت وسماه بيت لله.

ولهذا كان الكلام عندهم عبارة عن حروف وأصوات خلقها الله ﷻ ونسبها إليه تشريفاً وتعظيماً وهذا هو قول المعتزلة والجهمية.

ثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وهذا هو قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.

ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل وهذا قول طائفة من أهل الكلام.

وخامسها: أنه حروف وأصوات لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً وهذا هو قول الكرامية وغيرهم.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته وهذا يقول به صاحب (المعتبر في الحكمة) ويميل إليه الرازي.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات وهذا قول أبي المعالي وغيره.

وتاسعها: أنه لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع وأن كلام الله قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً وهذا المأثور عن أئمة أهل السنة.



٨ ـ نصوص أهل السنة
في إثبات صفة الكلام لله تعالى

جاءت نصوص الكتاب والسنة المستفيضة في إثبات الكلام لله تعالى على الوجه اللائق به وقد ذكرنا قول أهل السنة في إثبات هذه الصفة لله تعالى.

أما نصوص الكتاب فمنها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣] فأكده بالمصدر مبالغة في البيان والتوضيح.

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٤ ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥١، ٥٢].

والآيات في إثبات هذه الصفة كثيرة جداً. والقرآن من كلامه كما هو مذهب أهل السنة كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

أما أدلة السنة فهي أيضاً كثيرة منها:

ما جاء في صحيح البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان...**»[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٣٩)، ومسلم برقم (١٠١٦).

وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «**يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار**»(١).

وهذا فيه دليل لأهل السنة في إثبات أن الله تعالى يتكلم بصوت بخلاف من قال بأنه قائم بذاته لا ينفك عنه.

وصفة الكلام لله تعالى عند أهل السنة هي من الصفات الذاتية والفعلية فهو سبحانه يتكلم متى شاء إذا شاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ولا يجوز عند أهل السنة السؤال عن كيفية كلام الله كما لا يجوز تشبيه كلام الله بكلام خلقه وهكذا القول في بقية أسماء الله وصفاته.



(١) رواه البخاري برقم (٦٥٣٠)، ومسلم برقم (٢٢٢).

٩ ـ الرد على شبه المخالفين لأهل السنة من المعتزلة ومن وافقهم

ذكرنا فيما سبق قول المعتزلة ومن وافقهم في القرآن وقولهم بأنه مخلوق وقد استدل المبتدعة من المعتزلة وغيرهم بأدلة على ما زعموه من القول بخلق القرآن، ومن هذه الأدلة:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] والقرآن شيء فهو مخلوق كجميع الأشياء.

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] فقالوا: كل مجعول مخلوق لأن جعل بمعنى خلق.

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]. قالوا: إن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة فسمعه موسى منها.

ومن قولهم أيضاً أن الله أضاف الكلام إليه إضافة تشريف وقد ذكرنا قولهم في صفة الكلام.

فهذه هي جملة ما احتج به المعتزلة على القول بخلق القرآن.

الرد عليهم

أولاً: استدلالهم بآية سورة الرعد ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]:

نقول: بأن عموم (كل) في كل موضع بحسبه ويعرف ذلك بالقرائن كقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فمساكنهم شيء ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح

وذلك لأن المراد ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير.

وكذلك كقوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام.

أما معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: كل شيء مخلوق وكل موجود سوى الله فهو مخلوق فدخل في هذا العموم أفعال العباد ولم يدخل في العموم الخالق تعالى، وصفاته ليست غيره لأنه سبحانه هو الموصوف بصفات الكمال وصفاته ملازمة لذاته المقدسة.

ثانياً: الرد على الشبهة الثانية:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ٣] نقول: إن كلمة (جعل) قد تتعدى إلى مفعول واحد وهنا يكون معنى جعل خلق، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] أي: وخلق الظلمات والنور، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] أي: وخلقنا من الماء كل شيء حي.

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١] وخلقنا على الأرض جبالاً رواسي حتى لا تضطرب بهم الأرض، فالجبال خلقها الله تعالى لتثبت بها الأرض.

وقد تأتي (جعل) لتتعدى إلى مفعولين وهنا لا تكون بمعنى خلق كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١].

وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ [الإسراء: ٣٩] وكقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

وهكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] فليس معنى جعل هنا خلق كما زعم المعتزلة.

ثالثاً: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]:

وقولهم بأن الله تعالى خلق الكلام في الشجرة فسمعه موسى منها فهذا من أبطل الباطل لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾.

والنداء: هو الكلام من بعد فسمع موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ النداء من حافة الوادي ثم قال: ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ﴾ أي: أن النداء كان في البقعة المباركة من الشجرة كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت يكون (من البيت) لابتداء الغاية لأن البيت هو المتكلم ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وهل قال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ غير رب العالمين[1].

رابعاً: قول المعتزلة ومن وافقهم أن الله أضاف إليه الكلام إضافة تشريف، يقال لهم:

إن المضاف إلى الله تعالى معان وأعيان، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف وهي مخلوقة له كبيت الله وناقة الله بخلاف إضافة المعاني كعلم الله وقدرته وعزته وجلاله وكبريائه وكلامه وحياته وعلوه وقهره فإن هذا كله من صفاته لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقاً.

والوصف بالمتكلم من أوصاف الكمال وضده من أوصاف النقص ولهذا نفاه الله عن العجل في قصة موسى وقومه وأبان الله عن نقصه وعجزه وعدم ألوهيته وذلك لعدم كلامه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٨١ ـ ١٨٣).

[طه: ٨٩]. فعلم أن نفي رجع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

وغاية شبهة المعتزلة ومن وافقهم أنهم يقولون: يلزم من كلامه سبحانه التشبيه والتجسيم.

ويقال لهم: إذا قلنا أنه يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم فنحن نؤمن بشهادة الجوارح يوم القيامة وكلام الأيدي والأرجل لكن لا نعلم كيف تتكلم قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

وكذا تسبيح الشجر والعصى والطعام وسلام الحجر كل ذلك حاصل وليس لهذا فم يخرج منه الصوت، وقد جاءت النصوص أن الله يكلم أهل الجنة قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨] وقد ذكرنا جملة من الأدلة على إثبات كلام الله تعالى.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أننا إذا أنكرنا أن الله لم يتكلم فقد أبطلنا الشرع والقدر. أما الشرع فإن الرسالات إذا جاءت بالوحي والوحي كلام مبلغ إلى الرسل فإذا نفينا الكلام انتفى الوحي وإذا انتفى الوحي انتفى الشرع.

أما القدر فلأن الخلق يقع بأمره بقوله كن فيكون كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].



١٠ ـ إثبات النداء بصوت لله تعالى

قال تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ﴾ [الشعراء: ١٠، ١١] وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٦٢] وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥].

في هذه الآيات إثبات النداء لله تعالى، وقد أخبر الله تعالى في القرآن بندائه لعباده من أكثر من عشرة مواضع، والنداء لا يكون إلا بصوت باتفاق أهل اللغة وسائر الناس كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وقد استفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة أهل السنة أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينادي بصوت نادى موسى بصوت وينادي عباده يوم القيامة بصوت ويتكلم بصوت وقد ذكرنا أدلة على ذلك من السنة في إثبات صفة الكلام لله تعالى.

وهذه الآيات تدل على أن الله تعالى يوصف بالصفات الاختيارية الفعلية، فإنه سبحانه لما ذكر النداء فيها وَقَّته بظرف محدود فدل على أن النداء يقع في ذلك الحين دون غيره من الظروف وجعل الظرف للنداء لا يسمع النداء إلا فيه.

وهذا يدل لصحة مذهب أهل السنة من أن صفة الكلام صفة ذات وفعل. فالله جل وعلا لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء.

فالنداء حصل حين أكل آدم وحواء من الشجرة ولم يحصل لهما قبل ذلك ونداء موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حينما جاء لميقات ربه ولم يحصل قبل ذلك، وهكذا النداء في يوم القيامة في يوم معين.

المبحث الرابع

القضاء والقدر

أولاً: التعريف بهما في اللغة والاصطلاح.
ثانياً: الأدلة على الإيمان بالقضاء والقدر.
ثالثاً: حكم الإيمان به ومرتبته.
رابعاً: فوائد وثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.
خامساً: مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.
سادساً: مخالفو أهل السنة في القضاء والقدر.
سابعاً: الرد على الطوائف التي ضلت في مسألة القدر.
ثامناً: مسائل في القدر.

أولاً: التعريف بهما في اللغة والاصطلاح

القدر في اللغة يقال: قدر يقدر قدراً فهو قادر وقدير ومقتدر فهو بمعنى التقدير.

أما القضاء في اللغة فهو الحكم.

تعريفهما في الاصطلاح:

القدر في الاصطلاح هو «ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم ﷻ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ـ تعالى ـ وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها»[١].

وقال شيخنا في تعريفه: «القدر هو تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته»[٢].

القضاء في الاصطلاح:

قيل في تعريفه: «القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل»[٣] قال ابن حجر: «وقالوا: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل»[٤].

قلت: وبهذا التعريف يكون القضاء سابقاً للقدر عند هؤلاء العلماء

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/٣٤٨).
(٢) شرح الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢/١٨٨).
(٣) القضاء والقدر للشيخ عمر بن سليمان الأشقر ص٢٧.
(٤) فتح الباري (١١/٤٨٦).

ولذلك قالوا في تعريف القدر: «هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضى السابق»[١].

قال ابن حجر: القدر هو جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله.

العلاقة بينهما:

ذكرنا فيما سبق أن القضاء والقدر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر فهما إن اجتمعا افترقا وإن افترقا اجتمعا فإذا قيل: هذا قدر الله فهذا يشمل القضاء، وإذا قيل: هذا قضاء وقدر.

فالتقدير هو ما قدر الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه، أما القضاء فهو ما قضى الله ﷻ في خلقه من إيجاد وإعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقاً على القضاء[٢].



(١) القضاء والقدر للأشقر ص٢٧.

(٢) شرح الواسطية لشيخنا محمد الصالح العثيمين رحمه الله (٢/١٨٨).

ثانياً: الأدلة على الإيمان بالقضاء والقدر

١ ـ أدلة الكتاب:

نصوص الكتاب كثيرة جداً منها:

قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

٢ ـ أدلة السنة، من ذلك:

١ ـ حديث جبريل عليه السلام الطويل وفيه: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)].

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ولتنكح فإن لها ما قدر لها**»[(٢)].

٣ ـ وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «**لا يأتي ابن آدم النذر بالشيء لم يكن قد قدر الله له ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر له فيستخرج الله تعالى به من البخيل فيؤتى عليه ما لم يكن يؤت عليه من قبل**»[(٣)].

٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا**

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ٣٨).

(٢) رواه البخاري، فتح الباري (٨/ ١٥٣).

(٣) رواه البخاري، فتح الباري (١٠/ ٤٣٧)، ومسلم برقم (١٦٤٠).

وكذا ولكن قل: قد قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[١].

٥ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقول النبي ﷺ له: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[٢].

٦ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء**»[٣].

٣ ـ الإجماع:

أجمع المسلمون على الإيمان بالقدر خيره وشره من الله وممن نقل الإجماع على ذلك النووي رحمه الله حيث قال: «وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله تعالى»[٤].



---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٦٤).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٠٤٣).

(٣) رواه مسلم في القدر برقم (١٦)، وفتح الباري (١١/ ٤٨٩).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ١٥٥).

ثالثاً: حكم الإيمان به ومرتبته

الإيمان بالقدر واجب ومرتبته في الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة كما قال النبي ﷺ: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[١].



(١) سبق تخريجه ص١٤٥.

رابعاً: فوائد وثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ذات أثر عظيم في حياة المسلم يترتب عليها سعادته في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا لا يحزن على ما فاته ولا يفرح بما أدركه من حظوظ الدنيا وإنما تراه مجتهداً في تتبع محاب الله ومراضيه فهو حريص على الطاعة وبعيد كل البعد عن المعصية يدفع أقدار الشر بالخير وأقدار الجوع بالطعام وأقدار العطش بالشرب وأقدار المرض بالدواء وأقدار الفقر بالسعي في طلب الرزق يأخذ بالأسباب ولا يعتمد عليها بل يتوكل على ربه ﷻ ولذا لما بلغ الصحابة هذه المنزلة العالية ارتاحت نفوسهم واطمأنت خواطرهم وأثمرت حياتهم ثماراً يانعة، فانطلقوا في أرجاء الدنيا يبلغون شرع الله جل وعلا.

ولعل من أبرز ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر ما يأتي:

١ ـ الشعور بالارتياح والطمأنينة لأن المؤمن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه كل أقدار الله تجري بأمره وتدبيره وحكمته والمحروم من هذه العقيدة لا يصمد أمام الشدائد ولا يتحمل ظروف الحياة وشدة الابتلاء بل تطيش سهامه فيقع في المحاذير الشرعية.

٢ ـ السلامة من الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي تفتك بالمجتمعات كالحسد والضغينة والحقد لأن المؤمن يعلم أن هذا الرزق الذي حصل عليه فلان من الله ليس من أحد غيره فهنا تطمئن نفسه ويرتاح خاطره.

٣ ـ التوكل الصادق على الله بالاعتماد الجازم عليه وحده ﷻ لأن العبد يعلم أنه لا يصيبه إلا ما قدر الله وأن الناس لا يملكون لأنفسهم فضلاً عن غيرهم شيئاً.

٤ ـ التسليم للخالق العظيم وعدم الاعتراض على أحكامه بل يتقبل

المؤمن ذلك بصدر رحب وهنا يطمئن ويرتاح ويزول عنه القلق والاضطراب.

٥ ـ علو الهمة وعدم اليأس والقنوط بل يدفعه الإيمان بالقدر لمضاعفة الجهود واستنفاد الطاقة لتحصيل أموره الخاصة والأمور العامة للمسلمين.

٦ ـ معرفة الإنسان قدر نفسه فلا تفخر إذا عمل الخير لأن كل شيء بقضاء الله وقدره.

٧ ـ تهون المصائب على العبد فمتى جزم أنها من عند الله هانت عليه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]. قال علقمة رحمه الله: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم»[1].

إلى غير ذلك من الحكم العظيمة التي تدفع العبد لمزيد من الإيمان والتصديق والصبر.



(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٧٥).

خامساً: مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر

إن مما يجب التنبيه عليه أن أهل السنة والجماعة هم أسعد الناس أخذاً بنصوص الكتاب والسنة بخلاف غيرهم ممن ضل في الأخذ بهما ولذلك كان ولا بد من بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة القضاء والقدر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر:

«مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهو أن الله خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد وغير أفعال العباد.

وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته، وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا هو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقد دخل في ذلك أفعال العباد، وغيرها، وقد قدّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك.

وكتب ما يصيرون إليه من سعادة، وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون» إلى أن قال رحمه الله:

«وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضاً على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون على أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده»(١).

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ـ مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء ـ أن العباد لهم مشيئته وقدره ويفعلون بمشيئتهم، وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه ـ مع قولهم، أن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝٥٦﴾ [المدثر: ٥٤ ـ ٥٦](٢).



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠).
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٩).

سادساً: مخالفو أهل السنة في القضاء والقدر

خالف أهل السنة والجماعة في عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر فرقتان وهما الجبرية والقدرية.

أولاً: الجبرية[١]:

وهم قد غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته وأنكروا أن يكون للعبد فعل بل قالوا: إن العباد ليسوا بحاجة إلى العمل ولا إلى الأخذ بالأسباب لأن العباد مجبورون على أفعالهم وأن الإنسان لا قدرة له بل هو كالريشة في مهب الريح.

وترتب على هذه العقيدة الفاسدة تعطيل قدرة الإنسان واستسلامه لشهواته وغرائزه ووقوعه في الذنوب والمعاصي وكذا ترك الأعمال الصالحة وعدم الدعاء وفعل الأسباب المنجية من عذاب الله فالذي قدره الله كائن لا ينفع معه شيء عند هؤلاء، ولذلك تراهم عطلوا الحدود وأقروا الظلم ووقعوا في كثير من المصائب التي دمرت مجتمعاتهم وفتكت بهم.

كما أن هذه الطائفة ظنت بربها أسوأ الظنون ونسبته إلى أقبح الظلم وأنه يعاقب على الفعل وهو الذي أمر به وجر العبد إليه فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ثانياً: القدرية:

وهم نفاة القدر الذين يزعمون أن الله تعالى لا يعلم الأشياء قبل وقوعها

---

(١) الجبر لغة الإلزام، والجبرية من فرق الضلال كما سنذكره وهم من أتباع الجهم بن صفوان سموا بهذا الاسم لأنهم قالوا نحن مجبورون على أفعالنا.

بل لا يعلمها إلا بعد وقوعها. وإذا أمر الله العباد ونهاهم فهو لا يعلم من يطيعه منهم ومن يعصيه فإذا أطاعوه أو عصوه علم بعد ذلك السعداء منهم والأشقياء.

ويقولون أيضاً أن العبد مستقل بالإرادة والقدرة وليس لمشيئة الله وقدرته في ذلك أثر، وأفعال العباد عندهم ليست مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها بل وذنوب العباد عندهم ليست واقعة بمشيئة الله.

وقد نشأ هذا القول في أواخر عهد الصحابة وأول من قال به معبد الجهني ونقله عنه رؤوس الاعتزال كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وقد عرفوا بعد ذلك بالقدرية وهم المعتزلة[1].



(١) انظر في التعريف بهم: مقالات أبي الحسن الأشعري (٢/ ٢٢١) وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٢٩٩) والمعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها للدكتور عواد المعتق (ص١٥١ ـ ١٥٩).

سابعاً: الرد على الطوائف التي ضلت في مسألة القدر

لا شك أن دلالة الكتاب والسنة والفعل الصحيح والفطرة المستقيمة كلها حجج وبراهين على بطلان ما تعتقده الجبرية والقدرية، ولهذا تصدى أهل السنة والجماعة لما منحهم الله من قوة لفهم كتابه وسنة رسوله تصدوا لمزاعم من ضلوا في القدر وردوا على مذهبهم وبينوا أن الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وبهذا ردوا على الجبرية، ومن أدلة القرآن على إثبات المشيئة للعبد ما يأتي:

١ ـ دلالة القرآن في الرد على الجبرية:

قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وجه الدلالة من الآيتين: أن الله أثبت للعباد مشيئة في أفعالهم وعلاقاتهم مع زوجاتهم وهذا ظاهر واضح.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

فأثبت الله تعالى للعباد مشيئة ولكن هذه المشيئة تابعة لمشيئة الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ومن أدلة القرآن أيضاً قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الزمر: ٤١].

وقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩].

وقال أيضاً ﷻ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨].

فهذه الآيات وغيرها صريحة في الرد على الجبرية وذلك بإثبات أن العبد ليس بمجبور فالعبد يفعل الطاعات والمعاصي بقصده واختياره ولا يخرج عن قضاء الله وقدره.

٢ ـ دلالة السنة في الرد على الجبرية:

عن جابر ﷺ قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن: فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ قال: ففيم العمل؟ «**قال: اعملوا فكل ميسر**»(١).

وفي رواية: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»(٢).

والأحاديث التي جاءت في إبطال قول الجبرية كثيرة وشهيرة فقد جلد رسول الله ﷺ في الخمر وقطع يد السارق ورجم في الزنا فلو كان هؤلاء مجبورين على معاصيهم لما أقيمت فيهم الحدود ولكن الجبرية كذبوا على الله وزوروا الباطل فالله أعظم وأجل من أن يجبر أحداً على ذنب ثم يعذبه عليه فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٣ ـ دلالة العقل في الرد على الجبرية:

من المعلوم أن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة يفعل بهما ما يريد

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٨).

(٢) رواه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

ويترك ما يريد وأنه يفرق بين ما وقع بإرادته ويتحمل كامل مسؤوليته وبين ما وقع بغير اختياره مثل الأكل ناسياً في نهار رمضان فهذا لا يفسد الصوم لكن لو تعمد فأكل فهذا تناول مفطراً باختياره فيفسد صومه.

وهذه المشيئة للعبد داخلة ضمن مشيئة الله وقدرته كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ﴾ [التكوير: ٢٩]. فالآية أثبتت مشيئة داخلة تحت مشيئة الرب ﷻ.

٤ ـ الردود على القدرية:

رد أهل السنة والجماعة على القدرية بالآيات والأحاديث التي جاءت في إثبات الإيمان بالقضاء والقدر التي مر ذكرها ومن هنا أنكروا عليهم إنكاراً شديداً حتى إن الصحابة نهوا الناس عن الاستماع لهذه الفئة استجابة لخبر النبي ﷺ الدال على وجوده الذي رواه ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم»**[(١)].

وقد نص بعض الأئمة على كفر هذه الطائفة وممن نص على كفرهم الإمام مالك والشافعي وأحمد.

٥ ـ شبهة القدرية:

ذهبت القدرية إلى ما ذهبوا إليه بقصد تنزيه الله ﷻ فزعموا أن الله تعالى شاء الإيمان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر وحجتهم أن ذلك يؤدي للظلم إذ كيف يشاء الله الكفر من الكافر ثم يعذبه عليه وهؤلاء كما يقول الطحاوي كالمستجير من الرمضاء بالنار لأنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شر منه ويلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله وهذا من أقبح الاعتقاد.



(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٠٣٩).

ثامناً: مسائل في القدر

المسألة الأولى

لا يلزم من الإيمان بالقدر أن يكون في فعل الله شر

لا يلزم من الإيمان بالقدر خيره وشره أن يكون في فعله ﷻ شر محض ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: «**والخير بيديك والشر ليس إليك**» فإنه لا يخلق شراً محضاً بل كل ما يخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خير ولكن قد يكون فيه شر جزئي إضافي فأما شر كلي أو شر مطلق فالرب منزه عنه.

وهذا هو الشر الذي ليس إليه، وأما الشر الجزئي الإضافي فهو خير باعتبار حكمته، ولهذا لا يضاف إليه الشر مفرداً قط بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢].

وإما أن يضاف إلى السبب كقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ٢] وإما أن يحذف فاعله كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ۝١٠﴾ [الجن: ١٠].

وخلاصة الأمر في هذه المسألة أن يقال:

الشر في القدر ليس باعتبار تقدير الله له لكن باعتبار المقدور له، فتقدير الله ليس بشر بل هو خير حتى وإن كان لا يلائم الإنسان ويؤذيه ويضره لكن باعتبار المقدور، فالمقدور إما أن يكون خيراً أو يكون شراً، فالقدر خيره وشره يراد به المقدور خيره وشره.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٤١﴾ [الروم: ٤١].

ففي الآية يبين ﷻ ما حدث من الفساد وسببه والغاية منه، فالفساد شر وسببه هو عمل الإنسان والغاية حصول الرجوع والإنابة والإخبات لله تعالى.

فالفساد لا يحبه الله تعالى ولا يحب أهله كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤] لكن قدر الله تعالى ظهوره في البر والبحر لحكمة فهو نفسه شر لكن لحكمة عظيمة بها يكون تقديره خيراً وهكذا سائر المعاصي هي من تقدير الله لحكمة عظيمة.

المسألة الثانية

يحب ما لا يريد ويريد ما لا يحبه

يحب ﷻ ما لا يريده ويريد ما لا يحبه وذلك أن المراد قد يراد لغيره فيريد الأشياء المكروهة لما في عاقبتها من الأشياء المحبوبة ويكره فعل بعض ما يحبه لأنه يفضي إلى ما يغضبه.

وهو ﷻ يحب المتقين والمحسنين والتوابين وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يأمر بالفحشاء وهذا أمر معروف متقرر عند أهل الفطر السليمة والعقول الصحيحة.

مثال ذلك: خلق إبليس يؤدي إلى محاب كثيرة فالعبد الذي يغويه إبليس فيقع في المعصية ثم يستغفر الله ثم يتوب إليه ويتضرع بين يديه ليغفر له زلته ويقبل منه توبته فهذا أمر محبوب لله تعالى.

المسألة الثالثة

العباد فاعلون حقيقة

العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة لا مجازاً وهذا قول السلف والأئمة من بعدهم وهو الحق الذي دل عليه المنقول والمعقول كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الله تعالى وصف العبد بأنه يعمل ويفعل وقد جاءت النصوص بإثبات فعل العبد فآيات القرآن كثيرة ما يرد فيها ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَفْعَلُونَ﴾ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يَكْفُرُونَ﴾ ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿يُحَافِظُونَ﴾ ﴿يَتَّقُونَ﴾ وهذا كله دليل

على ثبوت الفعل من العبد على وجه الحقيقة. وخالف أهل السنة في هذه المسألة القدرية من المعتزلة والجبرية من الجهمية.

فقالت القدرية: إن العباد فاعلون حقيقة والله لم يخلق أفعالهم. وقالت الجبرية: إن الله خالق أفعالهم وليسوا فاعلين حقيقة لكن أضيف الفعل إليهم من باب المجاز وإلا فالفاعل الحقيقي هو الله.

ولا شك أن هذا القول باطل كما ذكرناه آنفاً يؤدي إلى وحدة الوجود وأن الخلق هو الله ثم يؤدي إلى قول من أبطل الباطل لأن العباد منهم الزاني ومنهم السارق ومنهم شارب الخمر وغيره فحاشا أن تكون هذه الأفعال منسوبة إلى الله(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «ولم يكن من السلف والأئمة يقول: إن العبد ليس بفاعل ولا مختار ولا مريد ولا قادر ولا قال أحد منهم: إنه فاعل مجازاً بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله»(٢).

المسألة الرابعة

العباد لهم مشيئة

مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠].

وهذا صريح قول أهل السنة في إثبات مشيئة العبد فإنها لا تكون إلا بمشيئة الرب ﷻ. قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾ [التكوير: ٢٨] وهذا فيه الرد على الجبرية الذين لم يثبتوا للعباد المشيئة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٩] ففيها الرد على القدرية الذين لم

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٤١).

(٢) فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٤٠٩ ـ ٤٦٠).

يثبتوا لله مشيئة وجعلوا العباد هم الفاعلون لأفعالهم دون تدخل لمشيئة الله تعالى في ذلك.

المسألة الخامسة

العباد مخلوقون هم وأفعالهم

ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد، فالعبد مخلوق والله خالق ذاته وصفاته وأفعاله، وقد دل القرآن على ذكر أفعال العباد التي بقلوبهم وجوارحهم وأنه ﷻ يحدث من ذلك ما يشاء قال تعالى في إثبات خلق العبد وخلق عمله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

فهو سبحانه خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وساكن وسكونه، وما من ذرة في السماوات ولا في الأرض إلا والله ﷻ خالقها وخالق حركتها وسكونها، ومن يضلل الله فلا هادي له ومن يهدي الله فهو المهتدي قال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠].

المسألة السادسة

الإيمان بالقدر خيره وشره لا يتضمن الإيمان بكل مقدور، بل المقدور منه ما هو مقدور كوني ومنه ما هو مقدور شرعي

فالمقدور الكوني: هو أن يقدر الرب ﷻ على العبد شيئاً يكرهه كأن يمرضه مثلاً أو يصاب في أهله وولده ونفسه فهذا مقدور كوني لا بد أن يقع رضي العبد أم لم يرضى.

والمقدور الشرعي: هو ما قد يفعله الإنسان وقد لا يفعله كأن يفعل طاعة مأمور بها شرعاً أو يقع في معصية منهي عنها شرعاً فهذا باعتبار الرضى فيه تفصيل:

إن كان ما فعله الإنسان طاعة لله فهنا يجب الرضى به وإن كان معصية وجب سخطه وكراهته والقضاء عليه.

فإذا وقع الإنسان في معصية الكفر فلا نرضى بالكفر منه لكن نرضى بكون الله أوقعه.

المسألة السابعة

هل الإنسان مسيّر أم مخيّر؟

يلاحظ أن بعض الناس يجيب بأنه مسير وهذا خطأ والبعض يجيب بأنه مخير وهذا خطأ بل الأمر يحتاج إلى تفصيل.

فالعبد مخير باعتبار أن له مشيئة يختار بها وله قدرة يفعل بها والقرآن مليء بالشواهد على ذلك ومنها: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠].

والعبد مسير باعتبار أنه في جميع أفعاله وتصرفاته وحركاته وسكناته داخل في القدر لا يخرج عما قدره الله عليه كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨].

وقد جمع الله بين هذين الأمرين كونه مسيراً وكونه مخيراً في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

المسألة الثامنة

مراتب القدر

للقدر مراتب أربع ويسميها بعضهم بأركان القدر وهي المدخل لفهم مسائل القدر المتشابكة وبعضها مرتبط ببعض لذا لا يتم إيمان المرء إلا إذا حققها كلها واكتمل إيمانه بها وعلى قدر الإخلال بها بقدر ما يختل الإيمان وهي: «العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق والإيجاد» وإيضاحها كالتالي:

المرتبة الأولى: العلم:

لا بد من الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً فكل ما يتعلق بأفعاله وبأفعال عباده صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها قديمها وحادثها فعلمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو سبحانه يعلم الموجود والمعدوم والممكن والمستحيل، علم أحوال الخلق وحركاتهم وسكناتهم وأهل الجنة منهم وأهل النار.

ولم يخالف في هذه المرتبة إلا مجوس هذه الأمة وهم القدرية[1].

من أدلة هذه المرتبة:

أولاً: دلالة القرآن:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وقوله ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

ثانياً: أما دلالة السنة فمنها:

ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي ﷺ عن أبناء المشركين فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[2].

وفي صحيح مسلم عن عليّ رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: «**ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها**

---

(١) انظر: تفصيل مراتب الإيمان بالقدر في شفاء العليل (ص٦١)، ومعارج القبول للحكمي (٢/٣٢٨).

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٨٤)، ومسلم برقم (٢٦٥٩).

من الجنة والنار»، قالوا: يا رسول الله فلم نعمل، أفلا نتكل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠][(١)].

المرتبة الثانية: الكتابة:

ولا بد من الإيمان بأن الله ـ جل وعلا ـ كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ.

وهذه المرتبة أيضاً محل إجماع بين سلف الأمة من لدن الصحابة فمن بعدهم. فكل كائن إلى يوم القيامة فهو عندهم مكتوب في اللوح المحفوظ.

ومن الأدلة على هذه المرتبة:

أولاً: دلالة القرآن:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢] وقوله ﷻ في محاجة موسى عليه السلام لفرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥١، ٥٢].

ثانياً: دلالة السنة على هذه المرتبة:

ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وكان عرشه على الماء**»[(٢)].

وفي الصحيحين من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «**ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في القدر (٨/ ٤٧) برقم (٢٦٤٧).

(٢) سبق تخريجه ص٢٩٥.

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير (٦/ ٨٤)، ومسلم في القدر (٨/ ٤٦ ـ ٤٧).

المرتبة الثالثة: المشيئة:

ولا بد من الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وإحاطته بكل شيء فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فليس شيء في الوجود إلا بمشيئته فلا هداية ولا إضلال ولا حركة ولا سكون إلا بمشيئته.

وهذه المرتبة محل إجماع وقد تواطأ عليها رسل الله وكتبه المنزلة ودلت عليها الفطرة واقتضاها العقل السليم.

أولاً: دلالة القرآن على مرتبة المشيئة:

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

ثانياً: دلالة السنة على هذه المرتبة:

قوله ﷺ: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»[1].

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد:

ولا بد من الإيمان في هذه المرتبة بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها فكل ما سوى الله مخلوق.

وهذه المرتبة محل إجماع السلف ومن بعدهم، وقد أجمع عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام ودلت عليها الكتب المنزلة والعقول السليمة.

أولاً: دلالة القرآن على هذه المرتبة:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

---

(١) صحيح مسلم (٨/ ٥١).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر: ٣].

ثانياً: دلالة السنة على هذه المرتبة:

ما رواه البخاري في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»[1].

المسألة التاسعة

في أقسام التقدير

للتقدير أربعة أقسام، منها:

١ ـ التقدير العام:

وهو تقدير الخالق ﷻ لجميع الكائنات علماً وكتابة ومشيئة وخلقاً ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢] وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. قال: رب ماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[2].

٢ ـ التقدير العمري:

وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى الموت ويدل على ذلك

---

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (٢٥).

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٧٠٠) في السنة باب في القدر.

حديث إرسال الملك إلى الجنين فيكتب إذ ذاك ذكوريتها وأنوثيتها والأجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق وجميع ما هو لاق فلا يزاد فيه ولا ينقص منه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه ملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد**»(١) الحديث.

٣ ـ التقدير السنوي:

وذلك على الصحيح في ليلة القدر من كل سنة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ [الدخان: ١ ـ ٥].

قال مجاهد: «ليلة القدر ليلة الحكم».

وقال سعيد بن جبير: «يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم».

وقال الحسن البصري: «والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان وإنها لليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضي الله عز وجل كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

وقال ابن عباس: «يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال: يحج فلان ويحج فلان»(١).

٤ ـ التقدير اليومي:

والمراد به سَوْق المقادير إلى المواقيت التي قدر الله فيما سبق فيعز ويخفض ويرفع ويعطي ويمنع ويحيي ويميت ويضحك ويبكي كل ذلك بأمره وحكمته قال الله تعالى: ﴿يَسْئَلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٩] جاء في تفسير هذه الآية عند ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن منيب بن عبد الله قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ فقلنا: يا رسول الله ما ذاك الشأن؟ قال: «**أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع الآخرين**»(٢). وهكذا فسرها السلف رضوان الله عليهم.

قال البغوي في تفسيرها: «من شأنه أن يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويعز قوماً ويذل قوماً ويشفي مريضاً ويفك عانياً ويفرج مكروباً ويجيب داعياً ويعطي سائلاً ويغفر ذنباً إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء»(٣).

المسألة العاشرة

الاستطاعة التي يجب بها فعله

يرى عامة أهل السنة والجماعة أن الاستطاعة بالنسبة للمخلوق على قسمين:

الاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يوصف المخلوق به، هذه تكون مع الفعل.

وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكين وسلامة الآلات فهي

(١) معارج القبول (٢/ ٢٩٣).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢١٣ ـ ٧٤).
(٣) انظر: تفاصيل هذه التقادير في معارج القبول (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٤٨).

مثل الفعل وبها يتعلق الخطاب كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وهذا القول وسط بين قول القدرية الذين يقولون: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل، وبين قول البعض: لا تكون مع الفعل.

ومن أدلة الاستطاعة قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. فأوجب الحج على المستطيع وهذا هو القدرة على الأسباب أما لو كان المقصود من حجّ لأصبح المعنى لا يجب الحج إلا على من حج.

وأما دليل ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة فقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠] والمراد هنا نفي حقيقة القدرة لا نفي الأسباب والآلات لأنها كانت ثابتة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] أي: حقيقة قدرة الصبر لا أسباب الصبر وآلاته لأن هذه ثابتة له بدليل أنه عاتبه على ذلك لأنه يملك الآلات والأسباب ولو لم يكن يملكها لما عاتبه إذ لا يلام من لا يملكها.

المسألة الحادية عشرة

أفعال العباد خلق الله وكسب العباد

اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية فقالت الجبرية ـ وإمامهم الجهم بن صفوان ـ: إن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى وهي كلها اضطرارية لا اختيار للعباد فيها بل هي كحركة الأشجار وأما إضافتها إلى العباد فذلك على سبيل المجاز.

وقالت المعتزلة: جميع أفعال العباد من خلقهم ولا قدرة لله عليها.

وتوسط أهل السنة والجماعة فقالوا: أفعال الخلق مخلوقة لله لكنهم فاعلون لها وبها صاروا مطيعين وعصاة.

وكل دليل صحيح يقيمه الجبري فهو دليل لأهل السنة، وكل دليل صحيح يقيمه المعتزلي القدري فهو لأهل السنة فكل طائفة منهما معها حق فإذا

ضم بعضه إلى بعض فهو مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب، قال شارح الطحاوية: «فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر الكتب المنزلة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يتوجبون عليها المدح والذم»[١].

المسألة الثانية عشرة

الأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر

إن مما يجب التنبه عليه أن فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل إن الأخذ بهذه الأسباب من تمام الإيمان بالقضاء والقدر، ولهذا يجب على العبد مع الإيمان بالقدر الاجتهاد في العمل والأخذ بأسباب النجاة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وإذا ترك العبد ما أمر به متكلاً على الكتاب كان ذلك من المكتوب المقدور الذي يصير به شقياً، وكان قوله ذلك بمنزلة من يقول: أنا لا آكل ولا أشرب فإن كان الله قضى بالشبع والري حصل وإلا لم يحصل أو يقول: لا أجامع امرأتي فإن كان الله قضى لي بولد فإنه يكون.

وكذلك من غلط وترك الدعاء أو ترك الاستعانة والتوكل طالما أن ذلك من مقامات الخاصة ناظراً إلى القدر فكل هؤلاء جاهلون، ويشهد لهذا ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[٢].

فأمره بالحرص على ما ينفعه والاستعانة بالله ونهاه عن العجز الذي هو الاتكال على القدر، ثم أمره إذا أصابه شيء أن لا ييأس على ما فاته بل ينظر إلى القدر ويسلم الأمر إلى الله، فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك كما قال بعض

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٤٠).

(٢) رواه مسلم في القدر (٨/ ٥٦).

العقلاء: الأمور أمران: أمر فيه حيلة وأمر لا حيلة فيه، فما فيه حيلة لا يعجز عنه، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه»[١].

المسألة الثالثة عشرة

أنفع الدعاء دعاء الفاتحة

ينبغي للعبد أن يستعيذ من شر نفسه ومن سيئات عمله ويسأل ربه أن يعينه على طاعته فبذلك يحصل له كل خير ويندفع عنه كل شر.

ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته فلم يصبه شر في الدنيا ولا في الآخرة.

وهو محتاج إلى الهدى كل لحظة وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الطعام والشراب[٢].

المسألة الرابعة عشرة

هل يحتج بالقدر على فعل المعصية أو ترك واجب

بعض الناس إذا وقع في الذنب أو ترك واجباً من الواجبات الشرعية احتج بالقدر عند الإنكار عليه وقال: هذا ما قدر الله عليّ أتعترض على الله؟ ثم هو يحتج بما احتج به آدم عليه السلام على موسى عليه السلام.

فهل يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية وترك الواجب؟ نقول: أما القدرية فلم يحتجوا بهذا الحديث الذي احتج به من وقع في الذنب أو ترك الواجب لأنه من قبيل أحاديث الآحاد وهي لا توجب اليقين عندهم ولذلك لم يقبلوا هذا الحديث لأنه عارض العقل عندهم.

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٥١٩).

وأما الجبرية فهذا الحديث عمدة عندهم في الاحتجاج به ولذا عندهم لا يلام العبد على ما قدر عليه وقد ذكر عقيدتهم في الإيمان بالقدر.

أما أهل السنة والجماعة فقالوا: إن الإيمان بالقدر ليس معناه أن يحتج العاصي بفعل المعصية أو ترك واجب، فلو كان الاحتجاج بالقدر سائغاً عند الوقوع في المعصية لما كان هناك حاجة لإرسال الرسل وإنزال الكتب.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر.

ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدى عليه واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول»[١].

ومن الأدلة على بطلان القول بالاحتجاج بالقدر عند الوقوع في المعصية ما يأتي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وجه الدلالة من الآية: أن هؤلاء المشركين احتجوا بالقدر على معصية الشرك فوصفهم الله تعالى بالكذب وأذاقهم الله بأسه فلو كان الاحتجاج بالقدر حجة لهم ما ذاقوا بأس الله تعالى.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]. وجه الدلالة: أنه لو كان القدر حجة ما بطلت بإرسال الرسل بل هو باق.

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٧٩).

٣ ـ أما ما يحتج به من حديث احتجاج آدم وموسى على فعل المعصية فنقول أن أهل السنة أسعد الناس أخذاً به فهم ليسوا كالجبرية عند الأخذ به وليسوا كالقدرية في رده وعدم قبوله فقد قال أهل السنة في الأخذ به:

إن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فعل الذنب وصار ذنبه سبباً لخروجه من الجنة لكنه تاب من الذنب وبعد توبته اجتباه ربه ﷻ وتاب عليه وهداه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. ومن المحال أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو أحد أولي العزم من الرسل أن يلوم أباه على شيء تاب منه وإنما اللوم على المصيبة التي حصلت بفعله وهي إخراج الناس من الجنة فإن سبب هذا الإخراج هو معصية آدم.

على أن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا شك لم يفعل هذا ليخرج من الجنة حتى يلام فكيف يلومه موسى.

وهذا وجه ظاهر في أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يرد لوم آدم على فعل المعصية التي هي من قدر الله وحينئذ يتبين أنه لا حجة بهذا الحديث للجبرية(١).

المسألة الخامسة عشرة

الجمع بين قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] وقوله تعالى: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله. أما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أي: ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

(١) شرح الواسطية لشيخنا محمد الصالح العثيمين (٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

المسألة السادسة عشرة

كيف يوجه الخطاب للجماد

«أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب! قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»(١).

استشكل بعض الناس فقال: كيف يوجه الخطاب إلى الجماد؟

والجواب على ذلك: أن الجماد بالنسبة إلى الله عاقل يصح أن يوجه إليه الخطاب والأدلة من كتاب الله كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١].

فوجه الله تعالى إليها الخطاب وذكر جوابها وكان الجواب بجمع العقلاء طائعين دون طائعات.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩] فكانت كذلك. وقال أيضاً: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠] فكانت الجبال تؤوب معه(٢).

المسألة السابعة عشرة

القدر يتضمن أصولاً عظيمةً

القدر الذي هو التقدير المطابق للعلم يتضمن أصولاً عظيمةً ومنها:

١ ـ أنه ﷻ عالم بالأمور المقدرة قبل كونها وهذا دليل على ثبوت علمه القديم وفي ذلك الرد على من ينكر ذلك.

٢ ـ أن التقدير يتضمن مقادير المخلوق وهي صفاتها المعينة المختصة بها قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وهذا يتضمن تقدير الشيء في نفسه وتقديره قبل وجوده وهذا فيه دلالة على علمه بالكليات والجزئيات.

---

(١) سبق تخريجه ص٣١٤.

(٢) شرح الواسطية (٢/١٩٨ ـ ١٩٩).

٣ ـ أنه يتضمن أنه أخبر ذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخباراً مفصلاً وهذا يقتضي أنه يمكن أن يعلم بها العباد قبل وجودها وهذا يدل بطريق الأولى على علم الخالق بها فإذا كان يُعلم عباده بذلك فعلمه من باب أولى.

٤ ـ أنه يتضمن أنه مختار لما يفعله محدث له بمشيئته وإرادته ليس لازماً لذاته.

٥ ـ أنه يدل على حدوث هذا المقدور وأنه كان بعد أن لم يكن فإنه يقدره ثم يخلقه.

المسألة الثامنة عشرة

معنى المحو والإثبات وزيادة الأجل ونقصانه

يشكل على بعض الناس مواضع من كتاب الله وأحاديث الرسول ﷺ فيقول بعضهم: إذا كان الله تعالى علم ما هو كائن وكتب ذلك كله عند في كتاب فما معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] وإذا كانت الأرزاق والأعمال والآجال مكتوبة لا تزيد ولا تنقص فما توجيهكم لقوله ﷺ: «**من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[١].

وما قولكم في الحديث الذي فيه أن الله جعل عمر داود عليه الصلاة والسلام مائة سنة بعد أن كان أربعين سنة؟

الجواب: يجاب عن هذه الإشكالات بما يأتي:

الأرزاق والأعمال نوعان:

نوع جرى به القدر وكتب في أم الكتاب فهذا لا يتغير ولا يتبدل.

ونوع أعلم الله به ملائكته فهذا هو الذي يزيد وينقص ولذا قال الله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩] وأم الكتاب هي اللوح المحفوظ الذي قدر الله فيه الأمور على ما هي عليه.

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨/٢)، ومسلم (١٩٨٢/٤).

ففي كتب الملائكة يزيد الأمور وينقص وكذلك الرزق بحسب الأسباب فإن الملائكة يكتبون له رزقاً وأجلاً فإذا وصل رحمه زيد له في الرزق والأجل وإلا فهو ينقص له منهما[١].

والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله وأجل مقيد فإن الله يأمر الملك أن يكتب لعبده أجلاً فإذا وصل رحمه يأمره أن يزيد في أجله ورزقه والملك لا يعلم أيزيد له في ذلك أم لا، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء الأجل لم يتقدم ولم يتأخر[٢].



(١) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٥٤٠).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٥٤٠).

المبحث الخامس

الإيمان بالرسل

- تعريف النبيّ والرسول.
- الإيمان بالأنبياء والرسل من أصول الإيمان.
- الأنبياء والرسل جم غفير.
- الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن.
- أشخاص صالحون مشكوك في نبوتهم.
- الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.
- لا تثبت النبوة لأحد إلا بدليل.
- حاجة البشرية إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام.
- وظائف الرسل.
- صفات الرسل.
- أمور تفرد بها الأنبياء دون البشر.
- دلائل النبوة.
- أمثلة لآيات الرسل عليهم الصلاة والسلام.
- دعوة الرسل.
- تفاضل الأنبياء.

تعريف النبيّ والرسول

النبيّ في اللغة: مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢﴾ [النبأ: ١، ٢].

والنبيّ مخبر من الله ومخبر عن الله، قال تعالى: ﴿نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣] وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ [الحجر: ٤٩].

وقيل: النبوة مشتقة من النَّبوة وهي ما ارتفع من الأرض.

والأنبياء أشرف الخلق وهم الأعلام التي تهتدي بها الخلق فتصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة.

الرسول في اللغة: مأخوذ من الإرسال وهو التوجيه، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۝٣٥﴾ [النمل: ٣٥].

والرسل موجهون من الله مكلفون بحمل رسالة ربهم إلى الناس بتبليغها ومتابعتها.

الفرق بين النبيّ والرسول:

قيل: لا فرق بينهما فكل منهما يدل على الآخر وهذا غير مسلم والصواب أن بينهما فرقاً بدليل أن الله عطف النبي على الرسول في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢].

وقد وصف الله بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة قال تعالى عن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١﴾ [مريم: ٥١].

والمتعارف عليه عند كثير من أهل العلم أن الرسول أعم من النبي، فالرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

قال شارح الطحاوية: «وقد ذكروا فرقاً بين النبي والرسول وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبيّ رسول وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبيّ وليس برسول فالرسول أخص من النبيّ فكل رسول نبيّ وليس كل نبيّ رسولاً»(١).

لكن الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الأمر ليس كما قال شارح الطحاوية لما ذكرته من آية الحج وهذا هو اختيار شيخ الإسلام رحمه الله والشنقيطي وغيرهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

«والنبيّ هو الذي ينبؤه الله وهو ينبئ بما أنبأه الله به فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبيّ وليس برسول..» إلى أن قال رحمه الله:

«فقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قال: دليل على أن النبيّ رسول ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه الحق»(٢).

قال الشنقيطي رحمه الله:

«النبيّ الذي هو الرسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة»(٣).

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ١٥٥).
(٢) النبوات لابن تيمية ص٢٥٥.
(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٥/ ٧٣٥).

الإيمان بالأنبياء والرسل من أصول الإيمان

الإيمان بالأنبياء والرسل أحد أركان الإسلام الستة التي لا يتم إيمان المرء إلا بها قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف: ٨٤].

ومن لم يؤمن بهم فقد ضل وخسر قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].



الأنبياء والرسل جم غفير

اقتضت حكمة الله ألا يعذب أحداً حتى يرسل له رسولاً، وقد كانت الأنبياء والرسل ترسل بأعداد كبيرة في الأمم السابقة ولم يرسل الله للبشرية كلها رسولاً عاماً إلا محمداً ﷺ بخلاف غيره من الرسل فقد كانوا يرسلون إلى أممهم خاصة.

ولذلك قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال ﷺ: «**كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»(١).

وجميع الأمم أرسل الله إليها رسلاً ينذرونهم ويبشرونهم، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وقد جاء عدد الأنبياء والرسل في حديث عند الإمام أحمد أن عددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبيّ وأن عدد الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً بعدد من حضروا بدراً.

وقال أكثر أهل العلم أنه لا يعلم عددهم إلا الله لأن هناك من لم يقصصه الله علينا فمن جاء ذكره في كتاب الله عرفناه ومن لم يذكر لا نعرفه قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].



(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٥، ٤٣٨، ٣١٢٢)، ومسلم برقم (٥٢١).

الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن

ذكر الله في كتابه خمسة وعشرين نبيّاً ورسولاً، ذكر ثمانية عشر في سورة واحدة وهي الأنعام في موضع واحد، قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٦].

وذكر سبعة في مواضع متفرقة وهم آدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذا الكفل ومحمد ﷺ.

وهؤلاء الخمسة والعشرون منهم أربعة من العرب هم هود وصالح وشعيب ومحمد ﷺ.

وقد جاءت السنة بالنص على بعض الأنبياء ومنهم شيث ويوشع بن نون.



أشخاص صالحون مشكوك في نبوتهم

هناك أشخاص صالحون مشكوك في نبوتهم وهم:

١ ـ ذو القرنين:

ذكر الله تعالى خبر ذي القرنين في سورة الكهف في آخرها وأخبر أنه خاطبه فقال: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦].

فهل كان هذا الخطاب مباشرة له أو بواسطة نبيّ كان معه؟ جزم بعض أهل العلم بنبوته ونفاها بعضهم عنه.

وقد قال ابن حجر: «إن القول بنبوته مروي عن عبد الله بن عمرو وعليه ظاهر القرآن» ومن الذين نفوا نبوته عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين.

٢ ـ تبع:

ورد ذكر تبع في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الدخان: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: ١٤].

فهل كان نبياً مرسلاً إلى قومه فكذبوه فأهلكهم الله أم لا؟

والأفضل التوقف في أمر ذي القرنين وتبع لأنه ورد الدليل بتوقف الرسول ﷺ فنحن من باب أولى.

فقد روى الحاكم والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «**لا أدري أتبع نبياً أم**

لا، وما أدري ذا القرنين نبياً أم لا»[١].

٣ ـ الخضر:

الخضر هو الرجل الصالح الذي رحل إليه موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليطلب منه علماً وقد جاء خبرهما في سورة الكهف.

وسياق القصة يوحي بنبوته من وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ [الكهف: ٦٥].

الثاني: قول موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ له: ﴿... هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٦٦ ـ ٧٠].

فلو كان غير نبيّ لم يكن معصوماً ولم يكن لموسى مع نبوته وعظيم قدره الحرص الشديد على تحصيل العلم منه لأنه خص بعلوم وأسرار لم تكن لموسى عليه الصلاة والسلام.

الثالث: أن الخضر أقدم على قتل الغلام وما ذاك إلا للوحي إليه لأنه لا يجوز لأحد مهما بلغت درجة ولايته أن يقدم على قتل معصوم إلا إذا كان نبياً يوحى إليه من ربه وهذا وحده كاف في الدلالة على نبوته والله أعلم.

الرابع: أن الخضر لما فسر لموسى حقيقة أمر كل ما فعله من خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] أي: ما فعلته من تلقاء نفسي بل أمرت به وأوحي إليّ فيه.

وقد نازع في نبوته أقوام من أهل العلم فجزم ابن حجر بنبوته واستدل بما ذكرناه آنفاً وليس لدينا نص صريح يدل على نبوته ولذا يبقى الأمر محل نظر عند أهل العلم والله أعلم.

---

(١) صحيح الجامع الصغير (٥/ ١٢١).

الكفر برسول واحد
كفر بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام

الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٤١] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠].

ومن المعلوم أن كل أمة كذبت برسولها لكن عد تكذيبهم لرسولهم تكذيباً للرسل جميعاً ذلك أن الرسل حملة رسالة واحدة ودعاة دين واحد ومرسلهم واحد يبشر متقدمهم بمتأخرهم ويصدق متأخرهم متقدمهم.

وقد جاء النص بذلك صريحاً قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

وقد أمرنا الله بعدم التفريق بينهم قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقد مدح الله هذه الأمة ورسولها لأنهم آمنوا بجميع الرسل ولم يفرقوا بينهم.

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقد ذم الله تعالى أقواماً لتفريقهم بين الرسل فاليهود لا يؤمنون بعيسى ولا بمحمد ﷺ، والنصارى لا يؤمنون بمحمد ﷺ.

لا تثبت النبوة لأحد إلا بدليل

جاءت أخبار كثيرة عن بني إسرائيل بتسمية بعض الأنبياء كالذين ذكرهم الله في سورة (يس) في قصة أصحاب القرية الذين أرسل إليهم اثنين ثم عزز بثالث. وهكذا ما ذكره بعض المفسرين حول تسمية بعض الأنبياء كجرجس وخالد بن سنان كل ذلك لا دليل عليه ولذا لا تثبت النبوة لأحد إلا بدليل صريح صحيح.

وكذا لا تنفي نبوة من جاءت الأخبار عن بني إسرائيل بذلك لأن خبرهم يحتمل الصدق والكذب ولكن نقطع بأنه لا نبيّ بعد محمد ﷺ.



حاجة البشرية إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام

الناس اليوم يحتاجون إلى الرسالة أشد من حاجتهم في السابق لكن شياطين الإنس ينفخون في عقولهم ويدعون إلى التمرد على شرع الله المطهر بحجة أن هذه الشريعة فيها حجر على العقول وتقييد للحريات لكن الواقع أن البشرية اليوم أحوج من ذي قبل لأن هذا النضج الذي بلغوه وتلك العبقريات في شتى مجالات الحياة غوصاً في أعماق البحار وانطلاقاً إلى أجواء الفضاء، كل ذلك يدعوهم بحق إلى التعلق بالشرع المطهر لأنه السياج الآمن والمنطلق الثابت الذي يحفظ عليهم توازنهم ويمنع المزالق الخطيرة التي تؤدي بحياة البشرية وتوقعها في الهاوية في الدنيا ثم الجحيم في الآخرة.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث إلا من جهتهم ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم فالقلب الذي يبعد عن الشرع كالحوت الذي يفارق الماء... إلى أن قال:

والوحي مع العقل كنور الشمس أو الضوء مع العين فإذا حجب الوحي عن العقل لم ينتفع الإنسان بعقله كما أن المبصر لا ينتفع بعينه إذا عاش في ظلمة فإذا أشرقت الشمس وانتشر ضوءها انتفع بناظريه وكذلك أصحاب العقول إذا أشرق الوحي على عقولهم وقلوبهم أبصرت واهتدت ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[1].

---

(١) زاد المعاد (١/ ١٥).

وظائف الرسل

للرسل وظائف بيَّنها القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن هذه الوظائف:

١ ـ البلاغ المبين:

هذه هي الوظيفة الأساسية للرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهذه أعظم الأمانات التي تحملوها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

والبلاغ يكون بتلاوة النصوص التي أوحاها الله إليهم من غير نقص أو زيادة، قال تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ومن البلاغ أن يوضح الرسول الوحي الذي أنزل إليه من ربه ويبينه لعباد الله لأنه أقدر الناس على فهمه وإيضاحه للناس.

وقد بين الرسول ﷺ كثيراً من الأحكام المجملة كالصلاة والزكاة والصيام والحج. وكما يكون البيان بالقول يكون بالفعل.

وهكذا سنة الرسول ﷺ بيان وإيضاح بالقول والفعل والتقرير والوصف.

٢ ـ الدعوة إلى الله:

لا تقف مهمة الرسول عند بيان الحق للناس بل عليهم دعوة الناس وهدايتهم بدلالتهم إلى الطريق الحق والرشاد وجميع الرسل مهمتهم أن يقولوا للناس اعبدوا الله فأنتم عباد الله والله هو الإله الواحد فيجب على جميع الخلق طاعته وعبادته.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد بذل رسل الله ﷺ جهوداً مباركة وحرصوا على هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

فهذا نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ يمكث في دعوته قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً كلها دعوة متواصلة دعاهم علانية وسراً ليلاً ونهاراً ترغيباً وترهيباً وعداً ووعيداً ومع ذلك عصوه ولم يستجيبوا له قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ [نوح: ٢١].

٣ ـ التبشير والإنذار:

دعوة الرسل مقترنة بالتبشير والإنذار، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦].

وقد ضرب الرسول ﷺ مثلاً حيّاً لنفسه وأمته فقال: «**مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبه طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق**»[1].

ومهمة التبشير والإنذار للرسل لها جانبان: جانب دنيوي وجانب أخروي فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

وبالمقابل يخوفون العصاة بالشقاء الدنيوي، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

(١) صحيح الجامع (٥/ ٢٠٥).

وهكذا المتتبع لنصوص الكتاب والسنة يلحظ هذا الأمر التبشير والإنذار ولذا فينبغي للدعاة وأهل العلم أن يركزوا على ذلك في أحاديثهم وخطبهم وكتاباتهم توجيهاً للناس ودلالة لهم على الخير وبيان ثمرة الطاعة ومغبة المعصية.

٤ ـ إصلاح النفوس وتزكيتها:

من مهمات الرسل إصلاح نفوس الناس وتزكيتها لتقبل الخير والنور ولتخرج من الظلمات إلى النور، ولذا عمل الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ على تعريف أقوامهم بخالقهم وبيان ما يستحق من العبادة ودلالة الخلق على النافع الضار وبيان سبل العبادة والطاعة، قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].



صفات الرسل

للرسل صفات يشتركون فيها مع سائر الناس وصفات تخصهم. ومن هذه الصفات التي يشتركون فيها مع الناس ما يأتي:

١ ـ البشرية:

اقتضت حكمة الله أن يكون الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من البشر أنفسهم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠].

والبشر أهل لأن يتحملوا الرسالة لأنها أمانة والإنسان قادر على تحمل الأمانة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢].

لكن الرسل يُعدُّون إعداداً خاصاً لتحمل النبوة وهذا ما حدث لنبينا ﷺ حيث أحاطه ربّه بعنايته كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٦ ـ ٨].

ولِمَ لَمْ يكن الرسل ملائكة؟

كثر اعتراض الناس على بعثة الرسل وكونهم من البشر وهذا واحد من أسباب صد الناس عن الإيمان بهم قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٤﴾ [الإسراء: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: ٧].

وقد قال أهل العلم في حكمة اختيارهم من البشر لا من الملائكة:

أ ـ أن ذلك أعظم في الابتلاء والاختبار.

ب ـ أن في ذلك إكراماً لمن سبقت لهم من الله الحسنى حيث أكرمهم

وتفضل عليهم باختيارهم من سائر البشر، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ [مريم: ٥٨].

ج ـ أن البشر أقدر على القيادة والتوجيه وهم الذين يصلحون قدوة وأسوة فهو مثلهم يحس بإحساسهم ويعمل بالتكاليف التي يبلغهم بها فهو يبدأ بنفسه في تطبيق ما يدعو إليه فهم يقتدون به في حركاته وسكناته وأعماله وأخلاقه.

د ـ صعوبة رؤية الملائكة لأن طبيعة البشر لا تتحمل ذلك فالرسول ﷺ مع ما أعطاه الله من القدرات كان يرجف فؤاده وترتعد أطرافه إذا جاءه جبريل ولذا ناسب أن يرسل إلى البشر بشر مثلهم، ولو كان سكان الأرض ملائكة لأرسل إليهم من جنسهم وصدق الله العظيم: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥].

٢ ـ تعرض الأنبياء للبلاء:

من مقتضى بشرية الرسل أنهم يتعرضون للبلاء كما يتعرض البشر فقد يسجن النبي كما سجن يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وقد يخرج من دياره ويؤذى كما حصل لإبراهيم ومحمد عليهما السلام وقد يصابون بالأمراض كما حصل لأيوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

بل إن الأنبياء هم أشد الناس بلاء كما جاء ذلك في الحديث: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى المرء على قدر دينه**»[1].

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٣).

٣ ـ اشتغال الأنبياء بأعمال البشر:

من مقتضى بشرية الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أنهم يشتغلون بأعمال البشر فقد عمل أنبياء الله بالتجارة ورعوا الغنم وكان داود حداداً يعمل الدروع وزكريا نجاراً(١).

٤ ـ ليس فيهم شيء من خصائص الألوهية والملائكة:

من مقتضى بشرية الرسول أنهم لا حول لهم ولا قوة إلا بالله، فليس فيهم شيء من خصائص الألوهية وما كان لأحد منهم أن يدعي ذلك، ولذا أخبرنا الله عن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ﴾ [المائدة: ١١٦].

وليس فيهم شيء من خصائص الملائكة بل هم يأكلون ويشربون وينكحون ويخالطون الناس كسائر البشر.

٥ ـ الكمال البشري:

البشر يتفاوتون فيما بينهم في الخَلق والخُلق والمواهب والقدرات، والأنبياء يمثلون الكمال الإنساني ذلك أن الله اختارهم واصطفاهم فهم أطهر الناس قلوباً وأزكاهم أخلاقاً وأجودهم أنفساً وأنفعهم لعباد الله وصدق الله ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فعندهم كمال الخلقة وكمال الخلق وهم أفضل الناس نسباً وقد أعطاهم الله عقولاً راجحة وذكاء حاداً ولذا عرضوا شريعتهم وأفحموا المعارضين لها وبلغوا دين الله بكل أمانة وصدق وإن ما قصه الله علينا من حوار بين موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفرعون الطاغية خير مثال لما نقول قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾

---

(١) ثبت ذلك عنهم عن النبي ﷺ كما جاء في مشكاة المصابيح (٣/ ١١٧).

قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٣ ـ ٢٩].

ومن صور كمال الأنبياء أن الله اختارهم كلهم من الرجال قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧].

ومن الحكم في اختيار الأنبياء رجالاً ما يأتي:

أ ـ أن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة ومخاطبة الرجال والنساء والتنقل في أرض الله ومواجهة المكذبين وإعداد الجيوش وقيادة المعارك وهذا يناسب الرجال دون النساء.

ب ـ الرسالة تقتضي قوامة الرسول على من يتابعه فهو الحاكم والقاضي والأمير والمسئول ولو كانت امرأة لما استطاعت ذلك ولامتنع أقوام من الطاعة لها والانقياد لأوامرها.

ج ـ الذكورة أكمل من الأنوثة ولذا جعل الله القوامة للرجال على النساء، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

د ـ المرأة يطرأ عليها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات كالحيض والحمل والولادة والنفاس وما يصاحب ذلك من اضطرابات وآلام وأوجاع وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها.



أمور تفرد بها الأنبياء دون البشر

١ ـ الوحي:

خصّ الله الأنبياء دون سائر البشر بوحيه إليهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

وهذا الوحي يقتضي عدة أمور يفارقون بها الناس، فمن ذلك تكليم الله بعضهم واتصالهم ببعض الملائكة وتعريف الله لهم شيئاً من الغيوب الماضية أو الغيوب المستقبلة ومن ذلك الإسراء بالرسول ﷺ إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماوات ورؤيته للملائكة والأنبياء وإطلاعه على الجنة والنار وسماعه لعذاب المعذبين في قبورهم.

٢ ـ العصمة:

اتفقت[١] الأمة على أن الرسل معصومون في تحمل الرسالة فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم إلا شيئاً قد نسخ وقد تكفل الله بذلك قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦، ٧].

وهم معصومون في التبليغ فالرسل لا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم ذلك أن الكتمان خيانة والرسل يستحيل عليهم ذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

ويرى أكثر العلماء أن الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام»[٢].

---

(١) نقل الإجماع على ذلك أكثر من واحد منهم شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٢٩١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩).

٣ ـ الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

مما اختص الله به الأنبياء أن أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام وقد جاء في حديث الإسراء عند البخاري: «والنبي نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»[١] وقال ﷺ: «**إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا**»[٢].

٤ ـ تخيير الأنبياء عند الموت:

مما تفرد به الأنبياء أنهم يخيَّرون بين الدنيا والآخرة، فعن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة**»[٣].

٥ ـ لا يقبر نبيّ إلا حيث يموت:

مما خصّ الله به الأنبياء بعد موتهم أمور:

الأول: أنه لا يقبر نبيّ إلا في الموضع الذي مات فيه جاء في الحديث: «**لم يقبر نبي إلا حيث يموت**»[٤]. ولذا دفن رسول الله في حجرة عائشة حيث قبض.

الثاني: من إكرام الله لأنبيائه ورسله أن الأرض لا تأكل أجسادهم فمهما طال الزمن وتقاوم العهد تبقى أجسادهم محفوظة من البلى، قال ﷺ: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[٥].

الثالث: أحياء في قبورهم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ، فتح الباري (٦/ ٥٧٩).
(٢) صحيح الجامع (٣/ ٥٥).
(٣) رواه البخاري (فتح الباري ٨/ ٢٥٥).
(٤) صحيح الجامع (٥/ ٤٦).
(٥) رواه أبو داود برقم (١٠٤٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٢٥).

صحّ عن النبي ﷺ: «**أن الأنبياء أحياء في قبورهم**»[(١)] وقد جاء ذلك في حادثة الإسراء فقد رأى نبينا موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يصلي وإذا عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يصلي وإذا إبراهيم قائم يصلي[(٢)].



(١) صحيح الجامع (٢/ ٤١٤).
(٢) فتح الباري (٦/ ٤٨٧).

دلائل النبوة

هناك دلائل كثيرة للأنبياء ومن أهمها:

الآيات والمعجزات التي يجريها الله تصديقاً لرسله.

الآية والمعجزة هي ما يجريه الله على أيدي أنبيائه ورسله من أمور خارقة للسنن الكونية المعتادة التي لا قدرة للبشر على الإتيان بمثلها كتحويل العصا إلى أفعى تتحرك. فيكون هذا الأمر دليلاً صادقاً غير قابل للنقض والإبطال على صدق رسالتهم.

وقد تنوعت هذه الآيات والمعجزات التي أجراها الله على أيدي أنبيائه ورسله، وجميع هذه الآيات والمعجزات تندرج تحت أمور ثلاثة: العلم والقدرة والغنى.

فالإخبار بالمغيبات الماضية والآتية كإخبار عيسى قومه بما يأكلونه وما يدخرونه في بيوتهم وإخبار رسولنا ﷺ بأخبار الأمم السابقة وإخباره بالفتن وأشراط الساعة التي ستأتي في المستقبل، كل ذلك من باب العلم.

وتحويل العصا إلى أفعى وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وشق القمر من باب القدرة.

وعصمة الله لرسله من الناس وحمايتهم ممن أراد بهم سوءً أو قيام الأنبياء بأمور قد لا يطيقها غيرهم كمواصلة نبينا الصيام بالليل والنهار من باب الغنى.

وهذه الأمور الثلاثة العلم والقدرة والغنى التي ترجع إليها جميع المعجزات لا ينبغي أن تكون إلا لله على وجه الكمال المطلق، وقد أمر الله رسوله أن يتبرأ من دعوى هذه الأمور في قوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ

ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: ٥٠].

فالرسول يبرأ من دعوى علم الغيب وملك خزائن الأرض ومن كونه ملكاً مستغنياً عن الطعام والشراب والمال. والرسل ينالون من هذه الثلاثة ما يعطيهم الله فيعلمون ما علمهم الله ويقدرون على ما أقدرهم ويستغنون بما أغناهم.



أمثلة لآيات الرسل عليهم الصلاة والسلام

آية نبيّ الله صالح:

دعا صالح ـ عليه الصلاة والسلام ـ قومه إلى عبادة الله كغيره من الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النمل: ٤٥].

لكن قومه كذبوه وطلبوا منه آية تدل على صدقه قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشعراء: ١٥٣، ١٥٤].

وقد ذكر كثير من المفسرين أن ثمود قوم صالح اجتمعوا ذات يوم في ناديهم فجاءهم نبيهم صالح فدعاهم إلى الله وذكَّرهم وحذَّرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له على سبيل التحدي والتعجيز: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة القريبة ناقة صفتها كذا وكذا ومنها أن تكون عُشراء طويلة، فقال لهم نبيهم صالح: أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئت به وتصدقوني بما أرسلت به؟ قالوا: نعم، فأخذ عليهم العهود والمواثيق على ذلك.

ثم قام إلى مصلاه فصلى ما قدر له ثم دعا ربه أن يجيبهم إلى ما طلبوا فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عُشراء على الوجه الذي طلبوا فلما عاينوها كذلك رأوا أمراً عظيماً وقدرة باهرة ودليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً يدل على صدق صالح ونبوته فآمن قليل منهم لكن أكثرهم استمر على كفره عناداً وجحوداً كعادة الكفار.

قال تعالى مبيناً هذه المحاورة بين صالح وقومه: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الأعراف: ٧٣].

معجزة إبراهيم عليه السلام:

حطَّم إبراهيم آلهة قومه التي كانوا يعبدونها فأشعلوا له النار ورموه فيها فأمر الله ـ جل وعلا ـ النار أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨ ـ ٧٠].

ومن الآيات التي أجراها الله على يد نبيه إبراهيم إحياء الموتى في قصة طيور حيث أمره مولاه أن يذبح الطيور ثم يقطعها ويفرق لحمها على عدة جبال ثم يدعوها فتجتمع الأجزاء المتفرقة وتدب فيها الحياة وتلبي نداءه وتحلق طائرة في السماء كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

آيات نبيّ الله موسى عليه الصلاة والسلام:

أعطى الله موسى تسع آيات بينات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

وهذه الآيات هي:

١ ـ العصا وهي أعظم الآيات وأكبرها فهي تتحول بقدرة الله إلى حية عظيمة حينما يلقيها في الأرض قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه: ١٧ ـ ٢١].

وقد أعلن السحرة إيمانهم لما عاينوا ما فعلته هذه الحية لأنهم بخبرتهم علموا أنها ليست من السحر بل من صنع الخالق العظيم فسجدوا أمام الجموع في وقت التحدي إذعاناً للخالق العظيم ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ﴾ [طه: ٧٠].

٢ ـ ومن الآيات لموسى أنه يضم يده إلى جناحه فتخرج بيضاء تتلألأ كأنها قمر من شدة بياضها وليس فيها مرض من برص أو بهق بل من عظيم قدرة الله جل وعلا: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه: ٢٢].

وجاءت سبع آيات في سورة الأعراف حيث أصاب الله فرعون وقومه بها.

٣ ـ أصابهم بالسنين وهي الجدب والقحط بسبب قلة المطر.

٤ ـ نقص الثمرات ذلك أن الأرض منعت خيراتها وما يخرج تصيبه الآفات.

٥ ـ الطوفان الذي يتلف المزارع ويهدم المباني والقرى.

٦ ـ الجراد الذي لا يدع شيئاً أخضر إلا أكله بل أكل حتى اليابس.

٧ ـ القمل وقد سلط الله عليهم حشرة تؤذيهم في أجسادهم على وجه لا يمكن مدافعتها.

٨ ـ الضفادع التي نغصت عليهم عيشتهم وكثرت بحيث تلاحقهم في كل مكان.

٩ ـ الدم الذي يصيب الطعام والشراب فلا يفتحون إناء إلا وجدوه دماً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠ ـ ١٣٣].

وأعطى الله موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ آيات أخرى ومنها ضرب

البحر بعصاه فانفلق اثني عشر طريقاً وضرب الحجر فانفلق اثنتي عشرة عيناً وإنزال المن والسلوى على بني إسرائيل في صحراء سيناء.

معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام:

من معجزات عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتصبح طيوراً بإذن الله وقدرته ويمسح الأكمه فيبرأ بإذن الله ويمسح الأبرص فيذهب عنه البرص ويمرّ على الموتى فيناديهم فيجيبونه قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ﴾ [المائدة: ١١٠].

ومن آياته تلك المائدة التي أنزلها الله من السماء إكراماً لعيسى لما طلبها الحواريون قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥].

آيات محمد ﷺ:

أجرى الله على يد نبينا محمد ﷺ معجزات باهرات وآيات عظيمات وقد تعددت وتنوعت حتى فاقت الألف معجزة وقد تكلم عنها أهل التفسير والحديث والسير.

أعظم آيات نبينا:

أعظم آياته بل أعظم آيات جميع الأنبياء هو القرآن الكريم والكتاب المبين آية باقية ومعجزة خالدة لا تتغير ولا تتبدل ﴿... وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وقد تحدى الله به أرباب البيان والفصاحة وأساطين البلاغة وقد بلغوا الذروة في ذلك فجاء هذا الكتاب العظيم وتحداهم رسولنا أن يأتوا بمثله بل بسورة بل آية فعجزوا وأذعنوا وسلموا للتحدي لكن المكابرة والغطرسة جعلتهم يتأخرون في الانقياد لدعوة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

معجزة لا كالمعجزات:

شاء الله أن تكون معجزة خاتم الأنبياء نمطاً فريداً مخالفاً لمعجزات الرسل فليست شيئاً مؤقتاً فقط بل معجزة خالدة على مرّ العصور والأزمان، معجز في تشريعه في نظمه وسبكه معجز في ألفاظه معجز في دقائقه وخصائصه في تلاوته وترديده لا يتغير ولا يتبدل لا يَخلَق على كثرة ترديده إنه المعجزة المفتوحة للأجيال كلها ولذا خضعت العرب وانبهرت من عظمته وبلاغته.

وهكذا ضرب الله العرب في أعز ما تملك وهو الفصاحة والبيان فكانت المعجزة من جنس ما تميزوا به فسبحان العليم العظيم.

الإسراء والمعراج:

من معجزات نبينا ﷺ الإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث جمع الله له الأنبياء فصلى بهم إماماً قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١].

ومن هنا عرج به إلى السماوات العلى ورأى من آيات ربه الكبرى رأى جبريل على هيئته التي خلق عليها وصعد به إلى سدرة المنتهى وكلمه الرحمٰن وقد صور الله ذلك بقوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٢ ـ ١٨].

لقد استعظمت قريش هذا الأمر الذي تذهب القوافل وتعود خلال وقت طويل كيف يتسنى لرجل أن يذهب ويرجع في جزء من ليلة واحدة إنه أمر خارق للعادة ولكن ذلك يزول حينما نعلم أن الذي أسرى به هو خالقه مالك الكون رب السماوات والأرض والله على كل شيء قدير.

انشقاق القمر:

من معجزات نبينا ﷺ انشقاق القمر حينما طلب منه المشركون آية على نبوته فانشق القمر شقين وكان وقتها بدراً وقد رأوا حراء بين الشقين.

وقد أخبر الله عن هذه الآية بقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر: ١، ٢].

تكثيره الطعام ﷺ:

من معجزاته ﷺ أنه يكثر الطعام ولو كان قليلاً وقد وقع منه ذلك أكثر من مرة فمن ذلك قصة طعام أم سليم حينما جاء الرسول ﷺ بالنفر الذين في المسجد كلهم وهم في حدود السبعين أو الثمانين فجعل يدخلهم عشرة عشرة حتى أكلوا وشبعوا(١).

ومن ذلك قصة خبز امرأة جابر حينما دعا الرسول ﷺ أهل الخندق وكانوا في حدود الألف فأكلوا حتى شبعوا وما نقص الخبز وذلك ببركة دعاء رسول الله ﷺ لهم(٢)

نبع الماء من بين أصابعه ﷺ:

من معجزاته ﷺ أنه أحياناً يكثِّر الماء ولو كان قليلاً وينبع من بين أصابعه ومن ذلك ما ذكره جابر رضي الله عنه يوم الحديبية قال: «**عطش الناس وكان مع رسول الله ركوة يتوضأ منها فأقبل عليه الناس وقالوا: نريد الشرب والوضوء ولا ماء إلا ما في ركوتك يا رسول الله فوضع يده في الركوة فأخذ الماء يفور من بين أصابعه كأنه عيون، قال جابر: فشربنا وتوضأنا، قيل لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: كنا خمس عشرة مائة ولو كنا مائة ألف لكفانا**»(٣).

---

(١) متفق عليه ـ المشكاة (٣/ ١٨٢).

(٢) المشكاة (٣/١٦٨).

(٣) متفق عليه ـ المشكاة (٣/ ١٧٠).

حنين الجذع:

كان رسول الله ﷺ يخطب على جذع فلما تحول إلى المنبر وبدأ يخطب عليه حنَّ الجذع فأتى رسول الله ومسح عليه وقد سمع للجذع كصوت العشار[١].

انقياد الشجر له:

ومن معجزاته أن الشجر ينقاد له ويسلم عليه ويكلمه وكل ذلك بأمر الله جل وعلا وقد سلم عليه الحجر وجاءه العذق[٢] يمشي وانقادت له شجرتان حتى قضى حاجته ثم رجعتا إلى مكانهما وشكى له البعير ما يلقى من صاحبه، وكل ذلك من معجزاته ﷺ[٣].



(١) جامع الأصول (١٢/ ٦٨).
(٢) العذق: العنقود.
(٣) انظر: تفاصيل هذه المعجزات في الرسل والرسالات للدكتور عمر بن سليمان الأشقر (ص١٣١ ـ ١٥٣).

دعوة الرسل

جاء الرسل بمنهج كامل متكامل لإصلاح البشرية في كل شؤون الحياة وهذا الدين الذي جاء به الرسل منزل من عند الله فلا بد أن يكون في غاية الكمال وهو خال من النقائص والعيوب يتفق تماماً مع فطرة الإنسان وسنن الكون وقد أشار كتاب ربنا إلى ذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

والقرآن الكريم يهدي للطريق الأقوم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

والله ـ جل وعلا ـ من لطفه ورحمته ألا يعذب أحداً حتى يقيم عليه الحجة عن طريق الرسل ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقد جاء هذا الدين الكامل الشامل موافقاً للفطرة والعقل، سئل أعرابي بم عرفت أن محمداً رسول الله؟ فقال: ما أمر بشيء فقال العقل ليته ينهى عنه ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به[١].

ولذا جاءت معجزته خالدة على مر العصور وتعاقب الأجيال كتاب عزيز فيه من الأسرار والعلوم الشيء الكثير وصدق الله العظيم ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨].



(١) مفتاح دار السعادة (٢/٦ ـ ٧).

تفاضل الأنبياء

أولاً: الأنبياء أفضل من غيرهم من سائر البشر وقد فاضل الله بين الخلق قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

وقد أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء على غيرهم من الصديقين والصالحين والشهداء ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٦].

وقد خالف في هذه المسألة العظيمة الشيعة فقالوا: إن أئمتهم لهم منزلة أعظم من منزلة الأنبياء.

وهذا القول ساقط مردود بنصوص الكتاب والسنة وهو يدل على بطلان مذهبهم.

وقد صرح بذلك زعيم ثورتهم في هذا العصر الخميني حيث يقول في كتابه الحكومة الإسلامية ص٥٢: «إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبيّ مرسل».

ثانياً: الأنبياء يتفاضلون فيما بينهم وقد أخبرنا ربنا سبحانه أنه فضل بعض النبيين على بعض قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقد أجمعت الأمة أن الرسل أفضل من الأنبياء والرسل كذلك يتفاضلون فيما بينهم قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأولو العزم من الرسل هم أفضلهم، وأولو العزم هم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

وهنا سؤال مفاده:

بم يتفاضل الأنبياء والرسل؟ وجواباً عليه نقول: الذي يتأمل الآيات السابقة التي تشير إلى تفاضل الأنبياء والرسل يلاحظ أن الله فضل بعضهم بإعطائه خيراً لم يعطه غيره أو رفع درجته فوق درجة غيره أو باجتهاد النبي في العبادة أو الدعوة.

فداود ـ عليه الصلاة والسلام ـ فضله بإعطائه الزبور ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥] وأعطى موسى التوراة ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾ [البقرة: ٥٣] وأعطى عيسى الإنجيل ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦].

وقد اختص آدم بأنه أبو البشر خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له.

وفضل نوحاً بأنه أول الرسل إلى أهل الأرض وسماه الله عبداً شكوراً. وفضل إبراهيم باتخاذه خليلاً ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] وجعله للناس إماماً ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

وفضل الله نبينا محمداً ﷺ على غيره من الأنبياء بفضائل كثيرة منها الإسراء به وإمامته للأنبياء والشفاعة العظمى لأهل الموقف.

وقد أرسل للناس كافة إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم من كان في زمنه ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة.

وأنه خاتم الأنبياء لا نبي بعده قال ﷺ: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**»(١).



(١) رواه مسلم صحيح الجامع (٢/ ٢١).

المبحث السادس

الإيمان بالملائكة

- كيف الإيمان بالملائكة.
- المهمات التي أوكلت إلى الملائكة.
- أعداد الملائكة وعظم خلقهم.
- أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان.

المبحث السادس

الإيمان بالملائكة

الملائكة جمع ملأك مأخوذ من الألوكة وهي الرسالة قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ [فاطر: ١].

فالملائكة عالم غيبي خلقهم الله من نور وجعلهم طائعين متذللين له ولكل منهم وظائف خصه الله بها، والإيمان بهم والتصديق بوجودهم جزء من عقيدة المؤمن وهو ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان العبد إلا به، وقد خلقهم الله وجبلهم على الطاعة والعبادة وعدم المعصية قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

وقال تعالى: ﴿... بَلْ عِبَادٞ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

وأهل السنة والجماعة يقررون وجوب الإيمان بهم وبوظائفهم حسبما جاءت به النصوص الصحيحة وأنهم ليسوا بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً كما زعم ذلك المشركون وكذبهم الله في كتابه: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].



كيف الإيمان بالملائكة

نؤمن بأنهم عالم غيبي لا يشاهدون وقد يشاهدون إنما الأصل أنهم عالم الغيبي مخلوقون من نور مكلفون بما كلفهم الله به من العبادات وهم خاضعون لله ﷻ أتم الخضوع ونؤمن بأسماء من علمنا بأسمائهم، ونؤمن بوظائف من علمنا بوظائفهم، فجبريل موكل بالوحي وإسرافيل موكل بنفخ الصور وميكائيل موكل بالقطر والنبات.

ونؤمن بأنهم أجساد قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١]. وقد رأى رسول الله ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سد الأفق خلافاً لمن زعم أنهم أرواح دون أجساد.

وقد يسأل سائل: هل لهم عقول؟ فنقول له: هل لك عقل إذاً لماذا ليس لهم عقول وقد أثنى الله عليهم ثناء عظيماً أيثني عليهم وليس لهم عقول، وهذا السؤال من السفه والحمق بل من الجنون لأنه طعن فيهم وبأدائهم لمهماتهم التي أناط الله بهم.

وقد استدل أهل السنة على وجوب الإيمان بهم بما يأتي:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

ومن السنة حديث عمر بن الخطاب حينما جاء جبريل يعلِّم الناس دينهم فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).



(١) رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨).

المهمات التي أوكلت إلى الملائكة

أوضحت النصوص الكثيرة أن الله كلف الملائكة بمهمات عظيمة يقومون بها وهي كثيرة ومتنوعة وقد أثنى الله عليهم لقيامهم بها على أتم وجه وأكمله، ومن هذه الوظائف:

١ ـ التعظيم لله ﷻ بالتنزيه والتسبيح، وهذه هي وظيفتهم الرئيسية ولذا قدمها الله في الذكر على الإيمان فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧] وهذا التسبيح يصدر منهم في كل وقت وبصفة دائمة وبطريقة تلقائية ومن غير ملل أو سآمة قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠] وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

٢ ـ إبلاغ الأنبياء والرسل بالرسالات السماوية، فهم حملة الوحي الذي ينزله الله على من وقع عليه الاختيار من البشر ليكون نبياً أو رسولاً، وهذا العمل من أعظم أنواع التكريم للملائكة لأن أمانة إبلاغ الوحي من المهام العظيمة التي تتطلب قدراً كبيراً من الأمانة والمسئولية ولذا وصف الله جبريل بالروح الأمين قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

٣ ـ تدوين أعمال المكلفين، فقد وكل الله بكل إنسان اثنين من الملائكة أحدهما يسجل الحسنات والآخر يسجل السيئات قال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]. وهل يكتبون كل كلام أم أنهم يكتبون ما يترتب عليه الثواب والعقاب؟ هذا محل خلاف بين أهل العلم.

٤ ـ قبض أرواح البشر، وذلك عند انتهاء آجالهم وانقضاء أعمارهم،

فقد كتب الله الفناء على جميع الخلائق دون استثناء ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦، ٢٧] وقد وكل الله بهذه المهمة العظيمة ملك الموت ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١].

٥ ـ البحث عن مجالس الذكر وحفّ الجالسين فيها، جاء في صحيح مسلم وغيره: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»[1]. وجاء في الحديث الذي يرويه البخاري: «**إن لله ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا**»[2] الحديث.

٦ ـ تهنئة المؤمنين بدخول الجنة، وذلك بدخول الملائكة على أهل الجنة من كل باب واستقبالهم وإلقاء السلام عليهم وتهنئتهم بهذا الفوز العظيم، قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

٧ ـ القيام بتعذيب أهل النار، فهم خزنة جهنم والقائمون بتعذيب أهلها وهم في غاية الغلظة والشدة والقسوة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

وقد أجمل ابن القيم رحمه الله أعمالهم فقال:

«منهم أولياء الإنسان وأنصاره وحفظته ومعلموه وناصحوه والداعون له والمستغفرون له وهم الذي يصلون عليه ما دام في طاعة ربه ويصلون عليه ما

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٧٤) برقم ٢٦٩٩.
(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩).

دام يعلم الناس الخير ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة وهم الذين يذكرونه إذا نسي وينشطونه إذا كسل ويثبتونه إذا جزع وهم الذين يسعون في مصالح دينه ودنياه وآخرته. . .»[1].



(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٥).

أعداد الملائكة وعظم خلقهم

لا يعلم عددهم إلا الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. وجاءت أوصاف خلقهم في السنة على هيئة عظيمة جداً فبعضهم له ستمائة جناح وبعضهم رجلاه في الأرض وعلى قرنه العرش وبعضهم ما بين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام وهذا كله بقدرة الخالق العظيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فلا إله إلا الله يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد.

خلق الملائكة كان قبل خلق البشر:

جاءت النصوص تفيد أن الملائكة مخلوقون قبل البشر، ذلك أن الله خاطبهم بأمر آدم قبل خلقه وهم مخلوقون موجودون، وجَّه الله لهم الخطاب بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وهذا الخليفة هو آدم عليه الصلاة والسلام.

الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة:

لا يجوز أن نصف الملائكة بأنهم ذكور أو أنهم إناث ومن سماهم إناثاً فقد افترى على الله وقد شنع الله على المشركين الذين سموهم إناثاً في قرآن يتلى إلى يوم القيامة ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩] أي: ما شهدوا خلقهم وما عرفوا حقيقتهم فحكمهم عليهم بأنهم إناث محض افتراء وكذب وسيعاقبون على هذا الاختلاق وهذا البهتان.

الملائكة أشداء أقوياء:

أعطى الله الملائكة من الخصائص ما لا يعلمه البشر فهم أقوياء أشداء

موصوفون بالغلظة والشدة لكن لا نعلم حدودها ولا مقاييسها إلا ما جاء وصفهم به في القرآن والسنة ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

الملائكة مسخرون للعبادة:

الملائكة معصومون عن المعاصي قائمون بطاعة الله ملازمون لعبادته لا يعصون الله تعالى ولا يخالفون له أمراً: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

الملائكة يكونون معنا ولا نراهم:

أعطى الله البشر حاسة البصر لكنها لا تدرك إلا ما أقدرهم الله عليه وحقيقة الملائكة خارجة عن هذه القدرة البشرية فلا يستطيع البشر رؤية الملائكة.

روت عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى أريد رسول الله ﷺ**»[1].

الملائكة قادرون على التشكل بأشكال البشر:

هذا الأمر ليس مستحيلاً والله جل وعلا قادر على كل شيء وهو الذي وهبهم هذه الخاصية، قال الله في حق مريم وجبريل: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ١٦ ـ ١٩] والروح هنا جبريل ﵇.

---

(١) رواه البخاري (الفتح ٦/٣٠٥) برقم (٣٢١٧).

صفات جبريل عليه السلام:

وصف الله جبريل بأوصاف عظيمة قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠] فوصفه في هذه الآية بعدة صفات:

الأولى: القوة ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾.

الثانية: المكانة ﴿مَكِينٌ﴾ أي: ذو مكانة عند الله لا يصل أحد غيره.

الثالث: الطاعة ﴿مُّطَاعٍ﴾ أي: تطيعه الملائكة بأمر الله تعالى.

الرابع: الأمانة ﴿ءَامِينٍ﴾ أي: على الوحي لا يزيد في القول أو ينقص فيه وإنما يبلغه كما أوحاه الله إليه.

رؤية محمد ﷺ لجبريل:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾ [التكوير: ٢٣] أي: رأى محمد جبريل وذلك في موقفين:

الأول: في بطحاء مكة رفع رأسه فرآه في عنان السماء له ستمائة جناح كل جناح منها سد الأفق[(١)].

الثاني: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [النجم: ١٣، ١٤] ليلة المعراج رآه على خلقته التي خلقه الله عليها في السماوات.

أوجه الاختلاف بين عمل الملائكة وعمل الشياطين:

أولاً: الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويتفقدون لمن في الأرض ويدلونهم على الخير فهم أنصح الخلق لبني آدم عكس الشياطين أغش الخلق لبني آدم فهم سبب ضلالهم وإغوائهم وبعدهم عن الله قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

---

(١) رواه البخاري انظره في: الفتح (٨/ ٦١١).

ثانياً: الملائكة تأمر العباد بالخير والشياطين يحثونهم على الشر ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦].

ثالثاً: ذكر الله يطرد الشياطين ويقرب الملائكة فكل مجلس ذكر فالملائكة تحفه وتغشاه والشياطين أبعد الخلق عنه.

رابعاً: الملائكة لا تدخل البيوت التي فيها لهو أو تصاوير أما الشياطين فتعشعش فيها.



أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان

الإيمان بالملائكة له أثر عظيم في حياة الإنسان فإذا شعر الإنسان بمراقبة الملائكة له وتقييدهم أعماله فإنه يتحفظ لئلا يُسجَّل في صحيفته أعمال يندم عليها يوم القيامة.

فثمرة الإيمان بالملائكة أن الإنسان يحصن نفسه من الأقوال والأعمال السيئة التي تسجل عليه لا سيما أنه لا يرى الذين يكتبونها وهذا دافع قوي في عدم الوقوع فيما حرم الله تعالى.

قال شارح الطحاوية:

«وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة ووكل بالسحب والمطر ملائكة ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته ووكل بالموت ملائكة ووكل بالسؤال في القبر ملائكة ووكل بالأفلاق ملائكة يحركونها ووكل بالشمس والقمر ملائكة ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة ووكل بالجنة وعمارتها وغراسها وعمل آلآتها ملائكة فالملائكة أعظم جنود الله ومنهم المرسلات عرفاً والناشرات نشراً والفارقات فرقاً والملقيات ذكراً ومنهم النازعات غرقاً والناشطات نشطاً والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً ومنهم الصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً.

ومنهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وملائكة قد وكلوا بحمل العرش وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى»[1].

---

(١) الطحاوية (٢/ ٤ ـ ٥).

المبحث السابع

الإيمان بالكتب المنزلة

- القرآن آخر الكتب المنزلة وناسخها.
- هل يكفي في القرآن مجرد التصديق؟
- كيفية الإيمان بالكتب المنزلة.
- ذكر بعض الأمور المتعلقة بالإيمان بالكتب.

المبحث السابع

الإيمان بالكتب المنزلة

هي الكتب التي أنزلها الله على رسله وحياً عن طريق جبريل عليه السلام متضمنة أوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكام دينه وهي كثيرة نزلت في أماكن متعددة وبلغات مختلفة يقول الله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقد حوت هذه الكتب شرائع الأمم التي توافق أحوالهم وأزمنتهم قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] غير أن جميع هذه الكتب جاءت لإثبات توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال ﷺ: **«الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»**[١].

وأهل السنة يقررون وجوب الإيمان بجميع الكتب السماوية التي أنزلت على الرسل سواء ما ذكر في القرآن أو لم يذكر وأنها كلام الله سبحانه باعتبار ذلك ركناً من أركان الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا به وقد استدلوا على ذلك بما يأتي:

قال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

---

(١) رواه مسلم ح (٢٣٦٥).

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومن السنة حديث جبريل حينما جاء يعلم الناس أمر دينهم فسأل عن الإيمان فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[1].



(١) رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨).

القرآن آخر الكتب المنزلة وناسخها

القرآن كلام الله المنزل على رسوله ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام والمدون بالمصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس وقد تكفل الله بحفظه فلا تمتد له الأيدي بالتحريف أو التبديل لأن الله أراد له الخلود والبقاء باعتباره آخر الكتب الذي أنزل على آخر الرسل محمد ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وقد حقق الله وعده بحفظ كتابه فها نحن اليوم وقد مضى على نزول القرآن أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان وهو بين أيدينا محروس من الزيادة والنقصان رغم كيد الكائدين وحرص الشياطين على العبث به وإطفاء نوره وصدق الله العظيم ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

والقرآن هو الكتاب الناسخ لما قبله من الكتب السماوية التي نزلت على سائر الأنبياء والمرسلين قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

ولهذا لا يسوغ لكائن من كان أن يخرج عن شرع محمد ﷺ بل لا بد من العمل بشريعته واتباع أمره ونبذ كل شيء يخالف ذلك. وقد جاءت أوصاف القرآن كثيرة ومنها:

١ ـ أنه معجز لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة واحدة قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨].

٢ ـ أنه حق محض ليس للباطل إليه سبيل قال تعالى: ﴿... وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

٣ ـ أنه مشتمل على الآيات البينات والدلائل القاطعة على جميع قضايا العقيدة والعبادة والسلوك والأخلاق قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

قال شارح الطحاوية: «وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين فنؤمن بما سمَّى الله تعالى منها في كتابه من التوراة والإنجيل والزبور ونؤمن بأن لله سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله»[١].

وقال: «وأما الإيمان بالقرآن فالإقرار به واتباع ما فيه وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء...»[٢].



(١) شرح الطحاوية: (٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥).

(٢) المرجع السابق.

هل يكفي في القرآن مجرد التصديق؟

أما مجرد التصديق فلا يكفي في القرآن فلا بد مع التصديق من الأخذ به والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه قال تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ١ ـ ٣].

فالقرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يصلنا إلى الله بعد بعثة الرسول ﷺ، قال ﷺ: «**أبشروا فإن هذا القرآن بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً**»[١].

فالقرآن هو العصمة بعد الله تعالى من الضلال والهلاك لمن تمسك به.



(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦).

كيفية الإيمان بالكتب المنزلة

للإيمان بالكتب المنزلة أمور لا بد من توفرها فيمن آمن به، من هذه الأمور:

١ ـ يجب الإيمان بأن هذه الرسالات أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله والتصديق بأن هؤلاء الرسل بلغوها للناس على الوجه الأكمل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

٢ ـ يجب الإيمان بالكتب كلها فمن آمن ببعضها وكفر ببعضها فقد كفر بكلها فلا يقبل الله منه إيماناً إلا إذا آمن بجميع الكتب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فالكفر بالرسول هو في الحقيقة كفر بما أنزله الله إليه وقال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [النساء: ١٣٦].

فما أعلمنا الله به تفصيلاً فالكتب التي ذكرها وهي صحف إبراهيم وتوراة

موسى وزبور داود وإنجيل عيسى والقرآن المنزل على محمد ﷺ فهذا نؤمن به تفصيلاً كما أخبر الله تعالى.

ونؤمن بأن هناك كتباً ووحياً غير ذلك ولم يعلمنا الله سبحانه بها.

٣ ـ ويجب الإيمان بما جاء في الكتب السماوية السابقة وأن الانقياد لها والحكم بها كان واجباً على الأمم التي نزلت إليها الكتب.

٤ ـ ويجب الإيمان بأن هذه الكتب يصدق بعضها بعضاً فالإنجيل مصدق للتوراة كما قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [آل عمران: ٥٠].

٥ ـ ونؤمن أن من أنكر شيئاً مما أنزله فهو كافر قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

٦ ـ وللإيمان بهذه الكتب يجب الإيمان بأن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية نزولاً وأنه هو المهيمن على الكتب السابقة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].



ذكر بعض الأمور المتعلقة بالإيمان بالكتب

أولاً: مصدرها والغاية من إنزالها:

الكتب السماوية مصدرها واحد كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٤].

أما هدف هذه الكتب وغايتها فقد أنزلها الله تعالى لتكون حياة للبشر الذين يعيشون على هذه الأرض وذلك بأن تقودهم إلى ما فيها من تعاليم وتوجيهات وهداية، أنزلت لتكون روحاً ونوراً تحيي نفوسهم وتنيرها وتكشف ظلماتها وظلمات الحياة.

ثانياً: الرسالة العامة والرسالة الخاصة:

الرسالات السماوية السابقة أنزلها الله تعالى لأقوام بأعينهم، أما الرسالة الخاتمة رسالة محمد ﷺ فهي عامة للبشرية كلها قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال ﷺ: **«وكان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»**[١].

ولما كانت رسالة محمد ﷺ هي الرسالة العامة للبشرية كان ولا بد أن تمتاز عن الرسالات السابقة، ولهذا جعلها الله تعالى شريعة كاملة صالحة لجميع البشر في كل مكان وزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولهذا نجد أن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حينما ينزل إلى الأرض في آخر الزمان فإنه لا يحكم إلا بهذه الشريعة ولا يقبل غيرها.

---

(١) سبق تخريجه ص٣٢٩.

ثالثاً: حفظ الرسالات:

كانت الرسالات السابقة مرهونة بوقت وزمان فإنها لا تخلد ولا تبقى ولم يتكفل الله بحفظها وقد وكل الله حفظها إلى علماء تلك الأمة التي أنزلت إليها، فالتوراة وكل حفظها إلى الربانيين والأحبار قال تعالى: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

ولم يطق الربانيون والأحبار حفظ كتابهم وخان بعضهم الأمانة فغيروا وبدلوا وحرفوا قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] فالتوراة حصل بها من التحريف ما حصل وبدلوا فيها من التبديل ما لا يخفى على ذي بصيرة بأمرهم والنصارى حرفوا في الإنجيل وبدلوا فيه.

أما هذه الرسالة الخاتمة أعني رسالة محمد ﷺ فقد تكفل الله بحفظها ولم يكل بحفظها إلى البشر قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩].

فالذي ينظر إلى هذا العالم شرقه وغربه يرى العدد الهائل الذي يحفظ القرآن عن ظهر قلب بحيث لو شاء ملحد يهودي أو نصراني تغيير حرف منه فإن صبياً صغيراً يستطيع الرد عليه وبيان خطئه وافترائه.

رابعاً: مواضع الاتفاق والاختلاف في الرسالات:

جاءت جميع الرسالات متفقة في أن الدين واحد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

الإسلام هو اسم الدين المشترك الذي هتف به الأنبياء من نوح إلى محمد ﷺ فقد قال نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢] وقال إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١﴾ [البقرة: ١٣١].

ويوصي كل من إبراهيم ويعقوب أبناءه قائلاً: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وموسى يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

الحواريون يقولون لعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

فالإسلام هو شعار دعوة الرسل في كتبهم المنزلة من عند الله تعالى وهكذا اتفقت جميع الرسالات فكان الدين الواحد الذي دعت إليه جميع الكتب هو دين الإسلام.

أما الشرائع فهي مختلفة قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

والشرعة هي الشريعة والسنة والمنهاج هو الطريق والسبيل. وليس معنى ذلك أن الشرائع تختلف اختلافاً كلياً. فالناظر في الشرائع يجد أنها متفقة في المسائل الأساسية كالصلاة والزكاة والحج وأخذ الطعام من حله وغير ذلك، لكن الاختلاف فيها يكون في بعض التفاصيل فأعداد الصلوات وشروطها وأركانها ومقادير الزكاة ومواضع النسك وكذا الصوم فقد تختلف من شريعة إلى شريعة، وقد يحل الله أمراً في شريعة لحكمة ويحرمه في شريعة أخرى لحكمة.



نماذج
أسئلة على منهج المستوى الثاني

أسئلة مبحث
الرؤية

١ ـ من هم الذين يثبتون رؤية المؤمنين لربهم في الجنة؟

٢ ـ اذكر نفاة الرؤية!

٣ ـ مما استدل به نفاة الرؤية قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ وجه ذلك وكيف ترد عليه؟

٤ ـ مما استدل به نفاة الرؤية قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وضّح ذلك مع الرد عليه!

٥ ـ اذكر ثلاثة أدلة من القرآن على إمكانية رؤية المؤمنين لربهم في الجنة!

٦ ـ وجه الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾!

٧ ـ اذكر دليلين من السنة على إمكانية الرؤية مع بيان الشاهد وتوجيه الاستشهاد!

٨ ـ قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والرؤية حق لأهل الجنة» وضح ذلك!

٩ ـ هل يرى الناس ربهم في المحشر؟ اذكر كلام أهل العلم في ذلك!

١٠ ـ هل تمكن رؤية الله في الدنيا مع التعليل؟

١١ ـ هل رأى رسولنا ﷺ ربه بعينه في الإسراء مع الترجيح وتوجيه ذلك؟

أسئلة مبحث
القضاء والقدر

١ ـ عرّف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً!

٢ ـ استدل على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر بدليلين من القرآن!

٣ ـ اذكر دليلاً من السنة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر!

٤ ـ وضح الاستدلال من العقل على الإيمان بالقدر!

٥ ـ بيِّن مرتبة الإيمان بالقدر من الدين!

٦ ـ اذكر شيئاً من فوائد الإيمان بالقدر!

٧ ـ اذكر الطوائف التي ضلَّت في القدر!

٨ ـ وفق الله أهل السنة فكانوا وسطاً في باب القدر وضح ذلك!

٩ ـ ردّ أهل السنة على الفرق التي ضلت في القدر بالكتاب والسنة والعقل أوجز ذلك!

١٠ ـ هل يلزم من الإيمان بالقدر أن يكون في فعل الله شر؟ وضح ذلك!

١١ ـ وضح المقولة «يحب ما لا يريد ويريد ما لا يحبه»!

١٢ ـ هل العباد فاعلون؟ وجه ذلك!

١٣ ـ هل للعباد مشيئة مع الاستدلال؟

١٤ ـ هل العباد مخلوقون هم وأفعالهم مع توضيح ذلك؟

١٥ ـ هل يوجه الخطاب إلى الجماد مع الاستدلال والتوجيه؟

١٦ ـ قال صاحب الطحاوية: «ولذا كان أنفع الدعاء دعاء الفاتحة» وجه ذلك!

١٧ ـ كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾؟

١٨ ـ هل الإنسان مسير أم مخير مع التوجيه؟

١٩ ـ اذكر أقسام التقدير!

٢٠ ـ وضح مراتب القدر!

٢١ ـ من مراتب القدر العلم استدل لها!

٢٢ ـ استدل على مرتبة الكتابة من مراتب القدر!

٢٣ ـ المشيئة إحدى مراتب القدر ما دليلها؟

٢٤ ـ الخلق والإيجاد المرتبة الرابعة من مراتب القدر فما دليلها؟

٢٥ ـ توسط أهل السنة والجماعة في الاستطاعة للعبد فما هو رأيهم وما الدليل على ذلك؟

٢٦ ـ توسط أهل السنة والجماعة في أفعال العباد الاختيارية بين الجبرية والقدرية وضح ذلك!

٢٧ ـ تضمن القدر أصولاً عظيمة اذكر اثنين منها!

أسئلة مبحث
القرآن كلام الله

١ ـ افترق الناس في كلام الله على أقوال، اذكر ثلاثة منها مع بيان الراجح منها!

٢ ـ استدل على كلام الله من القرآن الكريم!

٣ ـ أوجز رأي المعتزلة في ثلاثة أسطر حول كلام الله!

٤ ـ كيف ترد على المعتزلة في مقالتهم في كلام الله؟

٥ ـ قال المعتزلة: «يلزم من كلام الله التشبيه والتجسيم» ناقش هذه المقولة!

٦ ـ هل صفة الكلام لله صفة ذات أو صفة فعل وضح ذلك!

٧ ـ القرآن كلام الله غير مخلوق اشرح هذه العبارة بما لا يزيد عن خمسة أسطر!

٨ ـ وصف الله كتابه بصفات اذكر ثلاثاً منها!

٩ ـ تكلم عن فتنة القول بخلق القرآن بما لا يزيد عن خمسة أسطر!

١٠ ـ ثبت الإمام أحمد في فتنة القول بخلق القرآن وضح ذلك!

١١ ـ ما حكم من قال بخلق القرآن؟

١٢ ـ استدل على إثبات النداء لله تعالى من القرآن الكريم!

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

كتاب مباحث في العقيدة

الجزء الثاني

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرس إجمالي للكتب